

رسالة المعلم

إسلامية ثقافية شاملة



السنة الخامسة - العدد الثامن عشر - ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ - مارس ٢٠٠٩ م

١٨

اقرأ في كل جزء

◆ حوار العدد: المراقبة ..

◆ نظرة أولية حول (اقرأ إسلامك)

◆ الطريق إلى قراءة الإسلام

◆ ضعف الإقبال على قراءة الكتب الدينية

◆ الحداثة في قفص الاتهام

◆ حكم زيادة الركعة سهواً

◆ صاحب الحدائق وصحة الحديث

Resalat Alqalam

رسالة القمر

إسلامية ثقافية شاملة

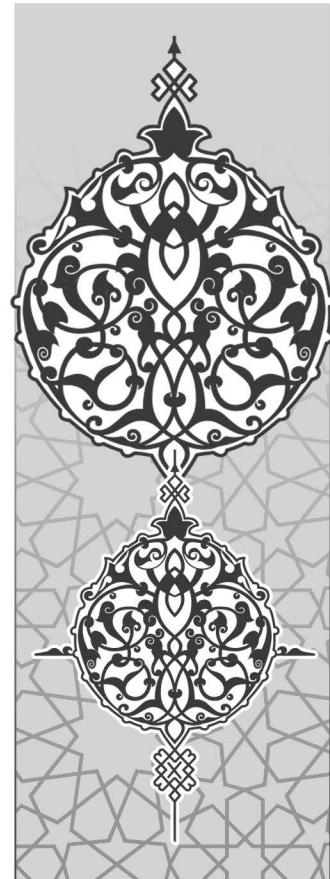
فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية

بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية



- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاد
- رئيس التحرير:
علي أحمد الكريباudi
- مدير التحرير:
عبد الرؤوف حسن الربيع
- هيئة التحرير:
عزيز حسن سلمان
غازي عبد الحسن إبراهيم
فاضل عبد الجليل الزاكى

كتابات

المراقبة

- في حوار أخلاقي مع سماحة العالمة السيد مصطفى حسينيان ٥
- تعريف بشعار اقرأ إسلامك ١٦
- نظرة أولية حول "اقرأ إسلامك" ٢١
- جاسم محمد حسن
- الطريق إلى قراءة الإسلام ٥٠
- السيد مجید السيد حمزة العلوي
- قراءة الإسلام تزكية للنفس وتغذية للعقل ٦٣
- رائد میرزا استری
- ضعف الإقبال على قراءة الكتب الدينية ٧٦
- عبد الرؤوف حسن الريبع
- قراءتنا ٨٤
- قصي الشیخ علی العربی
- اقرأ إسلامك .. ووجوب معرفة الدين ٩١
- السيد یاسین السيد قاسم الموسوی
- الإسلام المحمدي ١١٠
- السيد حسن السيد أحمد الغريفی
- الحداثة الدينية... نظرة من الداخل ١١٩
- غازي عبد الحسن إبراهيم
- حكم زيادة الركعة سهواً ١٣٦
- علي فاضل الصدّي
- صاحب الحدائق وصحة الحديث ١٥١
- سعید جعفر حماد
- مناقشة كتاب (آل البيت وحقوقهم الشرعية) الحلقة الثالثة ١٧١
- حسن عبد الله القصّاب
- دروس في الأخلاق السياسية (الحلقة الثالثة) ١٩٢
- عادل علي الشعلة

الإِسْلَامُ هِبَةُ السَّمَاءِ

قد يتصور بعضُهم أن الإسلام حقلٌ من حقول المعرفة، وتخصصٌ على حد التخصصات الدراسية؛ يمكن قراءته من خلال مجموعة من الكتب المعدودة، إلا أن المتأنل في الإسلام والخائض فيه كلما مررت به السنون أدرك بعد غوره، وعظم خطره، فهو تركرة ثقيلة، ومنظومة مترابطة معقدة، تنتظم فيما زوايا الوحي والغيب، والخلق والتكون، والعقل والبرهان، والكشف والعرفان، والتعبد والإعجاز، والروح والجسد، والتجربة والحس... إلى ما شاء الله من جنَباتٍ مشرقةٍ تتفتقُ عن علومٍ ومهاراتٍ وفنونٍ وتخصصاتٍ لم تُطرأْ جميعُ أبوابها، بل قد تجد مسألةً واحدةً من مسائل علمٍ واحدٍ من علوم الإسلام يُفني فيها العلماءُ أعمارهم، في تحقيقها وبيانها؛ وذلك من قبيل مسألة الحدوث الدهري التي أفنى فيها السيد الدمامي قُسْطَنْطَنْطَنْسُ عمره الشريفي في تنقيحها وإثباتها، وغيرها من المسائل. وقد تُنْجَحُ مسألةً من مسائل العلوم الإسلامية ثم يدعى عدم الجدوى منها وعدم الثمرة والفائدة، وفي كثير من الأحيان - لا كلها - تكون هذه الدعاوى دعاوى عجز وجهل، ثم تتبين بعد ذلك أسرار لطيفة وعلاقات حَفِيَّةٍ تكتنُفُّ تضاعيفَ هذا الوجود، وأسرارٌ تقود جميع المسارات والحقول وتضعُها على صراط الحقيقة والعلم.

فالدعوة لقراءة الإسلام لابد وأن لا تقتصر على تلقي النتاج الراهن تلقياً محضاً، مهما بلغ، ومهما كان متيناً، ومهما احتاج من أعمار النوافع، إلا أن هذه الأعمار لابد وأن تبذل وفق خطة مدروسة تتوزع فيها الجهود، لتَقْتَدِمَ المجهولَ من زوايا الإسلام.

أما بالنسبة لاندراج كل العلوم تحت راية الإسلام فيدعي بعض الأساتذة عليه السلام في مسألة أسلمة العلوم أن لا يوجد لدينا علم غير إسلامي، بل كل العلوم هي علوم إسلامية، وإنما الخلاف في اللسان المسبح لله بها، والشاكر له على نعمة الإسلام، فلسان عالم الدين يقول: هكذا قال الله. ولسان عالم الطبيعة يقول: هكذا فعل الله، والكلام في ذلك طويل الذيل بناء على مجموعة مقدمات.

يبقى أن أهمية قراءة الإسلام تتركز على قراءة الإسلام كل الإسلام، لا الإسلام في جنبه دون أخرى، بمعنى أن من يريد أن ينسب رأياً إلى الإسلام، فعليه أن يجمع بين محكماته ومتشابهاته مما أمكن، لا بمعنى عدم الفائدة من بعضه، فليس من قبيل التجني؛ الذي قليله لا يفيد وكثيره لا يدرك، بل الإسلام قليله يفيد، وكثيره يطلب.

وعلى ذلك كان في الإسلام أحكام أولية وأحكام ثانوية، والتمسك بالإسلام بعد قراءته صحيحا هو التمسك بمحصلة ما يريده، لا الاستماتة في الحكم الأولي في ظرف تحقق وثبتت موضوع الحكم الثانوي، وهذا من لطائف أسراره الحافظة لنظام المجتمع المسلم، فكثيرة هي النزاعات بين أبناء الدين التي يمكن أن يعرف حالها من هذا الوجه، ولوقرأ المسلمون الإسلام كما يريد هو لا كما يريدون، لكفوا أنفسهم وكفوا الناس ويلات التناحر والإعانة على بعضهم ولو بشطر كلمة، ولكنوا تلك الحوزة المنيعة والعصبية على الاختراق.

رئيس التحرير

المراقبة

في حوار أخلاقي مع ساحة العالمة السيد مصطفى حسينيان حَفَظَهُ اللَّهُ

حاوره: عيسى جاسم القفاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَاللَّعْنُ
الْدَّائِمُ الْمَوْبِدُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.

❖ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ماذا تعني مراقبة النفس فيما
يرتبط بتهذيب النفس، فقد وردت بعض الروايات تشير إلى مراقبة النفس
كما روى عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اجعل من نفسك على نفسك رقيباً واجعل
لآخرتك من دنياك نصيراً» وبعضها تشير إلى مراقبة الله بِعَزَّوَجَلَّ كقول
الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طوبى لمن راقب ربه، وخاف ذنبه»؟

□ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، المراقبة المقصودة في تزكية النفوس في
الحقيقة هي مراقبة النفس، ولكن باعتبار أن مراقبة النفس هي مفهوم عام، تحت هذا
العنوان والمفهوم العام تتشعب مفاهيم أخرى، مثلاً كيف يراقب الإنسان نفسه في
الأمور الخطيرة، أحد معالم مراقبة النفس هو الخوف من الله بِعَزَّوَجَلَّ، والخوف من
الله بِعَزَّوَجَلَّ يمثل مراقبة الله بِعَزَّوَجَلَّ، ولذلك فإنَّ الروايات التي تأمر بأن يجعل على نفسه
رقيباً، والروايات التي تأمر بمراقبة الله بِعَزَّوَجَلَّ، كلها تصب في مصب واحد، وهو
مراقبة النفس، أن لا تقع في المزالقات أن لا تقع في الانحرافات، أن لا تقع في الفتنة أن
لا تخرج عن الصراط المستقيم، لكن معنى مراقبة النفس يمثل مفهوماً عاماً فتشمل

مثلاً مراقبة النفس لترك المحرمات، وإتيان الواجبات بأحسن وجه، وابتعادها عن الشبهات، ومن شعب مراقبة النفس أيضاً أن يجد الله دائماً ناظراً إليه كما يقول الإمام الخميني أن "العالم محضر الله فلا تعصوا الله في محضره" هذا في الواقع هو مراقبة للنفس، فأسلوب المراقبة مختلف بحسب الطرق المحددة للمراقبة، وأحد الطرق التي تحدد أسلوب مراقبة النفس هو أن يحاول الإنسان دائماً أن يلاحظ الله سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ معه، ينظر إليه يعلم بكلامه وتصرفاته وضميره ونياته، هذا كله يصب في إطار مراقبة النفس، ولذلك فإن الروايات تتحدث عن أن الله يجعله رقيباً على نفسه، وكل هذه الروايات تصب في أصل واحد وهو مراقبة النفس، فираقب نفسه دائماً كيف تتصرف وتعمل وتنوي وتقدم وتترك، وما شاكل ذلك.

❖ هل المراقبة تمثل حالة قلبية أم هي عملية عقلية، وهل يمكن أن يكون الإنسان مراقباً وفي نفس الوقت لا يتربّ على مراقبته الأثر المطلوب؟

□ في الواقع علماء الأخلاق وعلماء السير والسلوك عندما يطلقون مفهوم المراقبة في السير والسلوك يقصدون من المراقبة المراقبة القلبية لا العقلية، ولذا فإنهم لا يفرقون بين كون المراقب عالماً أو عامياً جاهلاً، فلا يحتاج إلى سلاح العلوم الحصولية، المهم أن يكون مراقباً بالقلب والمعنى، قد يكون إنسان لا يعرف القراءة والكتابة أصلاً، ولكنه يراقب نفسه أكثر من عالم كبير مشهور في علمه، إذن المراقبة بحسب اصطلاحهم في علم الأخلاق هي مراقبة قلبية، ولكن المراقبة العقلية عادة وغالباً تكون مقدمة للمراقبة القلبية، إذا أُسس للارتباط الوثيق بينهما، بحيث أراد الإنسان أن ينطلق من علمه إلى قلبه وتزكيته نفسه، بأن يأخذ العلم وسيلة لمراقبة نفسه وتهذيبها وتقويتها معنوياً وتحقيقاً سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ففي هذه الحالة فإن العقل

والعلم والتعقل سوف يكون مقدمة موصلة إن شاء الله إلى مراقبة النفس القلبية، من هنا يمكن أن نقول إن المراقبة لها مرتبان، المرتبة العقلية وهي لا تنتج المطلوب دائمًا وربما كانت حجاباً والعيباد بالله، فتكون مانعة عن المراقبة القلبية، لذا لا نقول أنها مقدمة موصلة دائمًا، نعم من الواضح أن الإنسان كلما ازداد علماً سيما في العلوم الدينية فإنه يكون أقدر من غيره على مراقبة النفس، وبعض الناس يقف عند المقدمات دون أن يصل إلى نتيجة، لذا فإنه لا يغلب شيطانه فلا يمكن للإنسان أن يغلب شيطانه إلا بالمراقبة القلبية، وربما يكون الإنسان مراقباً في بعض الأحيان ويغفل في أحيان أخرى، فإنه إذا غفل تعرض للزلل.

❖ هل تمثل المراقبة كما يقال محور السير والسلوك إلى الله وعلى فرض صحة ذلك فما هو السير في ذلك؟

□ نعم هذه الفكرة صحيحة باعتبار:

أ- أن النفس أولاً غامضة جداً في صفاتها، النفس في الواقع هي حقيقة معقدة كما تشير إلى ذلك الروايات وعلماء الأخلاق وقد أشار إلى هذه المسألة صدر المتألهين عليهم السلام في كتابه الأسفار في كتاب النفس إلى هذه المسألة، فهي غامضة جداً لذلك فإن الاعتماد عليها خطأ وهذا أمر مستفاد من الروايات التي تنهى عن الثقة بالنفس وتأمر بالثقة بالله سبحانه وتعالى، ولذا ورد عندنا في الحديث المعروف عن النبي صلوات الله عليه وآله ما مضمونه: لا يزال العبد في خوف ورجاء حتى يأتيه اليقين أي الموت، فالنفس لا يمكن الاعتماد عليها أولاً.

ب- ثانياً إن القوى الموجودة في الإنسان في كثير من الأحيان تكون متضادة، بحيث يكون ليس من السهل أن يسيطر على هذه القوى، كقوة الغضب والشهوات

والملذات وحب الدنيا، هذه القوى قوية جداً والتغلب عليها ليس بالأمر السهل.

ت - ثالثاً إنَّ الشيطان بما أنَّ وظيفته الوسوسة والإغواء فإنه يمثل قوة خارجية تشمل خطراً يضاف إلى القوى الداخلية.

فإذا جمعنا بين هذه الأمور الثلاثة: غموض النفس، والقوى المضادة في الإنسان، وقدرة الشيطان، من هنا نصل إلى أهمية المراقبة، فإنها هي التي تقتل الحصانة وتجعل لنا الثقة في تزكية النفس، وإذا أردنا أن نشبه الإنسان بين هذه الأمور الثلاثة فيمكن أن نقول أنه حقيقة ضائعة أو غارقة بين هذه الأمور الثلاثة، بين غموض النفس، فلا يدرى هل أنه اليوم يتعلق بالله تعالى، ويكره الدنيا أو غداً، ولعله في المستقبل يكره الله والعياذ بالله ويحب الدنيا، قد توجد ظروف خارجية بيئية تحبط بالمكان الذي يعيش فيه، تغير كثيراً من المفاهيم والمعالم التي توجد في شخصيته، ولا يمكنه أن يحدد بنفسه كل ما سيجري على النفس وذلك لغموض النفس.

والطاقات الموجودة في الإنسان أيضاً طاقات متصادمة، والشيطان في غاية القوة، حتى أن الباري تعالى يعبر عنه: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١) ويكن أن نضيف أمراً رابعاً وهو ضعف الإنسان، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢) فقد أشار بعض المفسرين إلى أنه خلق ضعيفاً من حيث الشهوة الجنسية، وبعضهم يعممها إلى جميع الجهات في الإنسان، فالشهوات تكون غالباً هي الغالبة فيه في قبال العقل، لذلك فإن الذي يمكن من صون الإنسان وحفظه في ظل هذه المعوقات الأربع في طريق تربية النفس، والذي يتمكن الإنسان من خلاله تحديد الطريق الصحيح هو المراقبة، وأعني بها المراقبة الدائمة، أما المراقبة التي تخطر لأجل مجلس أو ظروف مؤقتة لا يمكن أن تقتل حصانة دائمة للإنسان في طريق سيطرته على هذه المعوقات الأربع.

❖ هل تختص المراقبة المطلوبة بمراقبة السلوك العملي للإنسان، أم
تشمل ما هو أوسع من ذلك؟

□ نعم المراقبة تشمل كل هذه المراحل، وهي مختلفة من حيث الصعوبة والسهولة، فإنَّ المراقبة من حيث السلوك العملي أسهل نوع من أنواع المراقبة، لأنَّ السلوك العملي باختيار الإنسان بشكل مباشر، فالإنسان يمكن بحرية مطلقة مباشرة أن يأتي بالعمل أو يتركه، أما المراقبة القلبية بالنسبة إلى الخواطر والأفكار والوساوس الشيطانية فإنها صعبة جداً، فربما يراقب الإنسان نفسه سنين طويلة من حيث السلوك العملي، يعيش ثلاثين أو أربعين سنة لا يرتكب حراماً، ولكن ربما كان يقع في مرتبة القلب في أمور لا تليق بالسير والسلوك.

وأول مراتب المراقبة مراقبة السلوك العملي، الذي قلنا أنه أسهل المراتب، والمرحلة الثانية كمرحلة أساسية أن يسيطر على قلبه وقوته الخيال، فيعمل على رفع هذه الخواطر أو دفعها، فإنه تارة يدفع هذه الخواطر، والمرحلة الأصعب من هذه المرحلة وأرفع هي مرحلة رفع الخواطر^(٢)، بحيث يرفع المقتضي من رأس، فيصل إلى مرحلة بحيث لا يخطر في نفسه ما يوجب نوعاً من التعلق بالدنيا، أو الميل إلى الحرام والمشتهيات، وهذه أعلى مراتب المراقبة.

نعم مراقبة السلوك العملي هي الأساس وهي المطلوبة من عامة الناس والمؤمنين وذلك للاستقامة على الشريعة من فعل الواجبات وترك المحرمات، وقد ورد في الروايات أنَّ الله نَعَمَّا يغفر للمؤمنين نياتهم السيئة، كماليل إلى الحرام والتفكير فيما لا يليق بالمؤمن، وقد أشار الشيخ الأنصاري إلى هذه الروايات في بحث التجري، نعم هذا النوع من النوايا يؤثر في تنزيل مرتبة الإنسان بلا إشكال؛ لأنَّ درجات الإيان

تتحدد بدرجات المراقبة، والسعى للمراتب العليا ممدوح ومطلوب كما ورد في الروايات، وهي في الغالب تكون للخواص، ومن الواضح أنَّ من وصل إلى درجة المراقبة القلبية أعلى مرتبة من اكتفى بالمراقبة العلمية، وهنا أريد أن أشير إلى صعوبة مراقبة الخواطر فإنها من الأمور الصعبة التي ربما تصعب حتى على بعض العلماء فلا يدخل في هذا الوادي، كما أن تلبيسات الشيطان فيه كثيرة، فربما ظن المراقب أنه هذَّب خواطره وهو في الواقع مبتلى بخواطر شيطانية.

ومن الفوارق أيضاً بين المراقبة العملية وغيرها والتي تجعل من السلوك العملي أسهل هو وضوح العمل، بينما تتصف الخواطر بالخفاء والغموض.

❖ ما هي آفات المراقبة؟ وما هي عوامل تقوية المراقبة؟

□ في بعض الكتب الأخلاقية أنه يوجد عندنا خمس وسبعون جندياً للعقل تساعده على تهذيب النفس، وكذلك بالنسبة لجنود الجهل والنفس الأمارة والشيطان التي تصب في الإغواء، وهما في حرب دائم مع بعضهما، فإذا أردنا أن نعرف العوامل التي تصب في تقوية المراقبة فعلينا أن نقف عند هذه الجنود، ولكن هذا البحث طويل لا يسعنا الوقوف عنده، لذا أقتصر على ذكر بعض العوامل الأساسية ليستفيد منها عموم الناس ويكون البحث شاملاً للجميع:

أ- التوكل على الله: الذي ينشأ في الواقع من الثقة بالله بِمَا يَعْلَمُ، والثقة بالله مهمة جداً في مسألة المراقبة، فإن الإنسان كثيراً ما يقع في ظلم وحرام وجهل يوجب الندم، كل ذلك لأنَّه لم يكن يثق بالله بِمَا يَعْلَمُ، فكثيراً ما يستعجل طلب الرزق مثلاً فيوقع نفسه في الأذية والمشاجرة مع الآخرين، ويوقع نفسه في أكل الحرام، كل ذلك لأنَّه لا يثق بالله بِمَا يَعْلَمُ، الثقة بالله من العوامل الأساسية في المراقبة، الثقة التي تولد

التوكل على الله بِعَلَّةٍ تَرْكَلُ، والتوكيل يكون من آثار هذه الثقة، هذا أحد العوامل، وهو مهم جداً في شخصية الإنسان المراقب.

ب- **المكسب الحلال:** فكثيراً من الأحيان يكون الإنسان مراقباً لنفسه في بعض الأعمال، ولكن أحياناً إذا صح التعبير يخرج عن اختياره، أو أن الشيطان يوسوس في أذنيه أو في قلبه إلى أن يخضع إلى هوى الشيطان، وذلك لأنَّ مكسبه لم يكن حلالاً، بسبب الأثر الوضعي الذي يبقى في نفسه، وفي أسرته التي ينفق عليها، فلا بد من طهارة المكسب فإنه عامل أساسي، ولذا نجد بعض الناس يقومون بعمل الخيرات ويعقدون مجالس دينية في بيوتهم ويساركون في مشاريع خيرية، ولكنك لا تجد تأثير ذلك في نفسه الأثر المطلوب، فبمجرد أن يواجه حراماً أو فتنة تزل به قدمه، لماذا؟ من أسباب ذلك المكسب الحرام، مع كل هذه التوفيقات التي يملكتها إلا أنها لا تصونه عن الحرام، وكثير من الناس ينحرفون لعدم طهارة المكسب، لذلك ورد في الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاء في طلب **الحلال**^(٤) والحكمة في هذا المعنى من الرواية واضح؛ لأنَّ المكسب إذا لم يكن ظاهراً لا يستفيد الإنسان من عباداته بالشكل المطلوب^(٥). فكلما كان المكسب أظهر أوجب ذلك التوفيق للإنسان، أحياناً بعض التجار يحبُّ أن يقوم ببناء حوزة أو حسينية أو مسجد مثلاً وعنده مراقبة ومكسبه ظاهرٌ إلى حد ما، وي العمل بالضوابط الشرعية بحسب الظاهر، ولكنه ليس محتاطاً في بعض الموارد، الله يسلب منه توفيق بناء الحسينية أو المسجد الذي عزم على بنائه.

ت- **التفقه في الدين:** فالإنسان مهما بلغ من مراحل المراقبة فإنه لا بد أن يتتفقه في دينه، بأن يعرف المسائل الشرعية وتفاصيلها، فإنَّ بعض الناس مع الأسف يدخل

في باب المراقبة ولكنه لأنه لم يتفقه في الدين فأحياناً يجعل الحسن قبيحاً والقبيح حسناً، وما يضره في المراقبة ربا ظن أنه ينفعه، ولذلك علماء الأخلاق دائماً يؤكدون على أن الذي يريد أن يدخل في السير والسلوك والمراقبة خصوصاً إذا كان يطلب المراحل العالية لا بد أن يكون له شيخ وأستاذ؛ لأنَّ الأستاذ عنده تفقه في الدين، يعرف كيف يرشده وفق ضوابط الدين ليصل إلى المرحلة المعينة، فلا بد من التفقة في الدين، ونحن نجد في حياة علمائنا مثل السيد المير داماد عليه السلام أو الخواجة نصير الدين الطوسي أو السيد القاضي وغيرهم، أنهم كانوا فقهاء، يعرفون الروايات ومضامينها ومن أين تؤخذ الأحكام الخمسة، وكيفية مراقبة النفس، ولا بد من الإشارة إلى أن مرادنا من التفقة في الدين هو الأعم من معرفة الأحكام الشرعية، أي فهم الدين بشكل عام بما يشمل الأخلاق والعقائد، هذه العوامل الثلاثة هي الأساسية.

❖ بعض المؤمنين يستشعر حضور أهل البيت عليهم السلام سيما إمام زمانه عليه السلام، فيبعثه ذلك على الطاعة وترك المعصية، فهل هذا النوع من المراقبة مطلوب؟ وكيف يجب أن يكون؟

□ المراقبة لها أساليب مختلفة، من ضمن هذه الأساليب أن يشعر دائماً بمراقبة الله تعالى الله عن كل شر له، ولكن هذا الشعور في الغالب عند عامة الناس ربا يكون أمراً صعباً؛ لأنَّ الله تعالى الله عن كل شر ليس ملماوساً وليس محسوساً، وليس له شكل معين، فهذا النوع من المراقبة يحتاج إلى روحية خاصة تملك معرفة خاصة بالله تعالى الله عن كل شر، لذا فإن عوام الناس عادة يغفلون عن الله تعالى الله عن كل شر، فتجده يحاول مراقبة ربه ولكنه مجرد أن يخوض في غمار الحياة تراه في معاملاته مثلاً يظلم صاحبه ويغفل عن ربه عز وجل.

لذلك فإن هناك أسلوباً ثانياً من المراقبة، وهو أن يجعل النبي ﷺ أو أحد أهل البيت عليهما السلام رقيباً عليه لشدة حبه إليه، فإنه لكونه من البشر موجوداً محسوساً فإن هذه المراقبة لعوام الناس تكون أكثر إنتاجاً، وهذا النوع من المراقبة لها مصداقان، الأول أن يجعل النبي ﷺ وأهل البيت عليهما السلام رقباء عليه، وقد بين القرآن الكريم إحاطة أهل البيت عليهما السلام بأعمال العباد: «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»^(٦)، وهذه الآية لا تختص بزمان النبي ﷺ، كما توجد عندنا روایات تبين أن أعمال العباد تعرض على أهل البيت عليهما السلام في عالم البرزخ، فهذا المراقبة جيدة ومطلوبة.

المصدق الثاني هو أن نجعل الإمام المنتظر عليهما السلام رقيباً علينا؛ لأنَّ الإمام موجود في حياتنا، وأعمالنا تعرض عليه كما ورد في الروایات في كل أسبوع كما في بعضها، وفي بعضها في يومين من الأسبوع الاثنين والخميس، فحضور الإمام عليهما السلام كبير في حياتنا خصوصاً أنَّ الإمام له عناية خاصة بنا، فقد ورد في الروایات أنه يدعوه لشيئته بغفران الذنوب ودفع البلاء في آخر الزمان، إذن فإنه من قبله عليهما السلام توجد مراقبة وعنابة واهتمام خاص بنا، وهذا واضح بحسب الروایات، وإنما المشكلة في طرفنا نحن، فالإمام عليهما السلام قطعاً يراقبنا، فعلينا أن نشعر براقبته إلينا، هذا الشعور من أفضل ومن أظهر مصاديق المراقبة، فلعلنا عندما نتعامل مع الناس نلاحظ هل أن الإمام عليهما السلام راض عن هذه المعاملة أو لا؟ إذا أردتُ أن أذهب إلى المجلس المعين هل الإمام عليهما السلام راض عن هذا الذهاب أو لا؟ وغير ذلك من الأعمال.

وهذا ما نجده في سيرة كثير من علمائنا، بأن يخاطب نفسه في مقام المراقبة هل أن الإمام عليهما السلام راض عن عملي أو لا؟ هل أصرف هذه الحقوق الشرعية في هذا

الوضع أو لا؟ كما ينقل في سيرة الشيخ الأنصاري أنه كان يستشكل في صرف الحقوق في بعض الموارد خوفاً من أنه يوم القيمة لا يجد جواباً للإمام علثيم إنْ كان صرفة فيما لا يرضيه، فالشيخ يرى أن الإمام علثيم كان يراقبه، وعلى مستوى المراجع والعلماء الكبار في كل عصر من العصور تجد أن مراقبتهم للإمام علثيم كانت واضحة ومميزة، ولذا فإنهم يلوذون به عند الشدائِد؛ فقد نقل عن بعض العلماء في النجف أنه صار في ضائقَة مالية لم يتمكن من إعطاء الطلبة رواتبَها، فشكَا ذلك إلى الإمام علثيم وقال له: "أنا في كل هذه المدة في خدمتكم والآن لا أملك شيئاً"، فلا تقتضي مدة حتى تحل هذه المشكلة، وهذا يكشف عن أنهم دائماً يشعرون أنهم تحت عنابة الإمام علثيم، فعلماؤنا كانوا دائماً يشعرون أنهم في محضر الإمام علثيم.

لذا فإنَّ هذا النوع من المراقبة أعتقد أنه من أفضل الطرق عندنا في هذا الزمان، وي يكن أن نطرحه على مستوى عموم الناس، وليس من الصعب إيجاد هذا الشعور، على الأقل في بعض ساعات الحياة يشعر الإنسان المؤمن أن له إماماً واجب الطاعة، يعلم بأعماله كلها ظاهرها وباطنها، فيحاول أن لا يفعل ما لا يرضي الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهذا الطريق هو أحسن أسلوب لتهذيب النفس، فمن الضروري أن ننشر بين الشباب المتدلين ثقافة مراقبة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا لا يكون إلا بإيجاد المحبة بينهم وبين الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعلينا أن نطرح للناس الروايات التي تتحدث عن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في عصر الغيبة، وكيف نستفيد منه في هذا الزمان، سيما أثر ذلك في حياة المؤمن، فإذا وجدَ الحبُّ بين الإنسان المؤمن وبين إمام العصر عَلَيْهِ هذا أفضل سلاح للمراقبة، نعم هناك مرحلة أعلى وهي أن يجعل جميع المخصوصين عَلَيْهِ السَّلَامُ بما فيهم إمام الزمان مراقبون له، والأفضل من ذلك مراقبة الله بسبعين عَالَمٍ، فالرُّاقب لإمام زمانه عَلَيْهِ السَّلَامُ، المتيقن من نظر إمامه إليه ورعايته واهتمامه وسؤاله عن أحواله يعيش حياة أخرى بعيدة عن الاهتمام

بتواهه الدنيا من الأكل والشرب والراحة والرفاهية، وتكون له حياة أخرى غير حياة عوام الناس، ويشعر بأنه بكل سهولة يترك المعاصي ويصرف الأموال في سبيل الله، ويصير وجوده وجوداً نورانياً، فمثلاً شبابنا في حزب الله في لبنان قد انطلقوا من هذه الفكرة، فروح الانتظار عند شباب حزب الله كبيرة حتى ولد لهم شجاعةً مواجهة الاستكبار وإسرائيل، فهم يعتقدون أن الإمام عليه السلام في كل لحظة من لحظات المقاومة الإسلامية هو معهم يراقبهم ويسددهم ويعينهم ويدافع عنهم ويدعو لهم وهذا سر انتصارهم.

الشاب الذي يتعلق بالإمام عليه السلام يكره المعاصي كراهة ذاتية وليس عرضية فحسب، وهذه صفة رائعة في الشاب الذي هو في قمة القوى والشهوات والعنفوان، وهو يكره المحرم ذاتاً لا عرضاً، لشدة حبه للإمام عليه السلام، والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

(١) سورة البقرة: ١٦٨.

(٢) سورة النساء: ٢٨.

(٣) بعضهم قال أن الدفع مرتبة أعلى من الرفع، لأن الدفع منع من الوجود، أما الرفع فهو رفع بعد الوجود ولكن الصحيح هو الأول، وهذا مبني على تفسير آخر للدفع والرفع، ولكن الصحيح هو الأول (منه).

(٤) بحار الأنوار: ج ١٠٠ / باب الحث على طلب الحال.

(٥) ولو كان يعمل وفق الضوابط الشرعية ولكنه وقع في المحرم واقعاً فإنه وإن لم يكن الأثر الوضعي باقياً إلا أنه يسلب بعض التوفيقات.

(٦) سورة التوبة: ١٠٥.

تحریف بشعار اقرأ إسلامك^(١)

توطئة

قال تعالى: ﴿أَقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ * أَقْرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنْ * عَلِمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢).

في زمن الثقافات المتعددة، والأدبيات المتنوعة - التي انفتحت بعمق على بعضها البعض في زمن الحركات الإلكترونية والشبكة العنكبوتية من دون حدود وضوابط تحكم حركتها التنامية والتي يحمل بعضها اتجاهًا ينأى بالمسلم عن جذور أصلته وعقيدته ومرتكزاتها التي يجب أن يغضّ عليها بالنواخذ - تبرز أهمية القراءة الوعائية التي يبحث عنها الإسلام الحنيف من أجل قاعدة راسخة من تآخوم الأرض حتى عنان السماء.

ولقد مضى الأوائل نحو ذلك الحرث القرآني يقتفيون أثره، فنالت الأمة بذلك وساماً تغبطها عليها باقي الأمم، وهو وسام (أمة الإسلام أمّة اقرأ) إلا أنّ الاحتكاك الثقافي، والتّبادل الحضاري على مرّ الزّمن لربما قد أثرا بشكل ملحوظ على بعض شرائح وفئات المجتمع، فنحى بهم نحو منظومة تلك الثقافات التّغربيّة، ومن هنا وحرصاً على نقاء الثقافة الإسلامية، وبقاء قيمها حاضرة ماثلة في وعي (أمة اقرأ) جاء شعار (اقرأ إسلامك...).

١. رُفْدًا لأهداف نداء القرآن الخالد.

٢. وإمعاناً في تجذير تعاليم ومبادئ ﴿خَيْرٌ أُمَّةٌ أُخْرِجَتٌ لِلنَّاسِ﴾؛ وذلك

للأخذ بيد الجميع نحو أفق سامٍ، ورحايا ترفل فيه التنفس المسلمة
بالانشداد نحو موروثها المضيئ كسابق عهدها بل وأكثر.

من أهداف الشّعار

من ضمن سياق ما يسعى إلى تحقيقه المجلس الإسلامي العلمائي على أرض الواقع من خلال ما يؤمن به من رؤية تتمحور حول قاعدة (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)، والتي تقوم أساسها على إستراتيجية بناء أمّة قويّة تقف شامخة رابضة في مواقعها لا تزعزعها رياح التّغريب العاتية، ولا معاول الهدم؛ وذلك لتحقيق الأهداف السّامية الرّامية إلى:

١. التشجيع على القراءة، والمحثّ على المطالعة.
 ٢. بناء القراءة الهدافـة.
 ٣. فرز الكتاب الـهادـف من الـهـادـم.
 ٤. إرشاد النّاس إلى الكتاب المفيد.
 ٥. تهذيب الثقافة المتداولة نحو الإسلام.
 ٦. توعية الآباء لمتابعة ما يقرأ أبناؤهم.
- وصولاً إلى:
٧. المحافظة على الهوية الإسلامية للأمة من الطّمس والتّشویه.
 ٨. تنمية الوعي الإسلامي الشامل للمجتمع.
 ٩. صياغة الشخصية الإسلامية الرّسالية الـهـادـفة المؤهلة لحمل الرّسالة ونشرها.

اقرأ إسلامك^(٣)

اقرأ إسلامك شعار المجلس هذا العام، ولماذا أضيف الإسلام لك فقيل (إسلامك) ولم يُقل اقرأ الإسلام؟ لأنك اخترت الإسلام خياراً يحدد لك خياراتك في الحياة، ويرسم لك الطريق، وربطت به مصيرك هنا، ومصيرك في الآخرة. وهو إسلامك قبل أن تختاره عليناً لأنك خيار فطرتك التي لا خيار لها غيره.

ولماذا قراءة الإسلام؟ لأنه رسالة الله التي لا غنى لأحد عنها، ولأن هذه الرسالة هي المخرجة للعقول والقلوب والأوضاع والإرادات من الظلمات إلى النور، ولا سبيل للخروج من كل هذه الظلمات غير لإسلام.

وهذه بعض كلمات قصار تأتي في إطار الشعار المذكور "اقرأ إسلامك":

١. كيف نحترم الإسلام ونحن لا نعرفه؟! وكيف نعرفه ونحن لا نقرأه؟! وكيف يقرأه من لم يعد نفسه الإعداد القوي الشامل لقراءاته؟!

٢. لتكون قراءتنا للإسلام أصدق وأعمق علينا أن نقرأه بالعقل والقلب والخبرة الواسعة والموضوعية معاً.

٣. كلما تقدم بك مستوى فهمهاً وعلماً ورشداً وخبرة وتجربة حياة أوسع وأعمق، أمكن لك أن تأخذ من قراءتك للإسلام صورة له هي أصدق وأشع وأجمل، وفي كل مرة تكبر فيها ستكبر الصورة.

٤. لو قرأنا الإسلام كل العمر وبكفاءات عالية ف صحيح أننا سنتوفر

منه على الكثير، ولكنه لا يُساوي شيئاً مما يشري به الإسلام من كنوز.

٥. رعا قرأ الإسلام من يعاديه ليحاربه ويحرّكه أكثر من يرضاه ويبلغه، وفي ذلك تضييع للإسلام، وتغييب لحقائقه، فعلينا أن نقرأ الإسلام كثيراً لتصدق حفظه وتبليغه.
٦. لا يقرأ الإسلام من أقلام معادية، ولا متزيدة محابية، وإنما يقرأ من مصادره، ومن أقلام علمية نزيهة عالمية به، عارفة بهداه، أمينة عليه، حرِيصة على أن لا تزيد فيه ولا تنقص منه.
٧. اقرأ من الإسلام جديداً تستطيعه المحاولة، ليأخذ بمستواك إلى جديد فوقه لم تَكن تستطيعه، ولا تبق عندما تجاوزته، ولا تقفز إلى ما لا تطال رغم الجد والمحاولة.
٨. يقرأ الإسلام في كتب الصادقين، وفي الكون والحياة، ولكل من ذلك أهميته.
٩. يقرأ العارفون الجادون الإسلام بما هو الدليل الصادق على الحياة، وليصوغوا أنفسهم وحياتهم، وحياة الناس على ضوئه.
١٠. يوم أن تتوقف القراءة العلمية الجادة للإسلام يكون قد بدأ يوم انفراطه الحقيقي في حياة الناس، وتحوله إلى شيء من المخارات، والأفكار البائسة السقيمة.
١١. قس إيمانك بالإسلام قبل أن تقرأه بعمق، وقسها بعد أن تقرأ

الإسلام كذلك، فستجد أن إيمانك قد تعاظم، وسيزيد احترامك لنفسك والحياة، ويشتد أملك في المستقبل، وتتخلص من معضلات فكرية ونفسية كثيرة. نعم هكذا تفعل قراءة الإسلام.

١٢. على كل مسلم أن يقرأ في المقل العلمي النافع الذي تخصص فيه للنهوض بمستواه ومستوى الأمة، أمّا قراءة الإسلام فحاجة الجميع ومسؤولية الجميع.

المواهش:

- (١) موقع المجلس الإسلامي العلمائي، "شعار المجلس"، شعار المجلس ١٤٣٠ هـ مقتطفات من "تعريف بشعار أقرأ إسلامك".
- (٢) سورة العلق: ٥-١.
- (٣) ساحة العلامة الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٣٥٦) ١٧ صفر ١٤٣٠ هـ ١٣ فبراير ٢٠٠٩ م.

نظرة أولية حول "اقرأ إسلامك"

من خلال إجابات الوسط الطلابي على الأسئلة المعدة

إعداد: جاسم محمد حسن، بتعاون ومتابعة كل من: علي أحمد الكريابادي،
وصادق سليمان، وعزيز الخضران، وعماد الشعلة..^(١)

الهدف من الأسئلة

الهدف من إعداد أسئلة^(٢) شعار: (اقرأ إسلامك) - حسب نص المقدمة المدونة
والمرفقة مع ورقة الأسئلة المعدة التي تهدف إلى:

- قياس مدى الاهتمام بالشعار كمشروع إسلامي ومدى وعي أهدافه وأسبابه.
- قياس مدى وضوح الصلة بين القراءة وبين جودة التبليغ أو تحسين مستويات التعرف على الإسلام والتحقق من فرضية دور المبلغين والعارفين بالإسلام في تفعيل قراءة الإسلام بشكل متقن.
- توضيح جانب من جوانب الصورة عن المشهد الثقافي بين طلاب العلم ومدى متابعتهم واهتماماتهم بالقراءة المنهجية الجادة كدور من أدوار تبليغ قراءة الإسلام بالطرق والأساليب الصحيحة.
- التعرف على المواقف والأراء حول الشعار الذي تم إطلاقه هذا العام ١٤٣٠ هـ بعنوان: اقرأ إسلامك.
- محاولة توفير الجو للاهتمام بالشعار وإشراك العينة المستهدفة في تفعيله.

• التعرف على أهم أسباب قصور مستويات القراءة ومعدلات الفهم عند الشباب.

• بذل الجهد وتركيزه من أجل التوصل إلى قائمة تحصر المشكلات وتتقدم مجالات مقتربة لتطوير مشروع (اقرأ إسلامك)...

عينة البحث

تم اختيار العينة التي طبقت عليها الأسئلة من طلبة العلم في المحوza كونهم من القراء والقائمين على الأنشطة الثقافية والمبرر لاختيارهم لخبرتهم الميدانية ولقدراتهم على الإجابة على الأسئلة بفهم وعمق، فهم القائمون على أمر التعريف بالإسلام كمبلغين أو في طريقهم إلى ذلك من خلال الاهتمامات المجادة ولا شك في أن تنفيذ الأسئلة يعتمد على مدىوعي واقتتناع القائمين بجدواها، وهم بدورهم ينقلون هذا الوعي إلى جمهور وشراحت المجتمع ويقنعونهم بتبنيه والإيمان بحبيباته. ويمكن مراجعة الملحق للنظر للأسئلة بقسميها المفتوح والمغلق.

المدة والمكان: أسبوع واحد فقط من تاريخ ٦/٣/٢٠٠٩ م لغاية ١١/٣/٢٠٠٩ م
وقد أجري تطبيق البحث في مدينة قم المقدسة وبالتعاون مع مجلة "رسالة القلم" وجموعة من الإخوة وقد وصل - لأيدينا - خلال الفترة المحددة ٥٠ ورقة^(٣) فيها مؤشرات للإجابات التي أخذت رغم عمومية أكثر الأسئلة وعدم إلزاميتها لكن بقدر الإمكان بذل الجهد في محاولات تحديد النسبة المئوية^(٤) لأنه بعد ومعطى مهم وقد يعطي قيمة لعدد مرات تكرارها خلال تفريغ نتائجها وتحليلها بعد الدراسة والتدقق في فهم مضامينها وفرزها من أجل استعراضها هنا.^(٥)

تفریغ النتائج

أ- ما رأيكم في شعار - هذا العام - (اقرأ إسلامك)؟

والجدول التالي يشتمل على الآراء التي دونت مرتبة وفقاً لعدد تكرارها في

الإجابات (النسبة المئوية):

ت	مؤشر الإجابة	عدد مرات التكرار %
-١	جيد بسبب = ١٥	٣٠
-٢	جيد بشرط = ١٤	٢٨
-٣	جيد بشكل مطلق = ٦	١٢
-٤	جيد جداً بشرط = ٣	٦
-٥	مهم جداً بسبب = ٣	٦
-٦	جميل جداً بسبب = ٣	٦
-٧	لا أعلم = ٢	٦
-٨	توقف عن الإجابة كتابياً بسبب = ٢	٦
-٩	له ضرورة بسبب = ٢	٦
-١٠	لا يأس به بسبب = ٢	٦
-١١	خيار موفق بشرط = ٢	٦
-١٢	أهمية قصوى بسبب = ٢	٦
-١٣	أهمية قصوى بشرط = ٢	٦
-١٤	جيد جداً بشكل مطلق = ٢	٦
-١٥	جيد جداً بسبب = ٢	٦
-١٦	مثير إلى درجة كبيرة بشرط = ٢	٦

٦	عنوان رأي بشكل مطلق = ٢	-١٧
٦	رأي بشرط = ٢	-١٨
٦	رأي بسبب = ٢	-١٩
٦	قوى بشرط = ٢	-٢٠
٦	ممتاز بشكل مطلق = ٢	-٢١
٦	بدون إجابة = ٠	-٢٢

وبعد دراسة الجدول السابق لتحليل أجوبة سؤال (أ) المفتوح ؛ تبين ما يلي :

- ١ - هناك قائمة من الأسباب^(١) التي تجعل من طلبة العلم في حالات ترحيب وتقدير لخطوة الشعار كما هو واضح - بعض النظر عن مؤشر النسبة - في إجابة وتقديرات أراء كل من (٥) و(٦) و(٩) و(١٩) تبدو أهمية معندي بها .
- ٢ - توجد شروط كثيرة من المتابعين للشأن الثقافي في البحرين لتطوير برامج (إقرأ إسلامك) ومن الضروري التعرف على شروط^(٢) (٢) و(٤) و(١١) و(١٣) و(١٨) و(١٢) عند المفاوضات والحوارات العلمية .
- ٣ - تفاوت درجات التفاعل رغم بدايات تحريك الجانب الإعلامي للمشروع بعد مضي أكثر من شهر .
- ٤ - يمكن استثمار حرارة التجاوب بمزيد من التواصل مع المهتمين والذين تجذبهم الفعالية .
- ٥ - موقف الانتظار إلى تفاصيل مهمة وأسئلة تبحث عن إجابات مع سلبية الاستغراق في الانتظار بدون سعي وتحريك الطاقات والمواهب في اتجاه تحقيق ما يخدم دين الإسلام .

٦- حضور حالة النقد العلمي الموضوعي إذا استثمرت بالشكل المطلوب سيعزز من قوة نشاطات "اقرأ".

الآراء التي كتبت لإنجاح برامج الشعار وبعنوان شرط:

- لو يتم مخاطبة الشريحة الشبابية في عصرنا الحاضر.
- شريطة تحريكه وتفعيله بما يتناسب وحجم أهميته.
- مع التطبيق طبعاً- أهمية قصوى وخاصة في الوقت الحاضر.
- مثير إلى درجة كبيرة إذا تم وضعه في المكان الصحيح.
- العنوان عام، والأفضل التحديد حتى يمكن تقييم البرامج والنتائج بشكل أفضل.
- التركيز على المحدود الصغرى .. مثلاً: "عقائدي كمسلم" ..
- استبعاد لفظة "اقرأ" لكي لا يستغله البعض لأهداف شيطانية في إثارة شبهة "تعدد القراءات".
- لعل "فهم إسلامك" أكثر وضوحاً في تأدية المعنى المراد.
- لنعرف من أين نبدأ، وكيف يمكن أن نعيد بناء الثقاقة على أساس ركائز من القيم الإلهية لتصبح تلك الكلمة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.
- لو كانت العبارة: (كيف تقرأ إسلامك؟).

ب- ما هو دور طلبة العلوم الدينية في تفعيل الشعار؟

وفيما يلي بيان بالأدوار المقترحة حسب النسبة الأكبر:

ت	مؤشر الإجابة	عدد مرات التكرار %
---	--------------	--------------------

٢٦	التبليغ بالكتابة وإصدار ما يثري ويفيد الناس = ١٣	-١
١٦	التصدي بالمنبر الواعي البعيد عن الغرافات = ٨	-٢
١٢	إعداد الدراسات المتوازنة بين عمق الأصالة وأبعاد المعاصرة = ٦	-٣
١٢	الاشتراك في الندوات والمحاضرات والإجابة على الأسئلة = ٦	-٤
١٠	المشاركة في اللقاءات والاجتماعات الجادة = ٥	-٥
١٠	التواضع العلمي والتواصل مع أهل الاختصاصات = ٥	-٦
٨	دراسة القرآن وأحاديث أهل البيت وربط الشعار بها = ٤	-٧
٨	التعاون والاعتماد على المبلغين الوعيين لأهمية أبعاد الشعار = ٤	-٨
٨	إقامة المسابقات وتقويم المحفزات المعنوية والمادية = ٤	-٩
٦	تقييم أداء المؤسسات الثقافية والنقد البناء للمبلغين في حالات التقصير = ٣	-١٠
٤	تجنب المبلغين - بقدر الإمكان - الخوض في تفاصيل الاختلافات السياسية = ٢	-١١
٤	إبداع القصص وإعداد الأفلام ومحاولة إنتاج (CD)=٢	-١٢
٤	استخدام التقنيات الحديثة والسعى للإبداع في الجوانب العصرية = ٢	-١٣
٤	الإسهام في تأسيس المكتبات بأنواعها الخاصة وال العامة = ٢	-١٤
٦	المشاركة في المنتديات والصفحات الإلكترونية والمدونات = ٣	-١٥

ومن قراءة الجدول السابق الخاص بمفردات سؤال:(ب) تتبيّن أمور عديدة:-

- ١- لازالت بداية تحريك العجلة لم تبدأ عند الطلبة والمبلغين في البحث عن الدور الخاص لخدمة شعار مهم بدلاً من العموميات التي لا تكفي لخلق جو الاهتمام

الجاد كما في التأخير لرقم (٦) وهو مفردة عامة لها تفاصيلها.

٢- أهمية الأساليب التقليدية إلى جانب محاولة تركيز الدور الإبداعي الذي يحفظ الأصالة للجيل ما أشار له (٣).

٣- ضرورة مواجهة المخلل في منهجية التبليغ وما يتعلق بتأهيل المبلغين لأداء الدور المطلوب كما عن (٢) و(١).

٤- الاستمرار في فتح المجال للمبادرات والأدوار النوعية وتأكيد الجدية في تلقي الآراء والدراسات لرسالة "اقرأ" من الممكن أن يفتح مساحة معقولة من التأثير والوعي على الساحة الإسلامية بل ويؤثر أيضاً على دائرة بعض أتباع التيارات الأخرى إذا حصل تطوير لانتقال من قوة الدفاع إلى قدرة الهجوم بالمنطقية والحكمة .

٥- من أهم المهام هو تفصيل أولويات المشروع الثقافي إنطلاقاً من محورية مصادر الفكر الإسلامي: القرآن وحديث أهل البيت عليهم السلام، وضرورة قراءة المبلغين لما في دورات طويلة أو متوسطة وأخرى قصيرة جداً واستخدام أحدث التقنيات والوسائل للتبلیغ كاً أشارت إليه كل من مؤشرات (١١) و(١٠) و(٦).



ج- ما مدى مناسبة شعار (اقرأ إسلامك) لاهتمامات شرائح المجتمع؟

توزعت الإجابات على النحو التالي:

عدد مرات التكرار %	مؤشر الإجابة	ت
٢٦	- مناسبة جداً بشكل مطلق = ١٣	- ١

٢٦	- مناسبة بشرط = ١٣	-٢
١٦	- مناسبة بشكل مطلق = ٨	-٣
٢٠	- مناسبة إلى حد ما = ١٠	-٤
٤	- مناسبة جداً بشرط = ٢	-٥
٤	- بدون إجابة = ٢	-٦
٤	- لا أراء مناسب = ٢	-٧
٤	- لا أدرى = ٢	-٨

وصف مؤشرات الإجابة لأول وهلة لأجوبة سؤال(ج) قد يدلل على سمات إيجابية كما عند (١) و(٣) ليكشف عن جماليات الذوق الرفيع للمتابعين والوعي ودرجات التقدير والتشمين للجهود المخلصة المبذولة ولكنها قد تكون توصيفات عامة لم تدخل في التفاصيل بشكل أكثر، ورغم ذلك إذا حدد البحث تصنيف الإجابات ضمن ثلاثة أقسام ومراحل والتي أعلاه: بيان إجابات المدح المطلق وله قيمته وأثره بالتأكيد في تحديد قياس الرأي والموقف، ولكن يمكن تجاوزه إلى تعميق الاستدلال بما يفيد العمل وتأصيله النظري - التطبيقي من أجل إضفاء المزيد من مصداقية الاستمرار والعطاء، والمقصود من المرحلة الثانية كما عند (٢) و(٥) هو: البحث عن أسباب مناسبة الشعار عند مجموعة الآراء المستخرجة ودراستها باستيعاب، وثالثاً: التنقيب عن جملة الشروط التي يتقدم بها النقاد للإصلاح بختلف أبعاد تفاصيلها وأشكالها الضرورية التي قد تغيب عن أذهان العاملين والقائمين على الأنشطة الثقافية.^(٨)

وأما تفسير ظاهرة "لا أدرى" في مناسبة الشعار للمجتمع كما في رقم (٧) فترجع إلى أسباب منها: عدم وضوح السؤال المطروح وترك الإجابة كما في رقم (٥)، قرينة

على الصعوبة وال الحاجة لمزيد من التفكير لكتابه الجواب ربما..

وأما عن سبب القطع في عدم مناسبة الشعار للمجتمع كما هو في رقم (٦) والقول مثلاً: (لا أراه يجعل المجتمع يهتم به كثيراً) فهي عبارة معتمد بها حتى وإن كانت نسبتها المئوية قليلة والسبب في الحيط والظرف الاجتماعي المتسم بالأحداث واللوبس والخالط في تقدير الأولويات والرجو النظر إليها بتقدير واحترام فائق من خلال استثمارها بدلاً عن قمع الكلمة الطيبة ولها معاييرها إذا كانت صادرة من قلب مؤمن يحترق من أجل الإسلام!!!



د- ما هي مقتراحاتكم لإعداد دليل استرشادي لقراءة الكتب الإسلامية؟

عدد مرات التكرار٪	أ- مؤشر الإجابة العام	ت
٥٠	عدد الاقتراحات الخاصة بالدليل الإرشادي = ٢٥	-١
١٢	عدد التصريحات بأهمية تطبيق فكرة الدليل = ٦	-٢
١٠	عدد الاقتراحات العامة والملاحظات الخارجية عن دائرة الدليل الإرشادي = ٥	-٣
١٠	بدون إجابة = ٥	-٤
٦	تعليقات لداعي لها = ٣	-٥
٠	لا يوجد عندهم مقتراحات = ٠	-٦

يلاحظ من جدول أ- المخصص للمؤشرات الإحصائية العامة للإجابات.

١- ظهر الإهتمام والتفاعل بالنظر إلى الكمية الكثيرة من المقتراحات المقدمة كما في (١) و(٢).

٢- فكرة الدليل الاسترشادي أثارت الاهتمام الأكثر لأن السؤال كان محدداً فيه وقد بدا ملفتاً للنظر كما يبدو..

٣- بعض الإجابات كانت غير مطلوبة، بمعنى أنها ليست في محلها وإن كانت مفيدة بشكل عام للبحث.

رقم (٤) من الجدول يؤشر إلى ترك عدد من العينة للإجابات والسبب الأبرز الحاجة لمزيد من الوقت والتفكير وجهد الكتابة وغير ذلك من الأسباب لكن بشكل عام هناك تجاوب جيد.

فيما يلي مقرنات مرتبة بحسب عدد مرات التكرار:

عدد مرات التكرار %	بـ مؤشر مقرنات الدليل	ت
٢٠	أن يضم أفكاراً مؤلفين واعين وقدوة في دورهم = ١٠	-١
١٨	أن تحتوي مادته على النقد الذاتي لخلل المسلمين ونقد الفكر المضاد للدين = ٩	-٢
١٦	إعداد الدليل لجميع شرائح المجتمع = ٨	-٣
١٤	دقة اختيار مختلف الخبراء والمختصين على أن يكون معظم علماء دين = ٧	-٤
١٤	التأكيد على أن يكون الدليل مطعماً بالأيات والأحاديث = ٧	-٥
١٢	التركيز على أولوية مخاطبة فئة الشباب من ١٨ إلى ٢٠ = ٦	-٦
١٢	أن يكون الدليل كتاباً سنوياً وسلسلة متكاملة للأعمار = ٦	-٧
١٠	أولوية طرح مادة العقائد والأخلاق والفقه وتفسير القرآن = ٥	-٨
١٠	أولوية الاهتمام بشؤون المرأة والأسرة والطفل = ٥	-٩
٨	أولوية تحديد نماذج من الشخصيات والكتاب وتقديمهم على	-١٠

٨	غيرهم = ٤ التأكيد على فكرة (قراءة في كتاب) = ٤	-١١
٨	الاهتمام بمختلف أشكال الكتاب وتفعيل قراءته = ٢	-١٢
٦	أن يكون مدرسة- جامعة فيها نظام داخلي ومنهاج علمي ودورات قصيرة = ٢	-١٢
٦	التركيز على المسابقات = ٣	-١٤
٦	أن يكون موقعها إلكترونياً ومركزها إعلامياً ثابتاً وباستمرار = ٢	-١٥
٤	الاهتمام بالجوانب الفنية من فهرسة وتعليمات طريقة الإفادة = ٢	-١٦
٤	إعادة تأهيل الكتب الصعبة وجعلها كراسات صغيرة = ٢	-١٧

وبعد دراسة الجدول السابق هنا نحاول تسلیط الضوء على بعض النقاط بشكل موجز لأهمها:

- ١- يلاحظ جودة نوعية الكثير من الأسئلة وهو مؤشر إيجابي في التجاوب مع أنها- أي الأسئلة- لم تكن إلزامية على القراء الذين كتبوا ما قد ينبه ويثير الانفتاث إلى نقاط جديرة بالبحث والدراسة..
- ٢- جاء في المرتبة الأولى مقترن الدليل الإرشادي لابد أن يضم أفكاراً مؤلفين واعين وقدوة في دورهم رغم أن السؤال مفتوح ولم تحدد اختيارات معينة وإلا كانت النسبة المتوقعة أكبر بكثير وال اختيار مؤشر خبرة وحصيلة معاناة واقعية..
- ٣- جاء في المرتبة الثانية ضرورة التأكيد على النقد المنضبط بمعايير موضوعية وأسس واضحة المعالم في توجيه النقد وتفعيله داخل واقع الدائرة الإسلامية قبل الدائرة الأوسع لأسباب معتمد بها كما في رقم (٢).
- ٤- يبدو من رقم (٤) تقدير طلبة العلم والمبلغين لأصحاب النظر من

التخصصات الإنسانية المختلفة.

٥- بالنسبة إلى التأصيل الإسلامي توجد أولويات كما يوضح الجدول في ٦، ٨ . ٩ . ١٠

٦- يلاحظ تطور فكرة الدليل من كتاب إلى موقع إلكتروني ومركز إعلامي ثقافي (أنظر ١٥).

ويبقى البحث بحاجة إلى مزيد من المثابرة وتطافر الجهود ولكن في المقابل هناك تجارب وأعمال سابقة من المناسب تقييمها ومواصلة المسير على هديها ومحاولة الابتكار والإبداع في جوانب جديدة.



هـ- ما أسباب قصور قراءة بعض شرائح الشباب في استيعاب وفهم رؤية الإسلام من وجهة نظرك؟

فيما يلي بيان الإجابة مرتبة حسب عدد مرات التكرار:

عدد مرات التكرار %	مؤشر الإجابة عن أسباب قصور قراءة بعض شرائح الشباب	ت
٣٦	تأثيرات الفزو الثقافي والإعلام المضاد وتحديات العولمة = ١٨	-١
٢٢	قصور المبنين للإسلام وتقصيراتهم = ١١	-٢
١٦	البعد في التبليغ عن مراعاة مقتضيات العصر = ٨	-٣
١٤	نقص البرامج والأنشطة الإسلامية = ٧	-٤
١٢	الحواجز النفسية وضعف أداء التواصل = ٦	-٥
١٢	التصورات الناقصة وجهل بعض الشباب = ٦	-٦
١٢	الأسباب المالية والاقتصادية = ٦	-٧

١٠	النماذج السيئة وغياب الفدوة الحسنة = ٥	-٨
١٠	التربية الأسرية الخاطئة = ٥	-٩
٨	اختيار كتب غير مناسبة = ٤	-١٠
٨	ضعف صياغة الكتاب الإسلامي في الجذب وقلة الإبداع في حفظ أصله العigel = ٤	-١١
٨	قلة الإمام بالقواعد والأسس النظرية = ٤	-١٢
٨	ضعف العمل المؤسساتي الثقافي العام = ٣	-١٣
٦	مشكلات إدارة الوقت وقابليات استثماره = ٤	-١٤
٨	أداء المؤسسات الدينية = ٢	-١٥
٦	فرص الحرية الفكرية الطبيعية = ٣	-١٦
٦	الأسباب السياسية وتأثيراتها السلبية على اضطراب الفكر وخلق الاختلافات = ٣	-١٧

يتضح من المجدول السابق: التقييم العام للأسباب العامة للقصور في فهم الإسلام - حسب آراء الإجابات المتقدمة - ولكن الأهم منها ما يتصل بوعي مواجهة تلكم الأسباب من خلال أداء دور المبلغين في التخفيف من أشكالها وأنواعها لأنها أسباب اختيارية في الأغلب حسب مفاد المؤشرات مثل رقم (٣) و(١١) و(١٢) و(١٤) و(١٥) وليس كلها قهرية وليست باليد ولا يمكن مقاومتها - أي مشكلة قصور القراءة - على الإطلاق مما يعني أن مجالات المسؤولية الدينية، تستمر في مظاهرها ويبقى النقد الذاتي وتقليل النظر حتى بوجود التحديات الطاغية التي تكون عامل إثارة من جهات عديدة أيضاً - لتحريك محاولات البحث عن حلول ممكنة والسعى لاتخاذ خطوات وأساليب مؤثرة ومنتجة على المستوى بعيد على أقل التقادير.

وتوجد ملاحظة لابد من الإشارة إليها وهي أن هناك عوامل عديدة لأسباب

مشكلة فهم بعض الشباب للإسلام عندما يظهر عليها الخلل والنقصان، منها على سبيل المثال: التأثير الإعلامي وسلط الاستكبار العالمي على الشعوب ...



و- ماهي نواحي النقص في أسئلة هذه الاستمارة ولاحظاتكم على محتوياتها
وهل عندكم بعض المقترنات " تكتب؟"

نواحي إحصاء النقص واللاحظات أو المقترنات التي وردت مرتبة بحسب عدد

مرات التكرار:

عدد مرات التكرار %	مؤشر نقد وتطوير الأسئلة	ت
٤٢	متروكة بدون إجابة = ٢١	-١
٨	عدد من لم يلاحظ نقصا ما = ٤	-٢
٢٨	عدد الإشكالات واللاحظات المكتوبة والتي يعتقد بها = ١٩	-٣
٨	عدد الإشكالات واللاحظات المردود عليها = ٤	-٤
١٢	عدد الاقتراحات الخاصة لتطوير الأسئلة في حالة الحاجة لتكرار البحث = ٦	-٥
٦	عدد الاقتراحات العامة الخارجة عن دائرة السؤال = ٣	-٦
٨	عدد التصريحات بأهمية أو دور إثارة هذه الأسئلة في تعديل الشعار = ٤ في (و)	-٧

إضافة إلى المؤشرات المبينة في الجدول أعلاه يوجد قسمان من حصيلة المقترنات. الأول: يتعلق بنفس الأسئلة، والثاني: يرتبط بالشعار:

١- الاقتراحات واللاحظات المتعلقة بالإسئلة:

أ- الملاحظات والإشكالات:

- الإستمارة لا تفصل أولويات مجالات القراءة، ولا تقتصر خطورة الغزو الثقافي بشكل مباشر، ولا تغطي جوانب المشروع في البحرين بشكل كاف، وعدم مراعاة التقارب والتواصل التكاملية بين أهل العلم الحوزوي والتخصصات الأخرى خارج الحوزة، ويلاحظ غياب بعض التفاصيل المهمة، وعادة الإستمارات لا تكون كتابة بل تكون باختيارات وهذه الإستمارة فقدت الجانب العلمي البحسي؛ لأن المعلومات الواردة فيها، تفرعها سيكون صعبا ومصيرها الإدراجه، ولماذا الاقتصار على طلبة العلوم الدينية فقط؟! وأيضا - توجد ملاحظة على أساليب الأسئلة ومشكلة الإستمارة أنها عامة وغير محددة الأهداف والجهات، وملحوظة عدم تحديد المنطقة والأسئلة يشوبها شيء من التشويش من جهة عدم الوضوح من مراداتها وعدم وضوح الأسئلة العامة الفضفاضة، ولا بد أن تكون الأسئلة أكثر موضوعية ومصداقية لشعار "اقرأ إسلامك" ولا بد أن تكون قبل طرح الشعار أفضل لتفادي بعض السلبيات بعد الإتيان بالعمل والإقدام عليه وينبغي إرسال ورقة تبين محتوى وأهداف هذا الشعار لكي تفتح الرؤية الكاملة لمن يتطرق للاستبيان الذي فيه من نواحي النقص الكثيرة التي منها: الخط صغير جدا، مساحة الكتابة غير متناسبة مع الجواب المفترض، الأسئلة غير مرتبة في تسلسلها (يفترض أن يأتي سؤال ٤ بعد ١، وسؤال ٣ قبل ٤، وسؤال وبالختام)، قصور في الإخراج الفني إذ تكرر العنوان مرتين - في بعض النسخ - وكانت المقدمة طويلة واستخدمت حروف الهجاء لتسلسل الأسئلة والأجدر استعمال التسلسل الرقمي. الحركة جيدة مهما كانت حق وإن كانت في معنى من المعاني سلبية (اتجاه خاص).

- أ- طرح بعض العقائد والمفاهيم التي يتبعها الإخوة.
- ب- تحديد الملامح المقترحة للمشروع وأخذ الانتقادات والتوجيهات.

ج - تعيين موقع أو مقر للمراسلة أو الاتصال حتى يتحقق الطلب.



ب - مقترنات لتطوير وإعداد الإستبيان:

ولأجل تطوير أسئلة الشعار؛ عقد ملتقى "إقرأ إسلامك" للتشاور مع المثقفين للخروج بصياغة العرض والطرح. بأن يتم طرح أسئلة مفتوحة ومغلقة أكثر، واقتراح إضافة بعض الأسئلة على سبيل المثال: برأيكم ما هي تداعيات هذا المشروع في المستويين: الداخلي والخارجي؟ وما هي الأولويات لطرح الشعار وهل الإسلام هو العقيدة أم جوانب المعرفة والتربية والمجتمع؟ ويقترح - أيضاً - سؤال فيه عن البرامج المقترنة.. وليس حصر ذلك في الدليل الإسترشادي وهذا الإستبيان يمثل خطوة متميزة وجميلة في تفعيل الشعار، فنتمنى أن يكون مثله في المحوظات العلمية داخل البحرين، ونشر نتائجها، لأن لغة الاستبيانات ترسخ من أهمية الموضوع ومحاولة وضع حقل يمثل فيه إحصائية مسبقة من قبل بعض المفكرين أو المثقفين الذين قدموا طرحاً فكريّاً يشابه هذا الطرح أو يقاربه بحيث تقدم فيه الاحصائيات والنتائج التي توفر للمطلع ثقة أكبر.

٢- بعض المقترنات التي تتعلق بالشعار:

- إيجاد برامج هادفة ومكثفة من أجل رفع مستوى الوعي الإسلامي الأصيل لدى أبناء المجتمع المسلم خصوصاً قطاع الشباب وتقديم الإسلام الذي أراده الرسول وأئمة أهل البيت عليهما السلام للناس أجمعين.

- التوسيعة في دائرة المخاطبين لتشمل كل شرائح المجتمع المسلم.

- توفير وسائل نشر هذا المشروع وأمثاله.

- أود الإشارة إلى أنه لا يمكن تغيير المجتمع وإما التمسك بالدين الإسلامي وتفعيل ذلك في سلوكنا وأخلاقنا...
- مفهوم أقرأ إسلامك، قد يوهم أن المقصود ينحصر في قراءة الكتب الإسلامية، وهو غير مراد قطعاً بل المراد "افهم إسلامك"، بقراءة أو محاضرة أو فلم أو...
- على إن عنوان الشعار لو قرأ (كيف تقرأ إسلامك) لكان أكثر إثارة للنكات الفكرية من العنوان الأول.
- هل هي مستندة إلى برنامج متصور بشكل مبدئي استند إليه طرح الشعار؟
- لابد أن يكون متسع من الوقت لدراسة مثل هذا الشعار ولا يكون في وقت ضيق جداً.



١- هل لقي شعار (اقرأ إسلامك) صدى في الوسط الطلابي الحوزوي؟

ت	مؤشر الإجابة	عدد مرات التكرار %
-١	لا أعلم = ١٠	٢٠
-٢	بدون إجابة = ١٠	٢٠
-٣	نعم يلقى بشكل مطلق = ٧	١٤
-٤	نعم يلقى مع التعليق = ٥	١٠
-٥	لا يلقى مع التعليق = ٤	٨
-٦	يلقى إلى حد ما = ٧	١٤
-٧	لا يلقى بشكل مطلق = ٧	١٤
-٨	كتابة تعليق فقط = ٢	٤

من جدول أجوبة السؤال الأول من الأسئلة المغلقة؛ يلاحظ رقم (١) يؤشر على

عدم علم مجموعة بالشعار ولكن عند مراجعة الإجابات في رقم (٥) لمعرفة بعض الأسباب من خلال قراءة التعليقات التي كتبت إما بالتعليق مثل: "لا علم لي؛ لأنني فوجئت بهذه الاستماراة أو بالتعليق بعبارات: غير واضح لي مدى ذلك...!!" أو " لا إطلاع عندي" و"لا أدرى ولم أسمع أحدا يتكلّم عنه أو يناقشه" ..

وغير ذلك من النقد الشديد كالانشغال...، و"ليس مهمًا جداً عندهم لأنّه لا يخرج عن العادة والمألوف" ، و"السلبية مع القضايا سمة عامة وأيضاً قد ورد تعليق على نفس السؤال: "هذا سؤال سابق لأوانه.." .

أما إجابات مؤشر رقم (٤) وهو نعم يلقى (اقرأ إسلامك) صدى في الوسط المحوظي مع التعليقات التي جاءت بأشكال متعددة إما بذكر سبب التأثير الطلابي بجو الشعار في جملة: نعم بشكل حتمي لأنّه من صميم تخصصاتهم، ونعم هناك أصداء له لأنني قد سمعت الحديث عنه في العديد من الأوساط الطلابية. وإنما تصدر التعليقات للتأكيد على طبيعته حسب العادة والدور المفترض لأنّه: "من الطبيعي أن يتتأثر الذين نفروا لطلب العلم وهو شعار ملازم للفهم والدقة في التلقي والتطبيق" ، و"قراءة الإسلام بشكله الصحيح هو هم ومسؤولية تقع على عاتق طالب العلم، وأتى هذا الشعار لتعزيز هذا الدور. " وعلى نحو ثالث من الإجابات: "يعتمد على مدة نشاط القائمين على الشعار في تنشيطه..." .



٢- هل يوفر الشعار جواً مناسباً للتوعية والتبلیغ الإسلامي للقيام بالوظائف والأدوار في الساحة التربوية والثقافية والاجتماعية؟

ت	مؤشر الإجابة لدى توفير الجو	عدد مرات التكرار %
---	-----------------------------	--------------------

٥٠	نعم يوفر بشكل مطلق = ٢٥	-١
٢٠	نعم يوفر بشرط = ١٠	-٢
١٢	نعم يوفر إلى حد ما = ٦	-٣
١٢	بدون إجابة = ٦	-٤
٦	لا يوفر مع التعليق = ٣	-٥
.	لا يوفر مطلقاً = ٠	-٦

بعد مطالعة جدول أجبوبة السؤال الثاني من الأسئلة المغلقة من المهم تحليل آراء القائلين بأن الشعار لوحده لا يكفي، وهو عامل مساعد ليس إلا.

وهو مؤشر رقم (٥) ومن قراءة إلى حد ما رقم (٣) تأتي عبارات: ويحتاج إلى تفعيل وهو أحد الوسائل ولكن ينبغي الاستمرار والشعار هو الخطوة الأولى في ذلك.

ويلاحظ بعد قراءة الآراء التي عبرت بـ(نعم يوفر بشروط) في رقم (٢): أن الشروط وردت كالتالي:

- "نعم إذا تم استثمار الأحداث والمناسبات وتجديد محاولة تحريك وبعث الاهتمامات وإيجاد أنشطة جادة ومؤثرة في الساحة، ونعم مع بذل الجهود الخيرة والمخلصة تحصل الأجزاء المناسبة".

- "و إذا فعلناه بصورة صحيحة، وفرغنا العديد من العلماء في هذا الشأن، وأصدرنا العديد من (السيديات) والكتب، "نعم - بعد الالتفات إلى أهمية ومسؤولية تطبيقه . و"نعم بالتأكيد إذا تم تفعيله على أرض الواقع ". و"نعم يتوقف ذلك على إجادة تفعيله بالبرامج المناسبة"، و"نعم المفروض إذا فعل بشكل جيد". "تفعيل الثقافة القراءة تؤدي إلى فهم الإسلام وفهم الإسلام يؤدي إلى القراءة والثقافة والاهتمام بالوعي الاجتماعي والسياسي".

كانت هذه أجوبة وآراء عينة البحث ومن الممكن أن تعاد التجربة مع عينة أخرى بعد تطوير الأسئلة الموجهة.



٣- هل يمكن وضع خطة علمية يستند إليها في برنامج القراءة؟ ويمكن تصنيف الإجابات تحت التقسيم التالي:

ت	مؤشر الإجابة	عدد مرات التكرار %
-١	نعم بشكل مطلق = ٢٠	٤٠
-٢	نعم بشرط = ١٩	٢٨
-٣	بدون إجابة = ٧	١٤
-٤	نعم ممكن إلى حد ما = ٢	٤
-٥	لا أدرى مع التعليق = ٢	٤
-٦	لا يمكن مطلقاً = ٠	٠

وقد تضمن المجدول السابق إجابات (١) بالموافقة المطلقة لخلفية وأسباب منطقية أو من غير أسباب واضحة، وهذا القسم فقط أعلن بدون تفاصيل بينما أنت إجابات (نعم ممكن بشرط) رقم (٢) بثباته تقويني تربوي وتشخيصي ولا توجد مؤشرات لنفي وضع الخطة الإرشادية من الأصل حسب مؤشر الصفر لرقم (٦)، لأنها قد تنظر إلى المشكلات التربوية والاجتماعية وتقترح الحلول لمعالجتها برؤية إسلامية عبر تصميم الدليل بإشراف فريق عمل مكون من علماء الدين وبقية أفراد ومؤسسات الإختصاص الأخرى لأن جميع الإجابات من طلبة الحوزة والحافظين ويبدو أنه لا توجد عندهم حساسية معايرة لاشتراطات من قبيل: أن يكون الدليل غير ملزم للشباب وأن يكون قياداً يعطى على الإطلاق على مؤلفين آخرين غير مقتربين

وعليه بالإمكان وضع خطة إرشادية ترمي إلى تنمية محددة للوصول إلى غاية محددة شريطة ألا تكون بالنسبة للشباب الناشئ كالقالب الحديدي المصوبة التي لا يمكن تجاوزها بل ينبغي مع وضعها مراعاة تحقيق المرونة والاهتمام برعاية النمو العقلي وتطور المجتمع ومشاكله، والميول العاطفية، والمهم هو أن يطبق القراء الشباب أغلبية الخطة ويلتزمون بأهدافها مع أهمية جعل مجالات القراءة مفتوحة و اختيارية^٩ ويمكن توجيه إشارات عامة خلال المناخات الثقافية والتربية المتنوعة التي توفرها المناسبات الإسلامية والمسابقات والأنشطة الثقافية والأدبية التي تبني الشباب على أساس إعدادهم للعمل الاجتماعي الخيري وكوادر إلى النشاط الثقافي والتعليمي وللمواقف الحيوية المختلفة كونهم قادة للمستقبل.

بعض أسباب عدم الإجابات: جاء مؤشر رقم (٣) رجأ لعدم وجود الوقت الكافي بنسبة معينة أو عدم فهم السؤال لصعوبته أو بسبب حاجته إلى مزيد من التفكير وعدم وجود خيارات محددة تسهل الإجابة وتختصر الجهد والوقت. ولعل جواب: لا أدرى في مؤشر رقم (٥) ناشئ من التفاوت وصعوبة الأمر وهو يلتقي مع مؤشر الرأي الذي يقول أنه ممكن إلى حد ما في رقم (٤).

إلى هنا وقد طرحت فكرة الدليل الاسترشادي على أمل مناقشتها بالتفصيل في جلسة نقاشية خاصة.^(١٠)

٤- ما درجة عنایة طلبة العلوم الدينية مع أنفسهم بعنوان: (إقرأ إسلامك)?

وفيمما يلي بيان بالإجابة مرتبة حسب مرات التكرار؟

مؤشر الإجابة	ت
عدد مرات التكرار %	

١٤	٧ = لا أعلم	-١
١٤	قليلة وضعيفة بوجه عام = ٧	-٢
١٤	بدون إجابة = ٧	-٣
١٢	متفاوتة = ٦	-٤
١٠	متوسط = ٥	-٥
٦	يلقي عناء جيدة = ٤	-٦
٦	لا أعلم ولكن المفترض = ٣	-٧
٦	الأغلب لا يعتني = ٣	-٨
٦	قليل بسبب = ٣	-٩
٦	توقف واحتراز مع كتابة تعليق = ٣	-١٠
٦	العناء موجودة ولكن الجودة مشروطة = ٣	-١١
٦	درجة كبيرة = ٣	-١٢
٦	جيد جدا = ٣	-١٣
٤	الأغلب يقرؤون مع نظرة محدودة = ٢	-١٤
٤	لا أعلم بتعليق = ٢	-١٥
٢	لا عناء لهم إطلاقا = ١	-١٦

وقد أتت الإجابات مفتوحة على السؤال الرابع من الأسئلة المغلقة - في تحديد الدرجات متفاوتة في الدقة وهو أمر طبيعي في التقييم العام ولأن تصميم الأسئلة لم يعتمد التحديد والحصر لأسباب معتمد بها وأبرزها دواعي المرحلة التجريبية وفرضية وعي وسط العينة من طلبة الدراسات الإسلامية لأصل قراءة الإسلام ومتطلباتها أكثر من غيرهم عرفا وعادة.

ويلاحظ - من الجدول - مثلا: إجابات لا أعلم رقم (١) هي أرفع المؤشرات

دلالة على الهروب أو محاولة إلقاء المسؤولية على الغير ربما والانشغال في اهتمامات أخرى بخلاف إتجاه إجابة رقم (٧) الذي يحمل النفس بالمسؤولية من خلال قوله: لا أعلم ولكن المفترض عنناية الطلبة لأنه يخصهم، وقول آخر: خصوصاً أنهم سيكونون مبلغين في الغد وقراءة الإسلام وتطبيقه لابد أن يكون لهم الأكبر عندهم.

هذا ويأتي مؤشر رقم (٣) من الجدول - بظاهره ترك الإجابة إما لصعوبة الجواب أو لما يسبب الانزعاج من السؤال التقييل الذي من المتوقع أن يكون آخر الأسئلة.

أسباب مؤشر رقم (١٦) لا يلقى عنایة: أما بالنسبة لأسباب تخلي البعض عن تفعيل القراءة في غير الكتب الدراسية فقد ظهرت من الإجابات - الأسباب التالية^(١١):

١- الانهيار في الدراسة وعدم وجود مؤسسات حاضنة وقد كتب شخص هذه العبارة بالتحديد: "لا نرى الاهتمام كثيراً وواسعاً مثل هذا الشعار لانشغال الطلاب إما بالدراسة وإما بعدم وجود مؤسسات حاضنة للفعاليات الثقافية والتربية الجادة".

٢- الأسباب الاقتصادية وكما قال أحدهم: "وجل الملح التي تعطى لغرض شراء الكتب تباع دون أن يشتري بها كتاب".

٣- المحمود وغياب الوعي الصحيح: ومن أسباب قلة وضعف التوجه للقراءة غياب المنهجية الشاملة والمحمود - حسب الأجوبة والآراء التي كتبت: " لأن قراءة الإسلام ليس محصوراً في مجالات الفقه والأصول والعقائد الحقة بل هناك مجالات التربية والعلوم الإنسانية والاجتماع والسياسة وما يساعد على تشكيل النظرة

الشمولية والعمق في الفهم واعتماد محورية القرآن والسنة القطعية ومرجعية أهل البيت عليه السلام وحسب نظرة شخص آخر كتب تقييمه: " - غالباً لا يهتمون بالقراءة الوعية المفيدة ولا يحاولون إعادة النظر في الموروث المعرفي الديني " وهناك رأي " مع الأسف أغلبهم في غفلة عن هذا العنوان بشكل عام " ورأي ثالث ينتقد بشدة وقد كتب: " .. كثير منهم لا يفهمون الإسلام كنظام يقود الحياة - على حد تعبير المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر .. لأنهم يقتصرن على المعنى الضيق (للفقه) وهو الأحكام الشرعية فحسب .. مع أن (الفقه) له معنى واسع من منظور قرآني ليشمل فقه حركة التاريخ والمجتمع وعوامل سقوط ونشوء الحضارات والأمم ..

المتردد من الإجابة: من تعليقات بعض المتوقفين عن ذكر تقييمهم وردت نصوصهم كالتالي:

أ- " .. لا يهم التقييم، ولكن الأهم من ذلك كله هو أن يعتمد الإخوة الطلبة لأنفسهم بربنا جما يخدم تعرفهم على إسلامهم، فإنه ينتظر منهم أن يبلغوه بأمانة ودقة ..".

ب- " .. فاقد الشيء لا يعطيه، فما لم يهتم طالب العلم ويقرأ إسلامه ويتعمق في ذلك ويدقق ويكتسب القدرة على رد كل ما يمكنه أن يطرح من إشكالات فلن يتمكن من هداية المجتمع لصراط الإسلام السوي ".

شروط جودة القراءة: شروط جودة القراءة حسب ما ذكرته الإجابات: العمق في الفهم واعتماد محورية القرآن الكريم ومرجعية أهل البيت والقراءة الصحيحة والمنظمة وعدم حصر القراءة في بعض العلوم التخصصية الحوزوية، والإقبال على

مجالات التربية والمجتمع والسياسة من العلوم الإنسانية وقوية النظرة الشاملة في القراءة ومحاولة رفدها دائمًا بالجديد والتنوع المفيد وتوفير الجو الروحي والوجداني الثقافي بشكل كاف وتوفير المناخ المناسب وإعادة النظر في بعض الموروثات المعرفية الاجتماعية. وتنبيه الوسط الشبابي من الغفلة ومحاولة تقوية الإرادة وشحذ الهم ومنهج منظم ومدروس للقراءة.



ملحق: نموذج الأسئلة المعدة حول شعار: (اقرأ إسلامك)

أطلق المجلس الإسلامي العلمائي في البحرين شعاراً بعنوان: (اقرأ إسلامك) و مجلة "رسالة القلم" بدورها أعدت ميدانياً ما يعكس آراء عينة من طلبة العلوم الدينية والبالغين في مدينة قم حوله لأجل كتابة بحث قصير أو تقرير بالنسبة؛ لقياس مدى الاهتمام بالشعار كمشروع إسلامي ووعي أهدافه وأسبابه ومدى وضوح الصلة بين القراءة وبين جودة التبليغ أو تحسين مستويات التعرف على الإسلام وتعزيز فهم مسائله والاستفادة من القراءة في شق مجالات معرفة أصول فكر الإسلام وتفاصيله وما هو دور البالغين والعارفين بالإسلام في تفعيل قراءة الإسلام بشكل متقن.

علماً بأن نتائج الأجبوبة على الأسئلة سيكون لها دور في توضيح جانب من جوانب الصورة عن المشهد الثقافي بين طلاب العلم ومدى متابعتهم واهتماماتهم بالقراءة المنهجية الحادة كدور من أدوار تبليغ قراءة الإسلام بالطرق والأساليب الصحيحة.

المدة خلال أسبوع واحد فقط من تاريخ ٢٦ / ٢ / ٢٠٠٩ م لغاية ٢٠٠٩ / ١١ م .

الاسم (اختياري):

البريد الإلكتروني:

تاريخ ملئ الاستماراة:

أسئلة حول شعار: (اقرأ إسلامك)

أ- ما رأيكم في شعار - هذا العام - (اقرأ إسلامك)؟

ب- ما هو دور طبة العلوم الدينية في تفعيل الشعار؟

- ١

- ٢

- ٣

ج- ما مدى مناسبة شعار (اقرأ إسلامك) لاهتمامات شرائح المجتمع؟

د- ما هي مقترحاتكم لاعداد دليل استرشادي لقراءة الكتب الإسلامية؟

- ١

- ٢

- ٣

هـ- ما أسباب قصور قراءة بعض شرائح الشباب في استيعاب وفهم رؤية
الإسلام من وجهة نظرك؟

- ١

- ٢

- ٣

و- ماهي نواحي النقص في أسئلة هذه الاستماراة وملحوظاتكم على محتوياتها؟
وهل عندكم بعض المقترفات؟ تكتب:

- ١- هل لقي شعار (اقرأ إسلامك) صدى في الوسط الظاهري الموزوي؟
- ٢- هل يوفر الشعار جوا مناسبا للتوعية والتبلیغ الإسلامي للقيام بالوظائف والأدوار في الساحة التربوية والثقافية والاجتماعية؟
- ٣- هل يمكن وضع خطة علمية يستند إليها في برنامج للقراءة؟
- ٤- ما درجة عنایة طلبة العلوم الدينية مع أنفسهم بعنوان: (اقرأ إسلامك)؟



المواهش:

- (١) مع الشكر والتقدير لكل من بذل الوقت والجهد للتعاون في توزيع واستلام الاستمارات.
- (٢) تجنب التسمية بعنوان: (الإستبيان) لأنه يحتاج إلى دقة علمية أكثر ويمكن عد هذه الأسئلة لتطوير حالة التجربة والانطلاق العملي.
- (٣) بقت مجموعة من الأجوبة تأخرت في الكتابة أو لم يتم استلامها بسبب الانشغال في كتابة هذا التقرير وضغط الوقت.
- (٤) من خلال النظر وقراءة الأجوبة ومحاولة اكتشاف القرائن التي قد تدل بعض الأحيان على موقف ورأي ما.
- (٥) إلى الآن - لم تناقش النتائج بشكل جماعي للخروج بتوصيات، وهي خطوة أولى لسد ثغرات البحث ونواقصه.
- (٦) وقد كتبت عددا من إجابات السؤال (أ) عن أسباب الموافقة على الشعار:
 - لأنه ينطلق من عمق الشعور بالمسؤولية نحو الإسلام ومحاولة ربط الإنسان بدينه وإسلامه.
 - لما يحمله من معنى واسع.

- لمعالجة قضايا الفهم الثقافي الدينى والوعي العقیدي، ودراسة التاريخ والسیرة، ومحاولات تنضیج إنتاج المشهد التربوي في إحياء المناسبات ووعي المحيط بالعامل المنھج مع العلم ومصادر الفكر الإسلامي.
- يشمل أبعاداً و مجالات متعددة السياق.
- لا بأس بهذا الشعار خصوصاً ونحن نعيش تراكمات من الموروثات التي تحوي الغث والسمين.
- بسبب طغيان الثقافة الغربية المنحلة والسلطة على الشباب بالخصوص عن طريق الوسائل الإعلامية المنحرفة.
- لأجل الوحدة الإسلامية في مقابل الاستكبار.
- أجواء الغزو الثقافي.
- يشير الفكرة للجماهير ويحرك شعور المسؤولية في الأمة لفهم الأسس والشاعر للمعرفة والعمل.
- يزيد من المخاطبين الاستفسار عن هوية الإسلام.
- ينبع عن صميم الحاجة لمجتمع الشباب وسائر الشرائح الموجودة في المجتمع الإسلامي.
- يستبطن الحث على معرفة الإسلام معرفة واعية من مصدرها الأصيل.
- كثيراً ما يقترب من الهدف والغاية في معرفة الإسلام الحقيقي والعمل به لتمثيل الدور الكبير والمسؤولية في الإحساس والتغيير .
- شعار يهم جميع أفراد المجتمع الإسلامي بختلف مستوياتهم وطبقاتهم دون استثناء، حيث يمثل دعوة جادة للقراءة الوعية والهادفة للدين الإسلامي وإشارة للتطبيق والالتزام بكل ما جاء فيه من أحكام وقيم.
- أن يقرأ المسلمون إسلامهم بوعي وبصيرة ومعاصرة، باعتباره الدين القيم، والهيمين، والذي يظهره الله على الدين كله ليقيمه الدولة العالمية، الشاهدة القوية المقدرة.
- يمثل حاجة ملحة.
- يمثل ما دعى إليه نبي الإسلام والصحابة والأئمة الأطهار لأن الهدف من مجيء الأنبياء هو

معرفة الله بواسطة الدين لأن الدين هو الذي يعرفك ويوصلك إلى الكمال..

- فيه دعوة إلى إعادة قراءة فهمنا للإسلام المتمثل بالمنظومة العقائدية والأخلاقية للتعمل بالإسلام، وهو شعار مهم وضروري في العصر الحاضر.

- جيد من حيث أنه جامع لكثير من النكبات الفكرية وعلى كافة المستويات العلمية والثقافية ومن حيث أنه يقوى ويعيد قراءة المسبقات الفكرية..

- فيه تناسب مع الواقع الاجتماعي الغافل عن أهمية القراءة والاطلاع.

(٧) ومن الشروط: التفعيل - وضعه في المكان المناسب - التحديد - المتابعة العملية - تغيير عبارة الشعار لأسباب تذكر.

(٨) وهي من مهمة ورش العمل وجلسات النقاش للتأكد من بعض الفرضيات والآراء واستكمال بعض الإجراءات الاختبارية لتحديد مدى سلامة النتائج المتوصّل إليها في أية عملية استطلاع للرأي العام.

(٩) الشهيد السيد باقر الحكيم في كتابه: (دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة) يذهب لامتياز توفير الحرية الفكرية كأساس بناء.

(١٠) مقترن للجلسة الحوارية الأسبوعية لتكميل أساسيات البحث في هذا الاتجاه.

(١١) ووردت أسباب مثل: ضيق الوقت - كثرة الأعمال - الحالة الروحية والإرادة - عدم توفر المناخات المناسبة.

الطريق إلى قراءة الإسلام

السيد مجید السيد حمزة العلوی

وقفة مع شعار المجلس

كـ جرت العادة في كل عام أن يطلق المجلس الإسلامي العلمائي في البحرين شعاراً يهدف من ورائه إلى تنشيط الساحة الإسلامية، وأن يكون لهذا الشعار حضوراً فاعلاً بين الناس، بحيث يلتفتون إلى مضامينه ومعناه ويترسخ في أذهانهم، ويلقى زخماً كبيراً في أوساطهم، فيتقبلونه ويتفاعلون معه حتى يجد هذا الشعار طريقه إلى أرض الواقع. هذه الخطوة من قبل المجلس مهمة جداً على طريق شد الناس إلى إسلامهم، وربطهم بنهجهم القويم الصافي، ومنبعهم الأصيل الذي يضمن لهم سعادة الدارين، ولقد أثبتت لنا التاريخ أنَّ الشعوب التي اتبعت الأطروحات والأيديولوجيات الأرضية من الماركسية والرأسمالية وغيرها وابتعدت عن منهج السماء كان نصيبها الفشل والضياع والسقوط في الهاوية، والواقع شاهد على ذلك.

كان شعار المجلس لهذا العام (اقرأ إسلامك)، فهو يتكون من كلمتين جميلتين، رائعتين، عميقتين في المعنى والمضمون. فمن أجل أن يتضح المقصود من هذا الشعار نحتاج أن نقف مع هاتين الكلمتين وقفه تأمل قصيرة.

القراءة مفتاح المعرفة

فالكلمة الأولى في الشعار هي القراءة، فالقراءة لها قداسة خاصة في نفوس البشر، وقد اكتسبت هذه القداسة من حيث أنها مفتاح للعلوم، والطريق للوصول

للمعرفة، وهي الوسيلة التي توصل الإنسان إلى التطور والتقدير العلمي والمعرفي على جميع الأصعدة والمستويات، ومن خلالها يستطيع الإنسان أن يشق طريقه إلى الكمال الإنساني الذي خلق من أجله.

ومن هنا نجد الإسلام العظيم قد أعطى هذه الكلمة وزناً خاصاً وموقعًا مرموقاً، حيث أول ما نزل الوحي على الرسول الأكرم ﷺ بدأ بهذه الكلمة، فالقرآن الذي استمر نزوله ثلاثة وعشرين عاماً بدأ بهذه الكلمة العظيمة «اقرأ». مع أنَّ القرآن يحتوي على ما يزيد على سبع وسبعين ألف كلمة، ومن بين كل هذا السيل الهائل من الكلمات كانت كلمة «اقرأ» هي الأولى في النزول. ومع أن في القرآن الكريم آلافاً من الأوامر مثل أقم الصلاة.. وآتوا الزكاة... وجاهدوا في سبيل الله وغيرها الكثير في القرآن ومن بين هذه الأوامر نزل هذا الأمر الأول «اقرأ».

من هنا يتضح لنا عظم شأن هذه الكلمة والقيمة العالية التي تمتلكها، من حيث أنها هي الوسيلة التي توصلنا إلى العلم والمعرفة، فالقرآن يكشف عن هذه الحقيقة في قوله ﷺ: «اقرأ وربك الأكرم»^(١)؛ فمع أن العلم والمعرفة هي غاية القراءة إلا أن الله ﷺ لم يبدأ القرآن الكريم بكلمة «تعلم» أو غيرها من الكلمات إنما بدأ بكلمة «اقرأ». ومهما تعددت الوسائل التي توصلنا إلى المعرفة -وما أكثرها في يومنا الحاضر- تبقى القراءة هي الوسيلة الأعظم والأبرز للتعلم والوصول للمعرفة.

بعد هذا يصل بنا المطاف للوقوف مع الكلمة المعرفة والمحظوظ في غمارها حتى تتضح الصورة أكثر وينكشف المعنى بصورة أوضح.

أثر المعرفة في حياة الإنسان

بعد أن اتضح لنا بأنه لا توجد موضوعية لكلمة القراءة في حد ذاتها إلا لأنها هي الموصلة إلى المعرفة والوسيلة الدالة عليها، على إثر ذلك نجد أن الدين الإسلامي قد أعطى لهذه الكلمة (المعرفة) مركزاً متميزاً ومقاماً رفيعاً بحيث عبر عنها بالخير الكثير الذي يُسعد الإنسان ويأخذ بيده إلى طريق الخير والصلاح، فقد جاء في تفسير الآية الكريمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٢) في تفسير العياشي، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم، وما من أحد يوت من المؤمنين أحب إلى إبليس من فقيه»^(٣) من هنا يعرف بأن المعرفة إذا نزلت بساحة أحد من الناس فقد نزلت بساحتها البركة والخير الكثير.

ومن جهة أخرى نجدها هي المقياس في أفضلية الإنسان على غيره من بني البشر فقد ورد عن الرسول الأكرم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة»^(٤) ، وفي مقام آخر نجد مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قد جعلها هي التي تعطي القيمة والدرجة الرفيعة للإنسان بين بني جنسه ففي هذا السياق ينقل لنا الإمام الحسين عن أبيه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول سمعت أبي علياً يقول: «قيمة كُلُّ امرئٍ مَا يُحْسِنُه»، وسمعت جدي يقول: «المعروف بقدر المعرفة»^(٥).

مضافاً إلى كل ذلك نجدها من جهة أخرى هي الميزان في قبول الأعمال، فقد ورد عن إمامنا أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ وَلَا مَعْرِفَةً إِلَّا بِعَمَلٍ؛ فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ الْمَعْرِفَةُ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلَا مَعْرِفَةً لَهُ، أَلَا إِنَّ الْإِيمَانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ»^(٦) ، وفي موقع آخر نجدها هي التي تدخل الإنسان تحت

عنوان الصالحين، فحتى يكون منهم فلا بد له من معرفة ثأره للدخول تحت هذا العنوان، فقد ورد عن إمامنا الصادق ع: «إِنَّكُمْ لَا تَكُونُونَ صَالِحِينَ حَتَّى تَعْرِفُوا...»^(٧) ، وغيرها الكثير الكثير من الروايات التي تبين موقع هذه الكلمة (المعرفة) كقاعدة للانطلاق في فهم الإسلام وتأثيره في حياة الإنسان.

حقيقة الإسلام

الكلمة الأخرى التي تضمنها الشعار هي (الإسلام)، والإسلام يعني التسليم، والمقصود منه التسليم لله عز وجل، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة ويقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٨)، ومعنى ذلك أن الدين الحقيقي عند الله هو التسليم لأوامره وللحقيقة. ومن أجل أن نعرف حقيقة الإسلام والتعرف على معناه بصورة أوضح نستعيير هذا البيان الرائع والعميق لمولانا أمير المؤمنين ومولى المتدين الإمام على بن أبي طالب ع حيث يقول: «لَا تُسْبِّنَ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي، الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَالْتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَل﴾^(٩).

الإمام في كلمته هذه يضع للإسلام ست مراحل:

الأولى: التسليم أمام الحقيقة.

الثانية: ثم يقول إن التسليم بغير يقين غير ممكن (إذ أن التسليم بغير يقين يعني الاستسلام الأعمى، لا التسليم الوعي).

الثالثة: ثم يقول إن اليقين هو التصديق (أي أن العلم وحده لا يكفي، بل لا بد من الاعتقاد والتصديق القلبين).

الرابعة: التصديق هو الإقرار (أي لا يكفي أن يكون الإيمان قليلاً فحسب، بل يجب إظهاره بشجاعة وقوّة).

الخامسة: ثم يقول إن الإقرار هو الأداء (أي أن الإقرار لا يكون مجرد القول باللسان، بل هو التزام بالمسؤولية).

السادسة: وأخيراً يقول إن الأداء هو العمل (أي إطاعة أوامر الله وتنفيذ البرامج الإلهية)؛ لأن الالتزام وتحمّل المسؤولية لا يعنيان سوى العمل. أمّا الذين يُسخرون كل قواهم وطاقتهم في عقد الجلسات تلو الجلسات وتقديم الاقتراحات وما إلى ذلك من الأمور التي لا تتطلّب سوى الكلام فلا هم تحملوا التزاماً ولا مسؤولية، ولا هم وعوا روح الإسلام حقاً. هذا أجلّ تفسير للإسلام من جميع جوانبه»^(١٠).

بعد أن وقفنا على المفردتين اللتين يتكون منهما الشعار، جاء دور الحديث عن المضمون العام للشعار. ومن أجل الوصول في ذلك نحتاج أن نطرح هذا السؤال.

لماذا نقرأ الإسلام؟

الجواب بكل سهولة لأنّه هو المنهج لحياتنا والطريق لسعادتنا؛ فلا تصح دنيا ولا تصح آخرة إلا به، ونحن نرى بأمهات أعيننا آثار الانفلات والابتعاد عن الإسلام، فلا حياة سعيدة في الدنيا ولا نجاة في الآخرة إلا بالإسلام العزيز.

وبما أنه هو خاتم الرسالات، وهي الرسالة التي جاء بها النبي الكريم ﷺ من أجل أن تُخرج الناسَ من الظلمات إلى النور، وتُوفّر لهم حياة كريم مطمئنة، من

أجل ذلك كله فلا بد أن نقرأه ونتعرف عليه. فهو المنهج الذي يكفل للبشرية سعادة الدارين، فهو الدين الخاتم الذي لا يقبل الله من أحد التدين بغيره وقد جاء هذا المعنى صريحاً في القرآن الكريم ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١١).

فهو المنهج القويم والنهج الإلهي الأكمل من بين الأديان والشرائع السماوية، وهو المخطط الذي رسمه الله تعالى لسلوك الإنسان الفكري والعملي، وهو الكفيل بإسعاد الإنسان إذا ما مشى على نهجه وسلك سبيله. إلا أنه ومع الأسف قد لا نبالغ إذا قلنا بأن هناك شريحة كبيرة من أبناء الأمة الإسلامية تعيش نوعاً من الأمية -أممية غير مباشرة- اتجاه رسالة السماء، مع أنهم يجيدون القراءة والكتابة ولكنهم يجهلون بعض الأساسيات التي يقوم عليها الدين الإسلامي، ويفتقرون إلى أبسط أبجديات هذا الدين. قد تواجهه أستاذًا جامعياً أو طبيباً أو مهندساً وتجده أمياً لا يتوفّر على أوليات الدين وأساسياته، فهذه مشكلة حقيقة تعيشها مجتمعاتنا وهي ظاهرة خطيرة.

فإنَّ المفتاحَ لحلِّ هذه المشكلة هو الانفتاح على قراءة الإسلام، القراءة الوعائية والصادقة العميقية والموضوعية التي توصلنا إلى المعرفة الحقة، وتنتشلنا من واقعنا الذي نعيشه. ومن هنا ينجرُّ بنا الكلام للحديث حول أهمية الدعوة المركزية التي أطلقها الإسلام للتتفقه في الدين والإطلاع على معارفه.

أهمية التفقه في الدين

التفقه بالمعنى الخاص:

عندما نلاحظ النصوص التي حثّت على ضرورة التفقه في الدين نجد هذه الدعوة تنحّل إلى نحوين من التفقه، الأول وهو الذي انصبّ على ضرورة أن تنبّري مجموعةً من المؤمنين للتخصص في علوم الدين وتحصيل علوم الشريعة، وهذا ما أشارت له الآية المباركة في سورة التوبة: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١٢). فالآية الكريمة تشير إلى ضرورة التفقه في الدين والمراد تحصيل جميع المعرف والأحكام الإسلامية، وهي أعمّ من الأصول والفروع، لأنّ كلّ هذه الأمور قد جُمعت في مفهوم التفقه. فالتفقه في الدين يعني أن يمتلك الإنسان رؤية واضحة عن المفاهيم الإسلامية، وأن يتتوفر على معرفة واضحة عن مقاصد الإسلام وبما يهتم به الإسلام من أهداف كبرى لا يرضي بتضييعها.

"فالآية الكريمة مضافاً إلى ذلك فإنّ فيها دليل واضح على وجوب توجيه فئة من المسلمين وجوباً كفائياً على الدوام لتحصيل العلوم في مختلف الحالات الإسلامية، وبعد الفراغ من التحصيل العلمي يرجعون إلى مختلف البلدان، وخصوصاً بلدانهم وأقوامهم، ويعلمونهم مختلف المسائل الإسلامية"^(١٣).

فهي توضح لنا أن التفقه المطلوب هنا هو التفقه بمعناه الخاص حيث أنها أمرت طائفة من المؤمنين أن يأتوا إلى مركز طلب العلم الذي كان متمثلاً -آنذاك - بمدينة الرسول الأعظم ﷺ، وفي يومنا الحاضر هي الموزّات العلمية والمراكم الإسلامية المتخصصة في علوم الشريعة. والنصوص التي تُرْغّب وتحثّ على التفقه في الدين

بمعناه الخاص كثيرة جداً، بحيث لو أردنا التعرض لها لخرجنا عن صلب الموضوع و محل الكلام.

التفقه بالمعنى العام:

وأما النحو الآخر الذي يظهر من النصوص التي دعت إلى التفقه في الدين هو التفقه العام، أو ما يصطلاح عليه الثقافة الدينية العامة، فهي كثيرة تناول أن نستعرض بعض تلك النصوص التي تأكّد على هذا المحور على نحو الاختصار وبما يسمح به المقام.

عندما نطالع طائفة من هذه النصوص نجد فيها اهتماماً شديداً جداً من الشارع المقدس لهذه المسألة في مرحلة مبكرة من عمر الإنسان، حيث حثّ الآباء على ضرورة حفظ ثقافة أبنائهم قبل أن يصلوا إلى سن البلوغ، وكانت هذه النقطة الجوهرية مثار اهتمام الأئمة عليهم السلام، وهي ضرورة تحصين عقول الناشئة من الاتجاهات والتيارات الفكرية المنحرفة من خلال تعليمهم علوم أهل البيت عليهم السلام وأطلاعهم على أحاديثهم، وما تتضمنه من بحر زاخر بالعلوم والمعارف. وحول هذه النقطة بالذات، يقول الإمام علي عليه السلام: «عَلِمُوا صِبَيَانَكُمْ مِنْ عِلْمِنَا مَا يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ بِهِ لَا تَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْمُرْجِئَةُ بِرَأْيِهَا».

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «بَادِرُوا أُولَادَكُمْ بِالْحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَكُمْ إِلَيْهِمُ الْمُرْجِئَةُ». ومن المعلوم أن فكر المرجئة حينذاك ينلي للظالمين ويد لهم حبال الأمل في النجاة، لأنّه يرفض الثورة على الحاكم الظالم، ويرجع حسابه إلى يوم القيمة، ويعتبر الفاسق الذي يرتكب الكبائر مؤمناً! لأجل ذلك أهتمّ الأئمة عليهم السلام بتحصين فكر النشء الجديد ضد التيارات الفكرية المنحرفة والوافدة، من خلال

الدعوة إلى تعليم الأطفال الأفكار الإسلامية الأصيلة التي تستقى من منابع صافية وأصيلة.

هذا الاهتمام بُرِزَ عند الأئمة الأطهار في تلك العصور التي لم تشهد التطور التكنولوجي، وانتشار الوسائل الحديثة في الاتصالات كما نشهده نحن اليوم؛ حيث إن الأفكار السامة والهداية تغزونا في عقر دارنا ولا نستطيع صدّها والوقوف أمامها بسهولة، فالمفروض أن يكون الجهد في زماننا هذا مضاعفاً وتكون المواجهة أكبر؛ لأنَّ الهجوم اليوم أوسع وقد أخذ أشكالاً مختلفة مع تطور الحياة وتقدمها.

طائفة أخرى من النصوص في نفس سياق الموضوع تشير لهذه المسألة بصورة عامة، منها ما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ: «نَفَقُوا فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ مِنْكُمْ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَعْرَابِيٌّ...»^(١٤) ، فالمقصود من هذا التعبير هو أن الذين يسكنون البوادي ويبعدون عن مراكز العلم والحضارة والمدينة لا يمكنهم الوقوف على الحقائق التي يحتاجها كل إنسان، وهذا سوف يتربّب عليه نتائج سلبية تترك آثارها عليهم في الدنيا قبل الآخرة.

من تلك النصوص أيضاً ما عن إمامنا الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ: «عَلَيْكُمْ بِالْتَّفَقَهِ فِي دِينِ اللَّهِ وَلَا تَكُونُوا أَعْرَابِيًّا، فَإِنَّمَا مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِ اللَّهِ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَمْ يُزَكِّ لَهُ عَمَلاً». هذا يعني أن غير المتفقه في الدين لا يكون مورداً لعنایة الله تعالى ولا قيمة لأعماله. بالإضافة إلى ذلك، فنحن نجد أن الإنسان الذي لا يملك الثقافة التي تساعده على المضي في الطريق الصحيح، ويفتقد للرؤية الواضحة فهو كلما سار لا تزيد كثرة السير إلا بعداً، مما يعني أن نتائج حركة هذا الإنسان تأتي دائماً بنتائج عكسية، كما ورد في الحديث الشريف الوارد عن إمامنا الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ:

«العامل على غير بصيرة كالسائل على غير طريق لا تزيده سرعة السير إلا بعداً»
(١٥)

وهنا نختم هذا المحور بحديث شديد اللهجة يتعلق بهذا الموضوع، وهو إنما يدل على أهمية الأمر والضرورة القصوى التي يتطلبها الموقف، فقد ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَامُ: «لَوْدَدْتُ أَنَّ أَصْحَابِيْ ضُرِبَتْ رُؤُسُهُمْ بِالسِّيَاطِ حَتَّىْ يَتَفَقَّهُوْ»^(١)، بيان شديد اللهجة ينمُّ عن حساسية المسألة وخطورتها.

على كل حال، فالإنسان عندما يقف على هذه النصوص يدرك حقيقة الأمر وأهمية الموضوع، ويصل إلى نتيجة مفادها أن مسألة التفقه في الدين مسألة جوهرية عند الشارع المقدس، لا يمكن التفريط فيها أو التنازل عنها.

فاتضح أنَّ تحصيل الثقافة الدينية أمر في غاية الأهمية؛ لأنَّه يكسب صاحبه حصانة تقيه المزالق، وتحميته من مخاطر الغزو الثقافي والهجمات الفكرية التي تتعرض لها الأمة الإسلامية على الدوام، فهي بالإضافة إلى ذلك تعطي الإنسان قدرة ومكانة على فهم المسائل الشرعية والقضايا العقائدية والأخلاقية، وتكتسبه القدرة على تطبيقها بشكل صحيح ودقيق، فالإنسان الذي يحمل ثقافة إسلامية عامة، إذا ما واجه أفكاراً غريبة لا تنسجم مع الأسس التي يعرفها عن الإسلام وإن لم يستطع الإجابة عليها أو مناقشتها إلا أنه يرفضها بفضل الثقافة التي يحملها، فهو يملك السلاح الوقائي الذي يعبر عنه بالحصانة الفكرية.

و قبل أن نغادر هذه النقطة، نود الإشارة إلى أمر مهم في المقام جدير بالاهتمام، وهو أنه عندما تصبح عند الإنسان -الذي يهتم بهذا الجانب- حصيلة علمية وثقافة فكرية لا بأس بها، ينبغي أن لا تخلق عنده حالة من الغرور والاعتزاز

بالنفس، بحيث تنشأ عنده فكرة عدم الحاجة للرجوع لأهل التخصص في الدين، فإن هذه المسألة قد ابتدلي بها البعض ووقعوا في فخها، من هنا نجد من الجدير الوقوف عند هذه النقطة التي كثُر فيها اللعنة والقيل والقال.

الرجوع إلى أهل التخصص

حيث أن بعض المثقفين أو بعض المتنورين من حملة الشهادات الأكاديمية يرون أنفسهم قادرين على تعين تكاليفهم الشرعية والدينية من دون الحاجة للرجوع إلى أهل الاختصاص في الدين، مع أن الرجوع إلى أهل الاختصاص مسألة بدائية، وسيرة العقلاء في كل مجتمعات الأرض قائمة عليها، والشارع المقدس أقرّ مثل هذه السيرة، وحياة الناس منذ الأزل مبنية على ذلك، والمجتمعات تمارس ذلك بكل شفافية، فلا داعي للمغالطة فيها، فهي واضحة وضوح الشمس.

فضلاً عن أن التوقيع^(١٧) الشريف الصادر عن مولانا صاحب العصر والزمان حَفَظَهُ اللَّهُ بَرَاطِلَةً
يدعونا إلى الرجوع إلى الفقهاء العدول، ويؤكد على ذلك ويحذر من مخالفتهم والرد عليهم.

إلا أن البعض قد يخلو له خلط الأوراق من أجل أمور أصبحت واضحة للجميع، ومن أهمها وأبرزها هو فصل الناس عن علماء الدين المخلصين الذين يحفظون دين الناس ويبارسون وظيفتهم الشرعية، ويرعون مصالح الأمة والمجتمع، حيث أن البعض يرى أن هذا الدور الذي يقوم به العلماء يصطدم مع ميولاته وتوجهاته ومارسته، فتجده يصبح حجر عثرة أمام هذا الدور، ويثير الشبهات والإشكالات من أجل أهداف أصبحت مكشوفة، وإنما فمن من هؤلاء إذا مرض لا يراجع الطبيب المتخصص في ذلك، فلماذا لا يستغنى بثقافته وتحصيله الأكاديمي عن

الرجوع إلى الطبيب المختص؟! بل نحن نجد الأطباء أنفسهم يرجع بعضهم إلى الآخر؛ إذا مرض بمرض خارج دائرة تخصصه. وهنا لا يوجد عاقل يُسفِّه مثلَ هذا الرجوع؛ فهو رجوع ممدوح وعقلائي جداً، ولكن مجرد أن تصل النوبة إلى الرجوع إلى علماء الدين تحصل المشكلة، وتنشئ الإشكالات، وتُخلق الشبهات، كل ذلك من أجل أهداف أصبحت معروفة للجميع.

بعد الإطلاة الإجمالية حول(الطريق إلى قراءة الإسلام)، نجد من اللازم التأكيد على قراءة الإسلام بصورة واعية تتسم بالموضوعية والشفافية والصدق في التعاطي معه، حيث أن مصير الإنسان ومستقبله مرتبط بالإسلام، فليس من الصحيح أن يتعامل مع هذا الأمر بصورة باهتة هامشية، وحالية من المصداقية، فمن الضروري جداً أن نحمل المسألة على محمل الجد، ولا نتهاون فيها؛ لأن أهميتها وضرورتها.

في الختام.. نسأل الله عزوجل أن يرزقنا معرفة الإسلام والعمل به، وأن يوفقنا لحمل راية الإسلام تحت لواء مولانا صاحب العصر والزمان روحي وأرواح العالمين لمقدمه الفداء، وأن يُعزّزنا بالإسلام، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، إنه على كل شيء قادر.

المواهش:

- (١) العلق: .٣
- (٢) البقرة: .٢٦٩
- (٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٥١.
- (٤) جامع الأخبار: ص ٥.
- (٥) المصدر السابق.
- (٦) الكافي، ج ٢، ص ٤٥.

- (٧) الكافي، ج ١، ص ١٨١.
- (٨) آل عمران: ١٩.
- (٩) نهج البلاغة، ص ٤٢٩.
- (١٠) مقتبس من تفسير الأمثل، ج ٢، ص ٤٢٩.
- (١١) آل عمران: ٨٥.
- (١٢) التوبية: ١٢٢.
- (١٣) مستفاد من تفسير الأمثل، ج ٦، ص ٢٦٨.
- (١٤) الكافي، ج ١، ص ٣٠.
- (١٥) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢٤٤.
- (١٦) الكافي، ج ١، ص ٣٠.
- (١٧) الوسائل، ج ٢٧، ص ١٤٠، (...وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجُعُوهَا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ...).

قراءة الإسلام تزكية للنفس

وتحذية للعقل

رائد ميرزا السُّترِي

مقدمة

يقول الباري تَعَالَى في محكم كتابه المجيد: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾^(١)، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٢)، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٣).

وغيرها من آيات كرييات تتحدث عن التزكية، هذه الآيات تجعلنا في حجم الأهمية التي يوليها الباري سبحانه لتزكية النفس، التي تعني "التطهير من قذارات القلوب وتخلصها للعبودية"^(٤)، ويكمّن سبب الأهمية لتزكية النفس وتطهيرها في أنَّ الصفاء والخلوص متى ما عاشته النفس فإنّها تتوافر على قابلية عالية واستعداد لقبول الملكات الكمالية التي تسمو بها النفس وتعالى في مراتب ومدارج الكمال الروحي، فتحصل على الفلاح الدنيوي والأخروي.

وبعكس ذلك فإنَّ النفس إذا بقيت ممتلئة بقذارات الذنوب والمعاصي فإنّها تسير وتقطع خطىًّا أيضاً! لكن لا نحو التعالي والتكميل طبعاً، وإنما نحو التسافل والانحطاط الذي يعني الخيبة والخسران، هذه الحقيقة يحكيها القرآن الكريم كحقيقة يريد من الإنسان أن يقف عندها ليحكم بعد ذلك خطاه وغاية مسيره، فإنما أن يسير في طريق يوصله للنجاح، وإنما أن يسلك طريقاً يوصله لغاية الخيبة والخسران. وبهذا يكون القرآن قد فتق فتقاً يسيراً لينفذ منه عقل الإنسان ويفكر بعد ذلك في مستقبل حياته كلها.

وهذا النحو من الدعوة للفكر المستقبلي ليس مقتضاً على مثل هذه الآيات القرآنية، بل هو من صميم العقيدة الإسلامية من خلال جعل المعاد كأصل من أصول الدين، فالتفكير ببناء الدار الآخرة فكرة يجب أن يعيش معها الإنسان؛ ليتحرك نحو المقدرات التي تهياً وتبني الدار الباقيّة بناءً سعيداً.

ومما ذكرنا اتضح أنَّ التزكية التي هي التطهُر من الذنوب والمعاصي ما هي إلا مقدمة لحصول ما به سعادة الإنسان، ولذلك احتلَّت هذه الأهمية حتى أصبحت هدفَّاً من أهداف بعث الرسل، يقول الباري سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَّلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ...﴾^(٥)، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَّلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ...﴾^(٦).

كيف نسير بالنفس نحو زكاتها؟

بعدما اتضح لدينا حجم العناية الكبيرة من قبل الإسلام بالتزكية، يتساءل الإنسان الناشر لها، كيف السبيل للوصول لهذا الصفاء النفسي والروحي الذي تنتفتح معه مدارك العقل والذهن نحو التسامي والتكميل والقرب من الله عزوجل؟

يمكن لنا أن نجيب عن هذا التساؤل من خلال تسليط الضوء على بعض آيات الله الحكيم، حيث يقول عزوجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَّلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٧)، ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَّلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٨)، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَّلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٩).

نلاحظ في هذه الآيات الكرييات ثلاثة معانٍ مهمة عطف بعضها على بعض وهي (التلاوة للآيات، والتزكية، والتعلم للكتاب والحكمة)، وهي وإن كانت كل واحدة منها هدفاً بمنفرد إلا أنَّ بينها ترابط وثيقاً متبادلاً، فالللاوة للآيات تساهم في التزكية، والتزكية تساهم في التعلم للكتاب والحكمة، وبمعنى آخر فإنَّ الرسول عندما يوقف الإنسان على آيات الله يُحدث في النفس حضوراً وتجلياً إلهياً وإعانياً يمنع الإنسان من المعصية، لتناقضه بعد ذلك القدارات القلبية والرذائل الأخلاقية؛ فتكون النفس بذلك على استعداد لنيل واكتساب المعرفة والحكمة الإلهية التي تعطي العقل رجاحته وسموِّه؛ ليتمكن بذلك العارف من أن يحافظ على نفسه زكية صافية.

قوة الإيمان ورجاحة العقل

ما يذكرُّي النفس ويكمّلها:

فالقرآن بهذا يكون قد بيَّن لنا الطريق نحو الزكاء، بتبيين الروايد التي تغذي صفاء النفس وسموها، فقوة الإيمان وزيادة المعرفة بالله سبحانه تعني الوصول للزكاء وتكامل النفس وقربها من الله عزوجل. فإذا أراد الإنسان أن يضع خطوة عامة لمجمل حياته بحيث يصل بها إلى الفلاح الذي عبرت عنه الآيات السابقة، يجب عليه أن يحافظ على غزارة هذه الروايد، من خلال:

- ١- المراقبة الدائمة والتعاهد المستمر لإيمانه ليحافظ على قوته وصلابته.
- ٢- التغذى دوماً بالمعرفة والعلم ليحافظ على رجاحة عقله.

ذلك لأنَّ مجمل المعاصي نلاحظ أنَّها إما أن تكون معصية تلوث سلوك الإنسان، كسوء الأخلاق مثلاً، أو معصية تلوّث الجانب العقائدي والفكري لديه، كالاعتقاد بخلاف ما فرضه الله سبحانه. ويمكن لنا من خلال قوَّة الإيمان ورجاحة العقل المتنور

بدين الله سبحانه أن نفع وقوع المعاصي ونضائلها بكل نوعيها، إذ أن العلاقة في المقام طردية فكلما قوي الإيمان ورجم العقل قوي بالمعرفة تناقضت معاصي الإنسان. فالقوة هذه هي الصلابة التي تحدث عنها بعض المرويات، كمثل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن المؤمن أشد من زبر الحديد، إن زبر الحديد إذا دخل النار تغير، وإن المؤمن لو قتل ثم نشر ثم قتل لم يتغير قلبه»^(١٠).

الضعف الإياني والمعرفي فساد للقلب والنفس:

وعلى خلاف ذلك فإن الضعف الإياني والضحلة المعرفية تعني ضعفا في حجز النفس عن المعصية، لتعاظم وتتكاثر المعاصي والذنوب ويفقد الإنسان سيطرته عليها، فيصل بالقلب إلى أقصى درجات التلوث، يقول الباري سبحانه: ﴿كَلَّا بِلْ رَكَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١١)، ولتوقف قليلا عند هذه الآية المباركة: «فما معنى الرین؟» (ران): من (الرین) على وزن (عين)، وهو: الصدا يعلو الشيء الجليل (كما يقول الراغب^(١٢) في مفرداته)، ويقول عنه بعض أهل اللغة: إنه قشرة حمراء تتكون على سطح الحديد عند ملامسته لرطوبة الهواء، وهي عالمة لتلفه، وضياع بريقه وحسن ظاهره. وقيل: ران عليه: غالب عليه^(١٣).

ومعنى الآية يتضح أكثر من خلال قراءة ما ورد عن أهل بيت العصمة عليهما السلام: قال رسول الله عليهما السلام: «كثرة الذنوب مفسدة القلوب»^(١٤)، وعن الصادق عليه السلام: «كان أبي عليه السلام يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب لي الواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله»^(١٥)، وعن أبيه عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب افتحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»^(١٦).

فما يحده استمرار الذنوب بالقلب هو الإحاطة الكلية به، والمحاصرة التامة له،

ليصل بعد ذلك بالقلب إلى أقصى درجات التلوث وهي (الختم على القلب)، ومعها يقع الإنسان في طريق الضياع الذي تصعب معه العودة، يقول الباري سبحانه:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٧).

ومرحلة الختم هذه لا يفقد الإنسان فيها الحواجز والموانع عن المعاصي فحسب، بل يغلق كل الشغرات التي يمكن تخلل نور المعرفة والهدایة منها، ويضع كل المصدّات والمضادات التي تحول دون الإيمان وتزكية النفس.

بعث الرسل بالأديان إرشاد لما يزكي النفس:

قد ذكرنا أن ما يساعد على لجم النفس عن ارتكاب المعاصي والذنوب هو قوة الإيمان ورجاحة العقل بالمعرفة، وهنا ينبغي لنا أن نعرف أن الإيمان والمعرفة التي تحجز الإنسان عن المعاصي لا يمكن أن تكون غير المعرفة الإلهية والإيمان بالله، إذ الإيمان والمعرفة بغير الله سبحانه لا يمكن أن تتكامل بالنفس وتسمو بها، بل تسير بها سيراً عكسيّاً لا سيراً عروجياً، فما يسير بالنفس سيراً عروجياً هو الإيمان والمعرفة الإلهية التي جاء بها الرسل، **﴿لَقَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَأْتِيهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾**^(١٨).

الإسلام بأحكامه طريق للهداية وتزكية النفس:

تُمثل الأحكام الإسلامية التي جاء بها النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخاتم هدايةً شريعيةً من قبل الله سبحانه لعباده، واختصاراً لمسافات بعيدة، وإرشاداً إلى أسرار وحيثيات روحية ونفسية تكاملية، لا يصل لها العقل لو خلي دونها، وهذا فإن الإسلام

بمختلف تشریعاته العقائدية والعبادية والروحية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها قدّم للإنسان كلّ ما يحتاجه، ورسم له طريقاً تكامله وسعادته، ومن يحجب عن نفسه المعرفة الإسلامية فإنه يقوم بما قد قام به السابقون ﴿إِذَا تُنَثَّلَى عَلَيْهِ أَيَّاً ثُنَّا
قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١٩) ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوْنَى فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢٠) ، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُغَرِّضِينَ﴾^(٢١) .

فمثل هؤلاء لا يكون مصيرهم إلا الخسران والندم ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَبْيَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢٢) ، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَيَّاً تِي تُنَثَّلَى
عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شَقْوَتْنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾^(٢٣) .
وبعد كل ذلك ألا يكون الإسلام من حيث أن السير على منهاجه وأحكامه
طريقاً لخلوص أنفسنا وتنقيتها جديراً بالعناية والاهتمام!! لنراجع أنفسنا قليلاً: كم
من الوقت نصرفه في سبيل معرفة أحكام الله سبحانه؟! ولو قارننا ما نصرفه من وقت
في تسلية أنفسنا مع ما نصرفه في سبيل التعرف على الإسلام، لوجدنا أنَّ الوقت
المبذول للتعرف على المعرفة الإسلامية ضئيل جداً بل يكاد لا يذكر عند بعضنا
نسبة بوقت التسلية.

ومن هنا نجد لزاماً أن ننادي بأعلى أصواتنا، داعين كل المؤمنين للإطلاع على
المخزون المعرفي الكبير والمتتنوع الذي جاء به خاتم النبيين ﷺ وبينه الآل ﷺ،
يقول الباري سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَشَبَّهُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾^(٢٤).

ويقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصفه للإسلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ
وَاسْتَخْصَّكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامٍ وَجَمَاعٍ كَرَامَةً. اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ وَبَيْنَ

حججه من ظاهر علم وباطن حكم. لا تفني غرائبه، ولا تنقضي عجائبه. فيه مرابع
النعم، ومصابيح الظلم. لا تفتح الخيرات إلا بفativه، ولا تكشف الظلمات إلا
بصابيده. قد أحى جماد وأرعى مرعاه. فيه شفاء المشتفي، وكفاية المكتفي»^(٢٥).

القراءةُ أداؤُ للمعرفة:

لا شك أنَّ هناك طرقاً وأدوات عديدة للتعرف على المعرفة، لا سيما وهذا
التطور التكنولوجي الهائل، فقد أصبحت المعرفة تصل إلى الإنسان وهو جالس في
بيته من دون أي عناء ومشقة، عبر التلفاز والإنتernet والجرائد وغيرها.
رغم كلَّ هذا فإنَّ القراءة تبقى أداة يجب على الإنسان أن يفعَّلها وينخصص
مساحة من الوقت لها، وذلك لما يأتي:

- ١- القراءة تقنح العقل صفاءً وخلوة مع الكتاب، مما يعطي مساحة أكبر للعقل
للتفكير فيما يقرأ بهدوء، وهذا التراث ينبع المقرؤ حقه أيضاً من جهة إمعان
الفكر والتأمل.
- ٢- القراءة بذلك تقدم وجبة مهضومة بشكل جيد، مما يسهل أمر تخزينها.
- ٣- نظراً للخصوصيات السابقة فإنَّ مخزون أي مثقف وأيَّ مفكِّر يكون نتاجاً
للقراءة الجيدة الكثيرة والدائمة المتتجدة.
- ٤- القراءة تقدم ثقافةً متنوعة، وبالقراءة يمكن أن نتعرف على أفكار مختلفة
وتفسيرات ورؤى متنوعة تشي里 المخزون الثقافي لدينا.
- ٥- بالقراءة الموجهة يمكن التعرف على الثقافة الصحيحة من غيرها.
- ٦- القراءة تشكُّل قاعدة متينة من المعلومات والأفكار التي يمكن رد الشبهات
بواسطتها.

القراءة تقتل نحوً من التدars للعلم، وطلبًا للمعرفة، يقول الإمام علي عليه السلام:
«لِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دراسةُ الْعِلْمِ»^(٢٦)، «اطلب العلم تزدد علماً»^(٢٧).

توجيه القراءة نحو البناء لا المدم:

من خلال الملاحظات السابقة ذكرنا مجموعة من الثمرات التي يمكن جنيها بالقراءة، وهي ثمار في الواقع لا يمكن جنيها إلا من خلال القراءة البناء، ذلك أنّ هناك نوعاً من القراءة لا تبني النفس والعقل بل تهدمهما، وتكون القراءة بمثابة معاول المدم.

كيف يكون ذلك؟ إنَّ الكتابَ يمثل لقارئه جليساً يخاطبه ويكلمه، والقارئ يستمع وكُلُّه آذانٌ صاغية، فإذا كان هذا الجليس يكلم صاحبه بكلامسوء والفحشاء والباطل فإنَّ القارئ يتاثر تبعاً بهذا النوع من الكلام، وعندها لن يختلف هذا الكتاب عن وساوس الشيطان ﴿وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^(٢٨).
ولأجل ذلك نجد حكماً شرعاً ينظم طريقة التعامل مع هذا النوع من الكتب، وذلك من خلال تحريم قراءة ما يلي:

- ١- كتب الضلال وهي الكتب المشتملة على الباطل المضلّ.
- ٢- الكتب المثيرة للغرائز الشهوانية وما تضمنت فحشاً.
- ٣- كتب السحر والشعوذة بغرض التعلم له.
- ٤- كتب الشبهات التي تثار على المذهب الحق وغيرها وتسبب تأثيراً على قارئها.

فإنَّ قراءة هذه الكتب حرام على تفصيل يذكره الفقهاء في محله، من تجويف القراءة في بعض الفروض كما لو كان لغرض دفع الشبهات أو مع عدم احتمال التأثير

بها، فهذا النوع من الكتب قراءتها لا تسهم في بناء النفس والعقل أبداً، وإلى مثل هذا يشير الأمير عليه السلام: «رب معرفة أدت إلى تضليل»^(٢٩) ، «رب علم أدى إلى مضلتك»^(٣٠) .

المكابرة في قراءة كتب الضلال:

رغم وضوح الحكم الشرعي المتعلق بكتب الضلاله والتحذير من التعامل معها، إلا أنَّ البعض يكابر ويقوم بقراءة مثل هذه الكتب، اعتقاداً منه بقوه معرفته التي تقنع التأثر بها، وذكائه الذي سيحول دون تخلل وتسرب الضلالات الخفية.

وهنا آيات من القرآن الكريم يستدعي بنا المقام أن نقف عندها وهي:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣١) ، ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٣٢) ، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَطَّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(٣٣) ، ﴿فَرَبِّئَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٣٤) ، ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَمَ اللَّهُ زِينَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣٥) .

الإلباس الذي يعني التخليل.. والتحريف الذي يعني التغيير.. والتزيين الذي منه تغليف الظاهر بالوجه الجميلة التي تحمل خبث الباطن.. أدوات يستعملها المضللون بكثرة وقد تخفي عليك رغم حيظتك، لتجد نفسك بعد ذلك كما يقول الباري: ﴿وَفَرِيقًا حَقًّا عَلَيْهِمُ الصَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أُولِيَّاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٣٦) .

نعم تتأثر من حيث لا تشعر، وتنقلب بعد ذلك رأساً على عقب كما حصل مع كثير. يقول الباري عنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الصَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٣٧) ، فإياك والمكابرة، فإنَّ مثل هذه الشبهات وهذه الكتب لها من يدفعها من المتخصصين، وأولي العلم الذين ينبرون للدفاع عن دين الله

سبحانه؛ لأن القراءة لهذه الكتب تتطلب استعداداً وتحصيناً ذاتياً قبل التعامل معها.

التوجيه في القراءة مهم:

كي نتحصل على الأهداف المرجوة من قراءتنا يجب أن نعرف أن القراءة تحتاج إلى توجيه، ففي كل مرحلة من نمو العمر والثقافة لديك تحتاج إلى نوع معين من القراءة. ففي مرحلة الطفولة مثلاً تحتاج إلى كتب مفاهيمها بسيطة، وكلماتها واضحة مفهومة، ونجعل الهدف المهم من قراءتها التعرف على أصول العقائد والأحكام الشرعية البسطة، أما في مرحلة المراهقة فإنَّ الهدف يكون مختلفاً؛ إذ تحتاج إلى كتب تساعد على تقديم حلول وتوضيحات لجمل الأسئلة المثارة لديك سواء الجنسية منها أو الروحية أو الفقهية أو غيرها وهكذا.

فنحن بحاجة إذن أن نحدد من خلال الاستعانة ببعض المربين والمتخصصين خطةً تنظمُ ما نقرأ على مدى سني أعمارنا، وتراعي أيضاً تفاوت الوعي لدينا وتناسب معه.

الملل والسام صعوبات يواجهها القارئ:

من أبرز المشاكل التي نواجهها عند القراءة السأم والملل، وهذه الصعوبة حلها يكمن في الصبر عليها، فلا يتعجل القارئ ويترك القراءة بسبب ما يجده من ملل وسام، فإنَّ الاستمرار والمداومة على القراءة من شأنه أن يزيل حالة الملل هذه، ويقللها إلى أنس؛ لأنَّ المتعة التي سيجدها العقل بالقراءة لا تقلُّ عن متعة المعدة بالطعام، بل تفوقها بكثير ولا تُقارنُ بها.

وما ذكرناه سابقاً من التوجيه المناسب لما تقرأ، يساهم كثيراً في رفع حالة الملل والسام؛ لأنَّ قراءةَ الكتاب المناسب والقارئ أمرٌ في غاية الأهمية. كما وأن البداية

المبكرة مع الكتاب تربى الإنسان على القراءة.

ختاماً.. القراءة بداية التغيير..

كثيراً أولئك الأشخاص الذين يطمحون في تغيير أنفسهم نحو الأفضل، ويضعون الخطط لذلك، وتتوالى المحاولات تلو الأخرى، بعض يفلح وبعض لا تجديه نفعا، إما لتكاسل النفس عن العمل، أو لعدم صحة نقاط الخطة الموضوعة، فكل إنسانٍ جادٌ في إصلاح نفسه، عليه تكرار المحاولة وإعادة التجربة تلو الأخرى، ولا يسمح لليلأس من أن يتطرق إليه، فإنَّ إصلاح النفس ليست مسألة سهلة، وإنَّما هي من أصعب الأمور حتى عَدَ رسولُ الله ﷺ جهاد النفس هو الجهاد الأكبر.

القراءة أيها الأحبة تمثل أداة نافعة جداً في سبيل إصلاح النفس وتزكيتها، ولقد تسللنا بالأفكار لنصل لهذا المعنى على النحو التالي:

١- بيَّنا بدءاً أهمية تركية النفس لأنَّها توفر الاستعداد والقابلية للتلاقiي الملوكات الروحية العالية.

٢- ثم ذكرنا أنَّ ما يعطي النفس زكيتها هي المعرفة والإيمان الصحيحان.

٣- بعدها ذكرنا أنَّ الإسلام يقدم المعرفة والإيمان الصحيحين.

٤- وأخيراً تناولنا كيف أن القراءة أداة لمعرفة الإسلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين

المواهش:

(١) النازعات .١٨

(٢) الشمس ٩ - ١٠

(٣) الأعلى .١٤

- (٤) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١، ص ٣٢٣.
- (٥) الجمعة .٢
- (٦) آل عمران .١٦٤
- (٧) ن م.
- (٨) البقرة .١٢٩
- (٩) الجمعة .٢
- (١٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١، ص ٢٠٩
- (١١) المطففين .١٤
- (١٢) مفردات غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - ص ٢٠٨
- (١٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشیخ ناصر مکارم الشیرازی - ج ٢٠، ص ٢٧
- (١٤) الدر المنثور، السيوطي، ج ٦، ص ٣٢٦
- (١٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ٩٩٤
- (١٦) م ن.
- (١٧) البقرة .٧
- (١٨) آل عمران .١٦٤
- (١٩) المطففين .١٣
- (٢٠) فصلت .٢٦
- (٢١) الأنعام .٤
- (٢٢) الأنعام .٥
- (٢٣) المؤمنون .١٠٦ - ١٠٥

.١٥٣) الأنعام (٢٤).

(٢٥) نهج البلاغة، ج ٢، ص ٤١.

(٢٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢، ص ٨٦٢.

(٢٧) م. ن.

(٢٨) النساء .٣٨

(٢٩) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣، ص ١٨٧١.

(٣٠) م. ن.

(٣١) البقرة .٤٢

(٣٢) النساء .٢٦

(٣٣) المائدة .١٣

(٣٤) النحل .٦٣

(٣٥) التوبية .٣٧

(٣٦) البقرة .٣٠

(٣٧) البقرة .١٦

نحيف الإقبال على قراءة الكتب الدينية

الأسباب والحلول

عبد الرؤوف حسن الربيع

تمهيد

رغم وضوح أهمية الكتب الدينية والبحوث الإسلامية في رفد عقائد الناس وتقويم سلوكهم وبناء أخلاقهم، وكونها من الدعائم التي لا غنى عنها في تعريفهم بالإسلام وكيفية عبادة الله تعالى والتقرب منه، وبلاحظة التطور الهائل في وسائل النشر والطبع وسهولة اقتناه الكتاب إلا أن حجم الإقبال والقراءة عليها لا يزال خجولاً وتحت المستوى المأمول كثيراً، حتى بات ظاهرة ضعف الإطلاع وقراءة الكتب الإسلامية سمة من سمات مجتمعاتنا الممتحنة والمتعبة، وهذا ليس في الصالح إطلاقاً، فالآمة التي تضعف فيها روح القراءة الدينية الحادة هي عرضة لا محالة إلى تسرّب الضلالات والخرافات والأفكار المنحرفة، وبالتالي انتشار الرذائل وتضعضع القيم، مما يعني ضياع هويتها الإسلامية وتلاشيتها بالتدريج.

وحيال ذلك لا ينبغي التراخي والفتور أمام الأسباب الحقيقة المراكمة لهذا الضعف، والتغافل عن أبرز العوامل التي تغذيه وتضاعفه، إضافة إلى ضرورة البحث عن الحلول الناجعة للتخلص منها، والوثوب بالمجتمع نحو الإحساس بعظمية القراءة الدينية وقيمة المواظبة عليها، وبالتالي تأكيد أن إنجاز مثل هذا لا يكفيه كتابة مقال أو بحث، من دون أن تتطاير فيه الجهود الأخرى وتجتمع فيه سائر الأيدي، فتكون

هذه المحاولة مساهمة في تحقيق هذا الهدف، وخطوة في سبيل تذليل بعض عقباته، وسنبدأ إن شاء الله تعالى بذكر الأسباب أولاً ثم نعقبها بمجموعة من الحلول.

أسباب ضعف الإقبال على قراءة الكتب الدينية

يمكن إرجاع هذه الأسباب بترتيب ما إلى قسمين رئيسيين، الأسباب الشخصية الذاتية، وإن شئت قلت: الداخلية، والأسباب الخارجية المحيطة.

أ- الأسباب الشخصية: ونقصد منها تلك التي تنبع من نفس الفرد أو من مشكلة أو نقص فيه، ولربما كان للمحيط والأسباب الخارجية دور في نشوئها أو بروزها، وهي:

١- عدم الإحساس بالمسؤولية، أو عدم التوجّه والالتفات لها: وذلك لضعف في القابلية والاستعداد في هضم مطالب الكتب، أو الشعور بأن القراءة مقصورة على أنماط وشرائح معينة من الناس، هي المخاطبة بها وهو مستثنى منها، أو لعدم الإدراك والوعي لمدى قدرته في الاستفادة من الكتب الدينية ومقدار التأثير بقراءتها، وما شابه ذلك.

٢- الخمول والكسل وضعف الإرادة: وهذا يحصل غالباً للذى هو على دراية ولو إجمالاً بحاجته وحاجة أسرته ومجتمعه للإطلاع على الدين والتثقّف بمسائله ولكن يفتقر إلى قوّة العزم والصبر التي تعينه في الوصول لهذا المبتغى، فقد يبدأ بداية جيّدة في قراءة كتاب، ولكن سرعان ما يتململ ويتعب فيكسل عن إتمامه فيتركه إلى غيره وهكذا، وقد يستولي عليه الخمول وقلة الدافع إلى ترك القراءة من رأسه، والنماذج من هذا الصنف كثيرة جداً.

٣- الأسلوب الخاطئ في القراءة: ونجد أنه عادةً في الأفراد التي لا تلجأ للاستشارة

والرجوع إلى من له خبرة في هذا الباب، فتقوم باقتناء الكتب الغير مناسبة، من حيث النوع، أو المستوى والصعوبة، أو من حيث الحجم مثلاً، كأن يقرأ شاب حديث العهد بقراءة الكتب الدينية الكتب الفلسفية العميقة، أو أن يقرأ كتاباً ضخماً يسبب له العناء والكلفة في إنهائه، فيتوّلد له الصد والنفور من القراءة، كما أن لعدم مراعاة بعض المشوّقات والفنون في القراءة بشكل عام - كاختيار الزمان والمكان المناسبين، وطريقة الجلوس والإضاءة و.. وإلخ - دور أيضاً في المسألة.

بـ- الأسباب الخارجية: ونعني بها تلك الأمور المحيطة بالإنسان، والتي لها ارتباط وتأثير متتبادل بحياته، ومن أهمها:

١- **قلة الوقت، وكثرة المشاكل والانشغالات:** وذلك بحكم كون القراءة تستدعي مقداراً جيداً من الوقت، وتحتاج لشيء من التوجّه والإمعان، ومع تشتّت البال وانشغاله بالهموم والارتباطات والتي يزداد إلحاحها وثقلها بمرور الزمن وتعقد الأيام لا يبقى لها مجال وسعة كي يتفرّغ للقراءة.

٢- **وجود المصادر المعرفية الأسهل:** مثل الفضائيات والتلفاز، وبرامج الكمبيوتر والإنترنت، والجرائد والمجلات وغيرها، وهي بلا شك مادتها أخف وزناً على النفس من القراءة، وجاذبيتها لها أكبر، ونتيجة طبيعية لشياع مثل هذه المصادر أن تتراجع حصة القراءة وأن يعتبرها البعض بدليلاً عن الكتاب الديني.

٣- **سياسات الدولة الخاطئة:** للدولة نصيب كبير وفاعل في تشجيع أو تثبيط حركة القراءة في رعيتها، لامتلاكها السيطرة في الغالب على المدارس والمناهج التعليمية، وبيدها زمام الإعلام المسموع والمرئي، وبقدرها لو أرادت انتشار القراءة الدينية أن تشجّع عليها وترصد لها المحفز، وتبني المكاتب، وتسهّل عمل المطبع

ودور النشر، وتنأى عن كل ما يحول ويقف حيال انجاز ذلك، وفي المقابل بإمكانها خلق سياسات تحارب جوّ المطالعة وشياع القراءة، خاصة إذا كانت السلطة فيها تسعى لبقاء نفوذها وسيطرتها، وتخشى أن يكون القراءة الكتب الدينية وتنور عقول الناس تهديد لبقاءها وجودها، وحينئذ سيصبح شغل هذه الدولة والحكومة هو تطويق كل ما لديها من إمكانيات في صرف الناس عن القراءة الدينية، ولو بتضييق المعيشة والخناق عليهم حتى ينهمكوا في شؤون المعاش فيتشاغلوا عنها.

٤- الغزو الثقافي ومؤامرات الإستكبار: وهي تشبه إلى حدّ ما السبب السابق في بعض مفاصله، فالإستكبار فطن أن أحد الرواّفد الرئيسة في تقدّمنا وتحررنا من ربقة العبوديّة له وللتفكير الغربي هو في التمسّك بالثقافة الدينية الأصيلة والتراث المحفوظ من التشوّيه، فبادر إلى تدبّير مؤامرات تستهدف قطع الصلة بيننا وبين تراثنا وثقافتنا، ومنها محاولة إلهاء أجيالنا عن التفرّغ لقراءة الكتب الإسلامية، سيمما الأصيلة منها، ويكتفي أن نلحظ مقدار تغلّبه السياسي والعسكري في الأنظمة وتحكّمه في وسائل الإعلام العالميّة.

٥- نوع البيئة والأصدقاء: مما لا شك فيه هو أن الذي يتربّى في عائلة محبّة للقراءة أو يحيّتك بجماعة أو أصدقاء يعشّقون القراءة يكون أكثر تهيؤاً للإقبال عليها ممّن هو ناشٍ في محيط خلو من هذا كله، فالجو الملامس للفرد يؤثّر في طبيعته كثيراً، وينقل عن بعض السجناء الذين لم يسبق لهم قراءة كتاب ديني قط قبل دخولهم السجن أنهم لما وجدوا الأجواء العامّة في السجن تدعوا إلى القراءة، وأن الجميع كان يقرأ لم يمض وقت حتى انضمّوا مع جملة القراء بصورة تلقائيّة، وقد أنهوا مجموعة من الكتب، والخلاصة من هذا أن الجلوس مع الجماعات أو الأصحاب الذين لا يعبأون بالكتاب والقراءة يعدّ من أسباب الضعف أيضاً.

أبرز الحلول الناجعة

من المناسب في تنظيم وذكر الحلول للأسباب والعوامل المتقدمة هو اللجوء لنفس التقسيم السابق، فيكون لدينا حلول للأسباب الشخصية، وأخرى للأسباب الخارجية. ولكن لابد قبل ذلك من التنبيه إلى أن الحلول بعضها في عهدة الفرد أو المكلف وبيده سبيل التحرّك نحو تحقيقها، والبعض الآخر هو خارج عن نطاقه وداخل في مسؤولية المجتمع أو علماء الدين والمثقفين، أو يقع على عاتق الدولة، وما سيذكر إن شاء الله هنا من حلول هو ما يخص الفرد، فهو الأوفق لهذا المقال.

أ- حلول الأسباب الشخصية:

١- الرجوع إلى أحد العلماء أو المربيين الفاضلين الذين لهم خبرة جيدة في معرفة القابليات ولديهم إلمام كاف بأسرار القراءة وشأنها من أجل عرض المشكلة عليه، فكل حالة يناسبها علاج خاص، وهذا العالم أو المربi هو من بيده تشخيص الحالة والعلاج.

٢- الشعور بالخمول وضعف الإرادة والصبر في مزاولة القراءة إذا كان بسبب طبيعة في الفرد تلازمـه في كل شيء فمن الجيد مراجعة ما ذكره علماء الأخلاق وماورد من روایات شريفة في تقوية عزم الإنسان ورفع همته، أما إذا كان منشؤها هو نفس القراءة والكتب الدينية فمن الممكن اللجوء إلى ما يلي :

أ- محاولة تجديد روحية النفس باستشعار عظمة القراءة، ودورها في نصرة الدين والتقرّب من الله تعالى، وتذكّر الثواب الجزيل المذكور لها، فكأنّها مثل الصلاة المأجور عليها، وأكبر معين وباعت للزخم والتشجيع على ذلك هو المستفاد من الروایات ومن قصص وتجارب العلماء، ويمتاز أسلوب القصة أنه محبب وأخّاذ ويسهل

القلب ويوجّهه من دون أن يشعر صاحبه أن أحداً يأمره، وهذا الأمر مجرّب كثيراً.
بـ- القراءة الجماعيّة، أي بين شخصين أو أكثر، فقد يورث هذا نوعاً من النشاط في النفس ويرفع الضجر والملل.

جـ- محاولة تلخيص ما يقرأ للآخرين وللأصدقاء، وبالخصوص الفئة التي تقدر مسائل الدين وتحترم ذخائر الكتب، فإصغاؤهم له وتفاعلهم معه هو أكبر حافز له لمواصلة القراءة، لأنّه يشاهد ثمرة ما يقرأ بأم عينيه، وبالوقت نفسه يسعى للتزوّد برصيد آخر من المعلومات كي يحدّثهم به لاحقاً وهكذا.

دـ- استخدام طريقة المشارطة والمراقبة والمحاسبة التي يذكرها علماء الأخلاق، فقد أثبتت مدى جدواها في العديد من المسائل، أو استخدام أسلوب التأديب والزجر كما في النذر، من أجل لجم النفس التي كثيراً ما تتلاعّس عمّا ينفعها وتتجاوّب مع ما يضرّها بسبب إملاءات الشيطان، وذلك بأن ينذر بالإستمرار على القراءة بالصورة التي تناسبه وإذا ما تخلّف فيعمل العمل الكذائي أو يدفع الغرامة الفلانية، والنفس تعناد مع ذلك بالتدريج خاصة إذا كان ما يقابل التخلّف عن النذر صعباً.

٣ـ- علاج التخيّط في التعامل مع القراءة هو ببراعة أمرين:

الأول: الرجوع إلى مرشد في اختيار نوع الكتاب، من حيث فائدته، وتناسبه مع مستوى القارئ وحاجته ووقت فراغه وما شابه ذلك.

الثاني: اللجوء إلى أساليب وفنون القراءة العامّة التي تعين في تهيئه أفضل مناخ صحي ونفسي للاستفادة من القراءة ودوامها، من قبيل:

أـ- الابتداء بالكتب السهلة والمحببة والصغيرة في البداية، وهذا أمر منطقي فحتى أبطال رياضة حمل الأثقال لم يحملوا وزن المائتين كيلو أو أكثر منذ الأيام الأولى لشروعهم في هذه اللعبة.

- ب- التناغم مع نوعية الكتاب من حيث احتياجه للتدقيق أو القراءة البطيئة أو السريعة وما شاكل ذلك.
- ج- الأكل الجيد والرياضة ومراعاة الصحة الجسدية والنفسية.
- د- مراعاة ظرف المكان من جهة راحة النفس، والهدوء، والإضاءة الجيدة، وأن يكون محصوراً كي لا يتشتت الفكر، وألا يكون في غرفة النوم حتى لا ينبعس القارئ سريعاً.
- هـ - اختيار الزمان المناسب، خاصة في الأوقات التي يكون فيها الذهن صافياً ومتوقداً كعقيب صلاة الفجر، أو السحر وأمثال ذلك.
- و- الجلوس المعتدل وعدم القراءة بهيئة الاستلقاء، وأن تكون المسافة بين الكتاب والعين متوسطة.

بـ حلول الأسباب الخارجية:

- ١- التنظيم وترتيب الأولويات يجعل معظم مشكلات قلة الوقت والانشغال، ثم لابد أن نعرف أن الحياة ليست مقتصرة على إيجاد الرزق فقط، وإذا أوهمنا الأعداء أو الحكومات المستغلة هذا الكلام فمن أجل تrir مآربهم لا من جهة كونه صواباً.
- ٢- زيادة الوعي وال بصيرة والارتباط بعلمائنا ومراجعنا الأبرار، والتعرّف منهم على التكليف يبدد العديد من المحاولات والدعایات المحاكاة نحو فصل الأمة عن تراثها وكتبها، ويقوم الأفكار الباطلة المتسربة إلينا.
- ٣- اختيار الأصدقاء والأصحاب الصالحين والأجواء البيئية التي تشجع على قراءة كتب الدين، وتجنب أصحاب العقائد الفارغة والمثبتين لعذائب الناس.
- ٤- فهم طبيعة ما يكّنه المستكرون والغرب وسياسات السلطات المستغلة من عداء وضغينة بالإسلام وال المسلمين، وأن دورنا حيال مخطّطاتهم هو عدم الانغماس

فيها، ومحاولة التصدّي والكشف لزيفها ما استطعنا، إضافة إلى اعتبار تحمل عناء ذلك أحد أنواع المجاهدة والصبر الذي نحن ملتزمون به بكوننا أصحاب مبدأ ورسالة، لا نستكين ولا نستسلم أمام هكذا ظروف ونعلم بأن نهاية المطاف: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيهِمْ سُبُّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، و﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

الخاتمة

في نهاية المطاف نتوصل للنتائج التالية:

- أـ أنه لا يكاد يوجد سبب يؤدي إلى ضعف الإقبال على قراءة الكتب الدينية من غير أن يوجد بإزاءه حل يرفعه أو لا أقل يذلل من تفاصمه.
- بـ - لعل الخطوة الأولى والمهمة لكل من يفكّر في تنمية روح القراءة في نفسه هي الرجوع للعلماء الخبراء في ذلك، فإن ملازمتهم وأخذ النصيحة منهم أخص الطرق للوصول إلى النتائج المرجوة.
- جـ - مجاهدة النفس وإلزامها العناء والصبر لتغيير ضعف الإقبال فيها إلى قوّة واندفاع نحو القراءة هو بحد ذاته مبدأ سام ورفع ينبع من صلب الدين، وخاتمه الفوز والظفر لا محالة. والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

(١) سورة العنكبوت المباركة: ٦٩.

(٢) سورة البقرة المباركة: ١٥٥.

قراءتنا

قصي الشيخ علي العربي

كَفَى في نفس ابن آدم كِبَرُ دفين، يعشعش في نفسه وروحه فلا يتركه يتآكلم أو يتربى في مدرسة العقل والوحى، حين يستثيره شعوره بالغنى، وعدم الحاجة، وإذا لم يتتبه الإنسان إلى هذا الداء فإنَّ نعم الله عليه لا تزيده إلا طغياناً، مما يؤدى به إلى الانسلاخ من عبودية الله، ويرفض الاعتراف بأحكامه، ويضمّ أذنيه عن ندائها، ولا يراعي حقاً ولا عدلاً، وهذا يعني الهلاك بكل ما هذة الكلمة من معنى، وأماماً إذا تذكر الإنسان، وعرف أنه بذاته جاهل فقير مسكون مستكين، وأنَّ الله هو الذي عَلِم بالقلم، وأنه حينما يقرأ فإنَّ الله الأكرم، أهل الحمد والكبرياء وليس هذا المتعلم الذي يطغى بعلمه.

إن الحقيقة بكلها -وكما يعلم قارئي الكريم- تقول: لا الإنسان ولا أي مخلوق آخر قادر على أن يستغني، بل كل الموجودات الممكنة بحاجة إلى لطف الله ونعمته، وإذا انقطع فيضه سبحانه عنها لحظة واحدة، ففي هذه اللحظة بالذات تفني بأجمعها، غير أنَّ الإنسان يحس خطأً أحياناً أنه مستغنٌ غير محتاج. من هنا سيكون مدار بحثنا المتواضع هو توضيح الآيات القرآنية المباركة لتكون مناراً لنا في قراءة الإسلام، سائلاً العلي القدير التوفيق والتسديد.

قال الله تعالى: ﴿أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأَ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَ * عَلِمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَ﴾^(١).

و قبل الخوض المتواضع في هذه الآيات المباركة أود التذكير بالحقيقة التالية

وهي: أن القرآن العظيم هو أحسن وأفضل معرفٍ لأوصافه الكريمة. وما في حديث العترة الطاهرة من وصفه مستندٌ إليه هو نفسه، والانتفاع به معهودٌ به إلى نظيره، أي: النقل الأصغر الذي هو القرآن الناطق، فالقرآن الكريم هو هُم عليهما، فما فارق أهلُ البيت عليهما القرآن العظيم في مرحلةٍ من مراحل الكمال، ولا يُفارقهم القرآن الكريم في مقامٍ من مقامات الوجود، فما من كمالٍ في القرآن تفتقدُه العترة الطاهرة، ولا من كمالٍ فيها لا يحتويه القرآن الكريم، فهذا الشغلان الشغيلان لا يفترقان أبداً بنصٍّ الحديث المتواتر عن النبي "الأكرم عليهما الله، ومطمحُ النظر فعلاً هو رسالةُ القرآن الكريم، أي: الشيءُ الذي يصطفى الإنسانُ الكامل بتلقّيه لأسماى منزلة، حيث تلقّيه لأكمل الرسالات ألا وهي هذا الإسلام الإلهي الأصيل:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢).

وعوداً على الآيات المباركة المتقدمة، نقول: قال أغلب المفسرين أو جميعهم، هي أول ما نزل على رسول الله، بالرغم من أن فاتحة الكتاب هي سورة الحمد، إلا أنها كانت فاتحة الكتاب حسب ما قدر الله لها أن تكون في صورته النهاية، بينما كانت الآيات الخمس الأوائل في سورة العلق فاتحة التنزيل، ومن المعروف لدى قارئي الكريم - أن هناك فرقاً بين ما أنزل في ليلة القدر حين أنزل الكتاب كله وبين ما نزل منجماً خلال ثلات وعشرين عاماً من دعوة الرسول عليهما الله.

من هنا جاء في الحديث: عن الإمام الصادق عليهما: «أول ما نزل على رسول الله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وآخره ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٣).

ويتلخص لنا مما تقدم: أن بداية الفصل الجديد في تاريخ البشرية، يبدأ من نزول الآيات الخمس الأوائل في سورة العلق، حيث أصبحت الإنسانية مشمولة بأعظم

الألطاف الإلهية وبأكمل الأديان وختارها، واستمر نزول الوحي حتى اكتمل التشريع الإلهي بصدق قوله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَثْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤). الإسلام هنا بمعناه اللغوي الذي استخدمه القرآن الكريم في سائر الآيات، وهو التسليم لله ولمناهجه وأنه دين الله الذي ارتضاه لنا ويتجسد في تقوى الله، واتّباع مناهجه، وفي طاعة رسول الله وأولي الأمر من بعده الذين يشكلون الامتداد الشرعي لخط الله والرسول، والمهم في الأمر أنّ الآيات من سورة العلق نزلت على نبي أمي لم يتعلم القراءة والكتابة وفي بيئه اجتماعية تسودها الأمية والجهل لتحدث أول ما تتحدث عن العلم وعن القلم مباشرة بعد ذكر نعمة الخلق، هذه الآيات تتحدث في الواقع أولاً عن تكامل جسم الإنسان من موجود تافه هو (العلقة) ثم عن تكامل (روحه) بواسطة التعليم والتعلم خاصة عن طريق القلم.

عند نزول هذه الآيات المباركة كان النبي محمد ﷺ يقلب وجهه في السماء ينتظر ساعة الانطلاق الكبير، كان يعلم أنه رسول الله ولكن متى يتنزل عليه الوحي ليأمره بأن يصدع بالحق؟ هذا الذي كان يبحث عنه بشوقٍ كبير، كانت الكعبة تستصرخه لينقذها من الصخور الصماء التي نصبّت من حولها وعبدت من دون الله جهاراً، وكانت تستنجد به لأنها حُولت من بيت الله الذي وضعه للناس جميماً، إلى عاصمة مستكري قريش، يفرضون باسمها على الجزيرة سيادتهم الظالم، وكانت الإنسانية المعذبة في أرجاء الجزيرة تنتظره بفارغ الصبر، فهنا البنات يقتلن بغير ذنبٍ، وهناك يقتل الأولاد أيضاً، والحقوق تنتهك، والزنا يتفضّي، والفقر والمسكنة والتخلف كل ذلك أصبح سمة المجتمع أينما نظرت، وأماماً الثقافة فقد أصبحت في خدمة الطغاة والمترفين، على أنها كانت ركاماً من الأساطير والخرافات، ووسيلة

لإثارة النعرات العشائرية، والعصبيات التافهة، والمفاحر الكاذبة، وأداةً لتكريس الأحقاد والضغائن، وال العلاقات الاقتصادية أصبحت مجموعة أغلال وقيود على نشاط الإنسان على أنها كانت قائمة على أساس الظلم والقهر والطبقية المقيمة. وكانت الأوضاع خارج الجزيرة ليست بأحسن أبداً، حيث جرف التحرير والنفاق أتباع موسى وعيسيٰ عليهما السلام إلى أبعد حدود الضلال، وكانت الثقاقة ربانية إلى هذا الإنسان الغارق في أوحال الجهل والتخلُّف والانحطاط إلى أبعد الحدود، وبعث الله أعظم ملائكته وهو جبرائيل عليهما السلام ليكون أول لقاء بين الرسول ﷺ وجبرائيل عليهما السلام المطوق بالنور، أو كما يعبر عنه بطاووس الملائكة، نعم فقد هبط الأمين جبرائيل، وحمل معه نوراً يتألق سناه عبر الزمن.

وإليك -قارئي الكريم- بعض ما جاء عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي

طالب عليهما السلام في نهج البلاغة مع التوضيح:

أولاً: قوله عليهما السلام: «أشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه» طبعاً ما أن يفرغ الإمام عليهما السلام من الشهادة الحالصة الحقة حتى يردها بعثمتها التي تمثل بالشهادة بالنبوة، نعم فهو عبد الله قبل أن يكون رسوله، فليس من مجال لبلوغ مقام النبوة دون العبودية، وفي هذا رد على أولئك الذين قد يبالغون في مقام الرسول ليبلغوا به درجة الألوهية، آنذاك يصف رسالة ووظيفة النبي ﷺ فيقول: «أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَهْوُرِ وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ^(٥)، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ^(٦) وَالضِّياءِ الْلَامِعِ وَالْأَمْرِ الصَادِعِ»^(٧).

والواقع هنا لك عدة تفاسير بشأن هذه العبارات الست العميقية المعاني والأمور التي تشير إليها، منها أنَّ المراد بالدين المشهور هو الإسلام الحنيف والعلم المأثور المعجزات والكتاب المسطور القرآن الكريم والنور الساطع علوم النبي ﷺ والضياء اللامع سنته ﷺ، والأمر الصادع بقرينة الآية **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِرُ﴾**^(٨)؛ أي: ترك

التقية وإظهار التوحيد في مقابل الطغاة الكفرة وإنذارهم بكل وضوح، وعدم الخشية منهم. كما يحتمل أن يكون المراد بالضياء الالامع والنور الساطع تبيين القرآن الكريم، فالقرآن مصدر إشعاع أفكار المجتمعات الإنسانية. ثم يخوض الإمام عثيمان في الهدف النهائي لرسالة النبي عليه السلام والقرآن والمعجزات والقوانين والأحكام الشرعية، فيوضح أهداف النبي عليه السلام في ثلات محاور:

١. إزالة الشبهات بالأدلة والبراهين.

٢. استقطاب المخصوص من خلال إرشادها بالآيات البينات.

٣. تحذيرهم من العقاب الأليم إنْ هم تقادوا في غيّهم وعصيّاً لهم «إِزَاحَةً للشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجًاً بِالبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًاً بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفًاً بِالْمُثَلَّاتِ»^(٩).

يمكن أن يكون المراد من قوله «إِزَاحَةً للشُّبُهَاتِ» الحقائق التي تعزّزها البراهين والأدلة الربانية والتي لا تدع مجالًا لشك أو شبهة. و«وَاحْتِجَاجًاً بِالبَيِّنَاتِ» المعجزات الحسية بالنسبة لأولئك الذين لا يسلّمون إلا للاستدلالات العقلية والتي من شأنها سوقهم نحو الإيمان واليقين، والمراد من قوله عثيمان: «وَتَحْذِيرًاً بِالآيَاتِ» هو الوعيد بالعذاب الآخروي، «وَتَخْوِيفًاً بِالْمُثَلَّاتِ» هو الوعيد بالعذاب الدنيوي كما ورد ذلك في بعض الآيات القرآنية كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُتَلَّاتُ﴾^(١٠).

فيما للعجب من هذا الإنسان حيث يفضل ارتكاب السيئات على الحسنات، لأن الحسنة لا تعجبه فيتمنى العذاب، ولكنهم في الحقيقة نسوا ما حلّ بن قبلهم كقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب الرس..... وغيرهم. ومن البديهي لا تتضح عظمة رسالة النبي عليه السلام وسمو الخدمات التي أسدتها إلى البشرية وحلوة الإيمان التي حملها الدين الحنيف ما لم تكن هناك صورة واضحة عن الأوضاع السائدة لدى

الأقوام السابقة التي سبقت عصر الرسالة وانبثق الدعوة الإسلامية، لهذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الفتن التي كانت تعصف بالأمة آنذاك بحيث تصدعت عرى الدين وتزعزعت أعمدة الإيمان، حيث غيّبت المعارف الدينية الحقة إثر فتن الشياطين ووساوس عبادة الأهواء، حتى عمّت الفوضى في أوساط الأمة وتصاعدت بينهم حدة الفرقة والاختلاف: «والناس في فتن الحجذم»^(١٢) فيها حبل الدين، وتزعزعت سواري^(١٤) اليقين، واختلف النجر^(١٥)، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر».

والأنكى من ذلك وفي ظل هذه الظروف لم يكن هناك من سبيل للخروج من المأزق ولا من كهف يُؤوي إليه، نعم هكذا كانت الأوضاع التي عاشتها الأمة في العصر الجاهلي، حيث الفوضى والقبائح والرذائل، وعبارة «حبل الدين» التي وردت بصيغة المفرد إشارة إلى وحدة الدين الحق ووحدة المصدر الذي تستقي منه كافة أصول وتعاليم الأنبياء، وإن شهدت هذه الأصول وال تعاليم بعض الفوارق التي تفرزها طبيعة تقادم الرمان، وهذا ما يجسّد القرآن الكريم على لسان المؤمنين الصادقين بقوله «لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ»^(١). ومن هنا عكس الإمام علي عليه السلام عظمة مقام النبي عليه السلام وسمو منزلته حيث تتضح شدة نوره وعمق خطفه للأبصار كلما كان الظلم دامساً والعتمة شديدة، الأمر الذي يكشف عن عظمة خدمات النبي الإسلام عليه السلام لتفعيل دينه المنقذ في المجتمع، وانتشاله من ذلك الوضع المؤسف، وطبعه بهذه الصفات العالية.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة أخرى، وهي تشير إلى عظمة جهود النبي عليه السلام التي استطاعت أن تنهض بذلك المجتمع الجاهلي المنحط وتجعله مجتمعاً راقياً متطوراً: «فَبَالَّغَ صَلَوةَ اللَّهِ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ

والموعظة الحسنة»^(١٧).

نعم بهذا الأسلوب الروحي الذي يستند إلى الوحي السماوي حتى نفذت نصائحه وإرشاداته عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى القلوب، فقد دعا أولئك الناس الذين أصيبوا بالجهل والخرافة والخيর والضلال إلى العلم والمعرفة، فلما نزل عليه جبرئيل عرشه الله بصدقه فلما نودي: «أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» قرأ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. والسؤال الذي يمكن أن يشار هو: ما الذي تستفيده من دلالات في قوله تعالى: «أَقْرَأْ» وهي الكلمة الأولى من الوحي؟^(١٨).

لعل الوحي كان يفتح على البشرية عهد القراءة باعتبارها ظاهرة ملزمة للإنسان بعد عهد النبي عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفعلا وبالرغم من وجود ظاهرة الكتابة منذ مئات السنين قبل الإسلام إلا أنها انتشرت بالإسلام بصورة مطردة حتى أصبحت اليوم سمة الإنسان الظاهرة. والقراءة أشد وضوحاً من الاستماع، لأنها تفرض التفاعل بين الإنسان والنص الذي يُتلى عليه أكثر من مجرد الاستماع إليه، وربما سمي لذلك كتابُ ربنا جَلَّ وَعَلَّ بالقرآن.

ولكن القراءة ليست مطلوبة بصفة مطلقة، وإنما مشروطة بالي توكون باسم الله، لهذا بدأت دعوة النبي عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا الذكر المبارك، أي: أقرأ يا محمد باسم ربك، وهنا قد يقول النبيه: لماذا قيدت القراءة باسم الرب؟ فيكون الجواب على هذا الاستفهام: أن اسم الله تبارك وتعالى يحدد الهدف من القراءة، فلا يكون من أجل التعالي على الناس، وخدمة الطغاة وتضليل السذج من الناس، بل تكون من أجل تزكية النفس، وخدمة الناس وهدايتهم.

وحين يكون العلم -وسيلة القراءة- باسم الله ترى الملوك صافين على أبواب العلماء، والناس ملتفون حولهم، وهم يقودونهم في معاركهم ضد الطغاة المستكبرين،

حتى إحقاق الحق والنصر، وهذا جلي لكل متبوع، حيث عرف أن علماء الدين في كل مكان هم الذين حرروا بلاد الإسلام من الاستعمار، لأن ثقافتهم كانت ثقافة إسلامية خالصة تنطلق في كل مرافق حياتهم مقرونة بذكر الله واسمه الكريم.

ويلاحظ هنا قبل كل شيء التركيز على مسألة الربوبية، وكما يعلم قارئي الكريم أن «الرب» يعني «المالك المصلح» أي الشخص الذي يملك شيئاً، ويتعهد إصلاحه وتربيته أيضاً، ولإثبات ربوبية الله جاء ذكر الخلقة، خلقة الكون، إن أفضل دليل على ربوبيته خالقيته، فالذي يُدبر العالم هو خالقه، وهذا في الحقيقة رد على المشركين الذين قبلوا خالقية الله، وأوكلووا ربوبية التدبیر إلى الأوثان، ثم إن ربوبية الله وتدبیره لنظام الكون أفضل دليل على إثبات ذاته المقدسة.

ثم اختارت الآية التالية «الإنسان» باعتباره أهم مظاهر الخالقية وقالت: ﴿خَلَقَ النَّاسَ مِنْ عَنْقٍ﴾. لقد خلق الله الإنسان من علقة، والتي تعني في الأصل الالتصاق بشيء، ولذلك سمي الدم المنعقد المتلاصق، والنطفة بعد أن تطوي المراحل الجنينية الأولى تتحول إلى قطعة دم جامد يعلق، وهي مع تفاهتها الظاهرة تعتبر مبدأ الإنسان، أي: أن الله تعالى خلقه من قبل من ماء مهين وتفاه، ثم أكرمه حتى فضل عليه كثيراً مما خلق تفضيلاً. نعم، أيه نقلة عظيمة كانت بين حالته كعلقة ودم، وبينه كإنسان يishi سوياً على قدميه؟ إن من يعرف قليلاً عن خلقة الإنسان وما أودع الله في جسده وروحه من آيات عظمته لا بد أن ينبهر بتلك النقلة العظيمة، ولكن نقلة عظيمة أخرى تنتظره الآن، هذه المرّة لا بد أن تتم هذه النقلة بعزمية من عنده ورحمة من ربه، ولعله لذلك جاءت هذه الآية لتذكّرنا بأصل خلقة الإنسان، ومن شك في قدرته على أن يسمو إلى درجات عالية فلينظر إلى نعمة الله كيف خلقه من علقة، إنه قادر على أن يبعثه خلقاً آخر بالعلم والهدى.

فلنفكر في أبعد القراءة، كيف علم الله الإنسان الكتابة فأخذ ينقل تجاربه من جيل لآخر، ومن أمة لأخرى، وترامت التجارب حتى أصبحت اليوم سبيلاً متداولاً لا تكاد قنواتها العلمية على سعتها تقدر على استيعابها، أرأيت لو لم يعلم الإنسان الكتابة هل كان إلا مثل فضيل من القردة أو ما ماثلها.

سبحانك يا ربنا، إنك ترى الناس على صنفين: فمنهم لك من الشاكرين على نعمك، ومنهم لا زالوا على كفرهم بنعمك، بل كلما زادت نعمك عليهم ازدادوا كفراً بها وطغياناً، فمن أجل ألا يصبح العلم سبباً للطغيان وأداة للظلم والفساد، يذكرنا رب جل وعلا بأنه أنى تقدم البشر في آفاق العلم فعليه أن يشكر ربه، ويعرف بأن الله هو الأكرم، كما قال الله تعالى: ﴿أَقْرِأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾، وهذه الآية في الواقع جواب على قول الرسول عليه السلام لجبرائيل: ما أنا بقارئ، وهذه الآية تقول: إنك قادر على القراءة بكرم رب وفضله و منه.

وهنا ملاحظة: وهي أن هذه الآية نزلت على النبي أمي لم يتعلم القراءة والكتابة، وبتعبير أوضح: أن المراد من كون النبي عليه السلام أمياً كما هو الأشهر بين المؤرخين، أنه عليه السلام لم يدرس، ولم يكتب شيئاً، وفي بيئه اجتماعية تسودها -كما سبق- الأمية والجهل، حيث هي الحالة السائدة آنذاك، وإنما فإن عدد العارفين بالكتابة والقراءة في المحيط الحجازي -في ذلك الوقت- قليلاً جداً، وكانوا معروفيين بأعيانهم وأشخاصهم، فقد كان عددهم في مكة من الرجال لا يتجاوز السبعة عشر شخصاً، ومن النساء امرأة واحدة^(١٩)، ومن المسلم أن النبي عليه السلام لو كان قد تعلم القراءة والكتابة -في مثل هذه البيئة- لدى أستاذ لشاع ذلك وصار أمراً معروفاً للجميع، وعلى فرض أننا لم نقبل بنبوته، ولكن كيف يمكنه عليه السلام أن ينفي -في كتابه- بصراحة هذا الموضوع؟ ألا يعرض عليه الناس ويقولون: إن دراستك وتعلّمك

للقراءة والكتابة أمر مسلم معروف لنا، فكيف تنفي ذلك؟ إن هذه قرينة واضحة على أمية النبي. وعلى كل حال، فإن وجود هذه الصفة في النبي ﷺ كان تأكيداً على نبوته حتى ينتفي أي احتمال في ارتباطه إلا بالله وبعالم ما وراء الطبيعة في صعيد دعوته. هذا بالنسبة إلى فترة ما قبل النبوة، وأمّا بعدبعثة فلم ينقل أحد المؤرخين أنه تلقى القراءة أو الكتابة من أحد، وعلى هذا بقي ﷺ على أميته حتى نهاية عمره.

ولكن من الخطأ الكبير أن تتصور أن عدم التعلم عند أحد يعني عدم المعرفة بالكتاب والقراءة، والذين فسروا «الأمية» بعدم المعرفة بالكتابة والقراءة كأنهم لم يتلفتوا إلى هذا التفاوت. ولا مانع أبداً من أن النبي ﷺ كان عارفاً بالقراءة والكتابة بتعليم الله، ومن دون أن يتلذذ على يد أحدٍ من البشر لأن مثل هذه المعرفة هي بلا شك من الكمالات الإنسانية، ومكملاً لقامت النبوة، ويشهد بذلك ما ورد في الأحاديث المروية عن أهل البيت ع (٢٠)، ولكنه لأجل أن لا يبقى أي مجال لأدنى تشكيك في دعوته لم يكن ﷺ يستفيد من هذه القدرة، فكان من الكمال في حركته في عدم القراءة والكتابة، إذ يمكن أن يوجد عالم قدير وفيلسوف مطلع، فيدعى النبوة ويظهر كتاباً عنده على أنه من السماء، ففي مثل هذه الظروف قد تشار الشكوك والاحتمالات أو الوساوس في أن هذا الكتاب -أو هذا الدين- هو من عنده لا من السماء، إلا أننا إذا رأينا إنساناً ينهض من بين أمة متخلفة، ولم يتعلم على يد أي أستاذ، ولم يقرأ كتاباً ولم يكتب ورقةً، فيأتي بكتاب عظيم عظمة عالم الوجود، بمحتوى عال جداً، فهنا يمكن معرفة أن هذا الكتاب ليس من نسج فكره وعقله، بل هو وحي السماء وتعليم إلهي، ويدرك هذا بصورة جيدة، نعم فقد أتني ﷺ بكتاب يتحدى به جميع البشر أن يأتوا بمثله، فيعجز جميعهم عن الإتيان

بما طلب، وهذا دليل على أن قوة النبي ﷺ يستمدّها من قوة الخالق غير المحدودة، وأن كتابه ﷺ من وحي السماء ألقاه الله إليه ليقطع السبيل أمام حجج المترددين بالباطل الواهية.

﴿الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَ﴾ بهذه الآية المباركة وبالآية التي سبقتها ذكرنا بأن الله هو الأكرم، فأي صفة حميدة هي منه فهو الجoward الذي أعطى الإنسان موهبة القلم، وهو الأعلى الذي لا يتسامي أحد في مدارج العلم والكمال إلّا به، حيث أن تكامل روح الإنسان بواسطة التعليم والتعلم - خاصةً عن طريق الكرم والجoward الإلهي - يتم بالقلم. حين نزلت هذه الآيات لم تكن بيئـة المجاز وحدها بل كان العالم المتحضر في ذلك العصر أيضاً لا يغير أهمية تذكر للقلم، أمّا اليوم فإنـا نعلم أنـ القلم محور كلـ الحضارات والعلوم، وكلـ تقدم في أيـ مجال من المجالـات، ونعلم تفوق «مداد العلماء» على «دماء الشهداء»؛ لأنـ هذا المداد هو الذي يكون الأساس القويم لدماء الشهداء والسدـن المـتين له، ولا نكون مغالـين إذا قلـنا أنـ مصير المجتمعـات البشرـية مرتبط بما تفرـزه الأقلـام. إصلاح المجتمعـات البشرـية يبدأ من الأقلـام الملـزمة المؤمنـة، وفساد المجتمعـات أيضاً ينـطلق من الأقلـام المـسمـومة^(٢١).

ولأهمية القلم يقسم القرآن به وبـعا يفرـزه، أيـ بالـلة الكتابـة وبـمحصـوها من العلم: ﴿نَّ وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٢٢)، كـم هو قـسم عـجيب؟ قد يتـصور البعض أنـ القـسم هنا يـتعلق ظـاهراً بـمواضـيع صـغـيرة، أيـ بـقطـعة من القـصب أو شـيء يـشبه ذلك، وبـقلـيل من مـادة سـودـاء، ثمـ السـطور الـتي تـكتب وـتـخطـط عـلى صـفـحة صـغـيرة من الـورـق، إلـاـ أنـا حينـما نـتأـمل قـليـلاً فيه نـجـده مـصـدرـاً لـجـمـيع الـحـضـارات الـإـنسـانـية فـي الـعـالـم أـجـمـعـ، إنـ تـطـور وـتـكـمال الـعـلـوم وـالـوـعـي وـالـأـفـكـار وـتـطـور الـمـارـس الـدـينـيـة وـالـفـكـرـيـة، وـبـلـورة الكـثـير منـ المـفـاهـيم الـحـيـاتـية، كانـ بـفـضـل ما كـتـبـ منـ الـعـلـوم وـالـمـعـارـف الـإـنسـانـية فـي

الحقول المختلفة، مما كان له الأثر الكبير في يقظة الأمم وهدایة الإنسان وكان ذلك بواسطة القلم، باعتباره وسيلة لنقل العلم وتبنته بالكتابة، والعلم قيمة اعتمدها الوحي، فيكون القسم بالقلم كوسيلة للعلم كافياً عن عظمته لأنه يرفعه إلى مرتبة سائر الحقائق التي أقسم الله بها في القرآن، وإذا كان الإنسان يستمد قوته لحديثه بالقسم والمقسم به فإنّ كلام ربنا يحلف به قيمةً وشأنًا، فتحن إذن نعرف عظمة القلم لأن ربنا أقسم به.

قسمت حياة البشرية إلى عصرتين اثنين:

الأول: عصر التاريخ.

الثاني: عصر ما قبل التاريخ.

وعصر التاريخ يبدأ منذ أن اخترع الإنسان وسيلة لكي يدون بها قصص حياته وأحداثها على الصفحات، وبتعبير آخر، يبدأ منذ استعمال الإنسان للقلم والكتابة والقراءة، فكان صاحب قدرة على أن يكتب بالقلم ويدون بواسطته تراثاً للأجيال القادمة ما توصل إليه ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ تخلیداً لماضيه^(٢٣)، من هنا نعرف الدور العظيم للقلم في حياة الإنسان. فلا شك ولا ريب أنّ من أهمّ معالم التطور والتقدم في الحياة البشرية -كما أشرنا سابقاً- هو ظهور الخط وما ثبته القلم على الصحف والمختلفة كالورق والأحجار إذ أنّ هذا الحدث أدى إلى فصل عصر التاريخ عن عصر ما قبل التاريخ.

إنّ ما يثبتته القلم على صفحات الورق هو الذي يحدد طبيعة الانتصار أو الانتكاسة لجتماع ما من المجتمعات الإنسانية، وبالتالي فإنّ ما يسطره القلم يحدد مصير البشر في مرحلة ما أو مكان ما، فالقلم هو الحافظ للعلوم، المدون للأفكار، الحارس لها، وحلقة الاتصال الفكري بين العلماء، والقناة الرابطة بين الماضي

والحاضر، والحاضر والمستقبل، بل حتى موضوع ارتباط الأرض بالسماء قد حصل هو الآخر عن طريق اللوح والقلم أيضاً، فالقلم يربط بين البشر المتباعدون من الناحية الزمانية والمكانية، وهو مرآة تعكس صور المفكرين على طول التاريخ في كلّ الدنيا وتجمعها في مكتبة كبيرة.

والقلم: حافظ للأسرار، مؤمن على ما يستودع، وخازن للعلم، وجامع للتجارب عبر القرون والأعصار المختلفة، وإذا كان القرآن قد أقسم به فلهذا السبب، لأنّ القسم غالباً لا يكون إلاّ بأمر عظيم وذي قيمة شأن، ومن الطبيعي عندئذ أن يكون القلم وسيلة لـ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ من الكتابة، ونلاحظ القسم بكليهما لقد أقسام القرآن الكريم بالوسيلة وكذلك بحصاد تلك الوسيلة ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

وجاء في بعض الروايات، كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلْمَ». وجاء هذا المعنى أيضاً في كتب أهل السنة في خبر معروف^(٢٤) ، وجاء في رواية أخرى: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى جَوْهْرَةً»^(٢٥) ، وورد في بعض الأخبار أيضاً: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ»^(٢٦).

ويكفي ملاحظة طبيعة الارتباط المعاكس بين كل من الجوهرة والقلم والعقل الذي يوضح مفهوم كونهم أولاً ما خلق الله سبحانه من الوجود.

جاء في نهاية الحديث الذي نقلناه عن الإمام الصادق عليه السلام إنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلْقَلْمَ بَعْدَ خَلْقِهِ إِيَّاهُ: أَكْتُبْ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْقَلْمِ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ هُوَ قَلْمُ التَّقْدِيرِ وَالْقَضَاءِ، إِلَّا أَنَّ جَمِيعَ مَا هُوَ مُوْجُودٌ مِنْ أَفْكَارٍ وَعِلْمٍ وَتَرَاثٍ، وَمَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ عَلَى طُولِ التَّارِيخِ، وَمَا هُوَ مُثَبَّتٌ مِنْ مَبَادِئٍ وَوَرَسَالَاتٍ وَتَعَالَيمٍ وَأَحْكَامٍ، يُؤَكِّدُ عَلَى دُورِ الْقَلْمِ فِي الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمَصِيرِ الْبَشَرِيَّةِ.

إنّ قادة الإسلام العظام لم يكتفوا بحفظ الأحاديث والروايات والعلوم والمعارف الإلهية في ذاكرتهم بل كانوا يؤكدون على كتابتها، لتبقى محفوظة لأجيال المستقبل^(٢٧)، وقال بعض العلماء: البيان بيان: بيان اللسان، وبيان البنان، وبيان اللسان تدرسه الأعوام، وبيان الأقلام باق على مرّ الأيام^(٢٨)، وقالوا أيضاً: إنّ قوام أمور الدين والدنيا بشيئين: القلم والسيف، والسيف تحت القلم^(٢٩). وقد نظم بعض الشعراء هذا المعنى بقوله:

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت أنّ السيف لها مذ أرهفت خدم

إنّ هذا التعبير إشارة بدعة إلى بري القلم بواسطة السكين، وجعل الشفرة الحادة بخدمة القلم منذ البداية^(٣٠)، ويقول شاعر آخر، في هذا الصدد ومن وحي الآيات مورد البحث:

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يجلب الجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخراً ورفعة مدى الدهر إنّ الله أقسم بالقلم^(٣١)

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة تخرق الحجب، وتنتهي إلى ما بين يدي الله: صرير أقلام العلماء، ووطئ أقدام المجاهدين، وصوت مغازل المحنات»^(٣٢).

وهكذا نستوحى من هذا القسم القرآني دور القلم في منح المؤمنين الكرامة والعزة وفتح آفاق العلم، وأنّ علينا أن نملك ناصية القلم إذا أردنا امتلاك ناصية الحياة. ومن الطبيعي أن كل ما قيل في هذا الشأن، يتعلق بالأقلام التي تتلزم جانب الحقّ والعدل، وتهدي إلى صراط مستقيم، باعتبار أنّ موقع القلم هو خدمة الدين والعلم، لا تضليل الناس أو استعبادهم، كما هو ديدن الأقلام المأجورة والمسمومة

والضلة، فإنها تعتبر أعظم بلاء وأكبر خطر على المجتمعات الإنسانية، لهذا يلزم علينا تفعيل الدور الحقيقي للقلم، وهو تنظيم حياة الإنسان الشخصية الإيجابية، والاجتماعية، والتجارية والسياسية والأخلاقية، و... وغيرها، هذا يتطلب منا أن نقرأ الإسلام في جميع عناوينه الواسعة^(٣٣) من خلال ما كُتب وسُطر في ذلك.

والله ولي التوفيق.

المواهش:

- (١) سورة العلق الآية من ١ إلى ٥.
- (٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩.
- (٣) نور النقلين ج ٥ ص ٦٠٩.
- (٤) سورة المائدة، الآية ٣.
- (٥) (المأثور) من مادة (أثر) بمعنى العلامة الباقيه من الشيء ولذلك يطلق على العلوم المتبقية من الماضين (علم المأثور).
- (٦) (الساطع) من مادة (سطوع) بمعنى الانتشار، فالنور الساطع هو النور الواسع المنتشر كما ورد بمعنى المرتفع.
- (٧) (صادع) من مادة (صدع) بمعنى الشق في الجسم الصلب والحكم ثم أطلق على كل شيء قاطع.
- (٨) سورة الحجر، الآية ٩٤، ومعنى الصدع الجهر بالحق.
- (٩) (إزاحة) من مادة (زيح) على وزن زيد بمعنى الإبعاد والإقصاء.
- (١٠) (مثلاً) جمع (مثلة) على وزن عضلة بمعنى البلاء والمصاب الذي يحل بالإنسان فيصبح مثلاً وعبرة للآخرين (مفردات الراغب).
- (١١) سورة الرعد، الآية ٦، والمراد من (المثلات) العقوبات ومفرداتها مثلة.
- (١٢) (الجذام) من مادة (الانجدام) بمعنى انقطع وانفصل، ومن هنا يطلق إسم الجذام على ذلك المرض الذي يصيب الجسم فيؤدي إلى انفال الأعضاء.

- (١٣) (تَزَعَّزَتْ) من مادة (زعزع) بمعنى تحركت واضطربت، فيقال على سبيل المثال: زعزع الريح الشجرة.
- (١٤) السواري: جمع سارية، وهي العمود والدعامة.
- (١٥) (التَّجَرْ) بفتح النون وسكون الجيم، على وزن فجر الأصل، كما يعني الاصلاح والشكل والهيئة ومنه اطلق اسم النجار، وقد وردت هذه المفردة في العبارة بالمعنى الأول.
- (١٦) سورة البقرة، الآية ٢٨٥
- (١٧) نهج البلاغة، الخطبة ٩٥
- (١٨) لا شك في احتياج البشر للاتصال بعدن القوة، وينبوع الغنى، وهو الله بِعَنْتَهُ إِلَيْهِ الذي يهدينا إلى نعمة الرسالة، ويتصل الحديث عن الرسالة بابلو العام لسور الشورى التي ثُبِّنَ جوانب عن النظام السياسي في المجتمع المسلم، لأنّ الشورى -كما يعرف قارئي الكريم- متممة للنظام السياسي للأمة، ومحور هذا النظام بل وأساس الأمة هو الوحي الذي يضفي على المجتمع المسلم صبغة الله. وما كان لإنسان أن يكلمه الله إلاّ بطرق ثلاثة:
 أ. يكلمه وحياً مباشرة بدون واسطة، بأن يلقى في قلبه ما يشاء، أو كما في اللغة وموارد استخدام الكلمة أنه قذف الحقيقة في القلب قذفاً.
 ب. أو يكلمه من وراء حجاب، كما كَلَمَ اللَّهُ نَبِيًّا مُوسَى بْنَ عُمَرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تكليماً، ولكن دون أن يرى شيئاً.
 ج. أو يرسل ملكاً رسولاً كجبريل فيوحي بإذن الله ما يشاء الله سبحانه، أي: لا بد أن يكون الوحي حسبما أمر الله، وفي الوقت الذي يأذن الله.
- (١٩) فتوح البلدان، للبلاذري، طبعة مصر، ص ٤٥٩.
- (٢٠) كما في تفسير البرهان للعلامة البحرياني في الجلد الخامس، ص ٣٧٣ ذيل آيات سورة الجمعة.
- (٢١) بتصرف في تفسير الأمثل ج ٢٠ ص ٢٥٢.
- (٢٢) سورة القلم، الآية ١.
- (٢٣) يقول بعض المفسرين: أنّ كلمة (القلم) هنا يقصد بها: القلم الذي تخط به ملائكة الله العظام

الوحى السماوي، أو الذى تكتب به صفة أعمال البشر، ولكن من الواضح أنّ للاية مفهوماً واسعاً، وهذه الآراء تبين مصاديقها.

كما أنّ جملة (ما يسطرون) مفهوماً واسعاً أيضاً، إذ تشمل جميع ما يكتب في طريق الهدایة والتكامل الفكرى والأخلاقي والعلمى للبشر، ولا ينحصر بالوحى السماوى أو صحائف أعمال البشر.

وهنا ملاحظة وهي: أنّ البعض اعتبر (ما) في (ما يسطرون) مصدرية، واعتبرها بعض آخر بأنها موصولة، والمعنى الثاني -كما يذهب إليه تفسير الأمثل- أنساب، والتقدير هكذا: (ما يسطرون) كما اعتبرها البعض أيضاً بمعنى: اللوح أو القرطاس الذي يكتب عليه، وفي التقدير (ما يسطرون عليه) كما اعتبر البعض (ما) هنا إشارة لذوى العقول والأشخاص الذين يكتبون هذه السطور، إلاّ أن المعنى الذى ذكرناه في المتن أنساب من الجميع حسب الظاهر.

(٢٤) تفسير الفخر الرازى، ج ٣، ص ٧٨.

(٢٥) ن.م.

(٢٦) ن.م.

(٢٧) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٥٦، حديث ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠.

(٢٨) تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٢.

(٢٩) ن.م.

(٣٠) ن.م.

(٣١) تفسير روح البيان، ج ١٠، ص ١٠٢.

(٣٢) الشهاب في الحكم والآداب، ص ٢٢.

(٣٣) استقينا الكثير من المطالب المهمة من التفاسير القرآنية المباركة، لا سيما من تفسير الأمثل بتصريفات واسعة.

اقرأ إسلامك .. وجوب محرفة الدين

نظرة فقهية تحليلية لشعار "اقرأ إسلامك"

السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآلـهـ الطيبين الطاهرين، وبعد..

مقدمة

ما هو الهدف من الشعار؟

لا شك أنّ لكل مجموعةٍ تنظيمية أو مؤسسة ما أهدافاً تسعى وتعمل على تحقيقها، والأهداف تتفاوت من حيث الأهمية والأولوية، فبعضها مهم وبعضاً أهم، فطبقاً للقاعدة العقلائية يُقدم الأهم على المهم، وتوجد أساليب وطرق متعددة يكشف بها القائمون على المؤسسة عن أولوية بعض الأهداف على الأخرى، كتقديم بعض الأعمال على إنجاز بعضها الآخر ووو... والشعار هو أحد الوسائل التي تُتّخذ لتحقيق تلك الأهداف، وهو أحد الأساليب التي يكشف بها أصحاب المؤسسة عن أولوياتهم في الأهداف، أو قل: يبيّن الشعار أن أولوية المرحلة تتطلب هذا الشعار، وأنّ الواقع الراهن بحاجة ماسة إليه، فللشعار أغراض متعددة أبرزها أنه يبيّن أهمية مضمونه أولاً، ثانياً: أن الأولوية في الوقت الحاضر هي أن يطبّق مضمونه هذا في المجتمع.

وقفة مع مفردتي الشعار

لماذا "اقرأ"؟ وما هي مدليلها؟ ليس لـ"اقرأ" موضوعية؛ أي ليس المقصود هو اتخاذ القراءة فقط لمعرفة الدين، وإنما هي مثال بل هي أبرز الأمثلة وأبرز طريق من طرق معرفة الدين، ويمكن البحث حول "اقرأ" على ثلاثة مستويات: على مستوى المادة، والإعراب، والصيغة.

المستوى الأول - المادة: وهي "اقرأ"، والبحث فيه حول المعنى اللغوي، وأهل اللغة يقولون: قرأ: أي جمّع (وليس يُقال ذلك لكل جمع فلا يقال: قرأت القوم إذا جمعتهم)، والقراءة: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل^(١)، وقال بعضهم^(٢): قرأ بمعنى: تتبع بالنظر نصاً مكتوباً أو مطبوعاً ونطق بكلماته. وضمّ الحروف والكلمات إلى بعضها قد يكون في الذهن: وهي ما تسمى بلغة اليوم "القراءة الصامتة"، وقد يكون: في التلفظ وهي القراءة بصوت مسموع.

وهذا اللفظ -أعني اقرأ- وقع خاصاً إذ هو أول كلمة نزلت في القرآن الكريم، وأول أمر وُجّه للنبي ﷺ لإعلان فعليّة نبوّته، وقد استعمل في القرآن الكريم خصوص هذا اللفظ دون بقية مشتقات مادته ثلاث مرات، في قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وقوله تعالى: ﴿اقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ وقوله تعالى: ﴿اقرأ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٣) ويمكن قراءة هذه الآية كلوجة فنية واحدة بأن نقول: إنَّ الموردين الأوَّلين إِذَا أَحْسَنَ الإِنْسَانَ تطبيقهما وتحقيقهما كانت قراءته في الثالثة قراءة خير ورحمة؛ بمعنى: أنه إِذَا كان يقرأ دائمًا باسم الله ولا يبدأ عملاً إلا باسم الله، وكذلك عرفَ نَعَمَ الله وما كرّمه به من العقل والمعرفة والعلم والإيمان، وأنه تعالى أكرم الأكرمين كان ذلك سبباً لإعطائه كتابه يوم

القيامة بيمنيه، وأن يقرأه وهو فرح مسرور.

المستوى الثاني - الإعراب: فإن "اقرأ" فعل أمر مبني على السكون، وفاعله مستتر فيه، تقديره: أنت، والخطاب هنا موجه لكل مسلم.

المستوى الثالث - صيغة الأمر: وقد قرر علماء الأصول دلالتها على الوجوب إذا كان الأمر هو المولى الحقيقي وهو الله تعالى، ونحن هنا نريد أن نبيّن أنَّ هذا الأمر - الأمر بالقراءة ومعرفة الدين - أمر من الله تعالى، وهذا الأمر من أهم مصاديق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُو لِلَّهِ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِيِّكُمْ..﴾، والذي يدعو إليه الرسول عليه السلام في هذه الآية والذي (يحيي الإنسان) هو الدين الحق وهو الإسلام^(٤)، وما المجلس الإسلامي العلمائي إلا واسطة في بيان هذا التكليف الإلهي ومفعّل له ومشجّع عليه.

"إسلامك.." وهو المفعول به في الجملة، أي: أنَّ الأمر بالقراءة المتوجه للمسلم متعلقه بالإسلام، وهنا جاء لفظ "الإسلام" مطلق ولم يقيّد الأمر بالقراءة في جانب من جوانبه، وهذا يدل على لزوم الاطلاع ومعرفة الدين من جميع جهاته وأبعاده. ولكنه -أي لفظ الإسلام- أضيف إلى ضمير المخاطب وهو "الكاف" الذي يقصد منه "ال المسلم" ، وهذا توكييد لأنَّ الفاعل المستتر في "اقرأ" هو أنت، والكاف هنا تأكيد له.

وقفة فقهية مع الشعار

وجوب التعرّف على الإسلام وأحكامه:

أولاً: ما هو الإسلام؟ وممَ يتكون؟

لغة: الإسلام: من السلام وهو اسم من أسماء الله تعالى، ومن السَّلْمٌ وهو اسم

بإزاء الحرب، ومن السَّلَمُ ومعناها الصلح، والإسلام: هو الدخول في السَّلَمِ، ومصدر أسلمتُ الشيءَ إلى فلان: إذا أخرجته إليه.

اصطلاحاً: الإسلام هو دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنه على عينه^(٥)، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٦)، وهو صبغة الله التي صبغ المؤمنين بها^(٧) وهو في الشرع على مستويين:

أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان والنطق بالشهادتين ونتيجته حقن الدم، وليس فيه اعتقاد، وإليه أشارت الآية الكريمة: ﴿قَالَتِ الْأَغْرِيَابُ آمَّا قُلَّ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٨).

والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف باللسان اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام الله في جميع ما قضى وقدر، وإليه تشير الآية في خطاب الله سبحانه لنبيه وخليله إبراهيم عليهما السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٩).

والإسلام هو المنظومة الكاملة للحياة البشرية يقول الله سبحانه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١٠)، وليس من شك في أنَّ السمة التي تميز الدين الإسلامي عن سواه من الأديان والمذاهب هي كونه نظاماً للحياة، وأيديولوجية شاملة تتناول مختلف جوانب حياة الإنسان الفكرية والعملية، فليس هو مجموعة من الأنظمة التي يراد لها أن تُستوعب نظرياً، بل يراد لها أن تأخذ مجريها في الحياة العملية بحيث تتعكس على سلوك الفرد والجماعة، وتصدر الناس في تصرفاتهم وأفعالهم بوعي من تلك الأحكام، وعلى هدى تلك التعاليم^(١١). وللإسلام بعدان أساسيان، وهما: بُعد نظري وهو أصول الدين: وهي عبارة عن المبادئ والأسس العقائدية التي تشكل القاعدة لمختلف مسائل الدين من

أحكام عملية فقهية وأخلاقية وغيرها. آخر عملي وهو فروع الدين: وهي المقررات العملية التي شرّعها الله سبحانه لتنظيم علاقة الإنسان مع غيره، كصلة بربّه وصلة ببني جنسه وو...

ثانياً: وجوب المعرفة هل يختص بأحد البددين؟ أو أنه يشملهما معاً؟ بل يشملهما معاً، فيجب على المسلم معرفة الدين بكلّه بعديه، وهذا ما يحكم به العقل، وهو ما جاءت به الآيات والروايات مرشدةً لذلك الحكم.

الدليل العقلي: وهو الذي يثبت لنا وجوب معرفة أصول الدين، والتي بدورها تثبت لنا وجوب التعبّد بما جاء به الرسل والأوصياء من عند الله تعالى، وتوجد عدة أدلة منها: أنه إما من باب وجوب دفع الضرر المحتمل، بتقرير: أنه مع عدم طلب المعرفة يتحمل الضرر الأخرى، وحيث أنَّ دفع الضرر المحتمل واجب عقلاً يكون طلب المعرفة واجباً. وإما من باب وجوب شكر المنعم، بتقرير: أنَّ العقل يحكم بوجوب شكر من أحسن ومن أنعم على الإنسان، ومع ترك طلب معرفة المنعم يلزم منه ترك شكر المنعم وتضييع حقه قبيح عقلاً، وشكراً واجب، فيجب طلب المعرفة حتى لا يلزم تضييع حق المنعم.

الدليل النصي: أمّا على مستوى الكتاب العزيز:

١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾^(١٢) (الذى ينهى عن إتباع الظن، فلا بد من أن تكون العقيدة والحجّة في العمل عن علم ويقين؛ سواء كنا ممن يقول بأنّها تختص بالعقائد أو تشمل الأحكام أيضاً).

٢. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾^(١٣) الذي يكن الاستفادة من الأمر بالوقاية (قوا) فيه بوجوب الوقاية، وبالتالي وجوب مقدماته، وأول مقدماته هي المعرفة التي تتوقف الوقاية عليها، فكل إنسان مكلف أن يقي نفسه وأهله من النار، والسؤال: كيف أقي نفسي وأهلي؟ جوابه: بالمعرفة، أي بالتعلم ثم التعليم.

وي يكن الاستفادة مما رواه في الكافي^(١٤) في تفسير هذه الآية:

١. عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن عذافر عن إسحاق بن عمار، عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله علثيم قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا عجزت عن نفسي وكُلْفت أهلي، فقال رسول الله علثيم: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك».

٢ - عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير: «في قول الله عزوجل: ﴿قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قلت: كيف أقيهم؟ قال: تأمرهم بما أمر الله وتنهاهم عما نهاهم الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك».

٣ - عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمر، عن حفص بن عثمان، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله علثيم: «في قول الله عزوجل: ﴿قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ كيف أقي أهلا؟ قال: تأمر ونهם وتنهاهم».

وأما على مستوى الروايات الشريفة: ما رواه ثقة الإسلام الكليني أيضاً، عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبان بن تغلب^(١٥)، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا». وورد عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «تفقّهوا في دين الله»^(١٦). وإثبات دلالتهما على الوجوب في كلا البعدين يتوقف على إثبات مقدمتين:

الأولى: إثبات دلالة الروايتين على الوجوب.

الثانية: إثبات أن الوجوب مطلق يشمل كلا البعدين.

أما المقدمة الأولى فإن سياق الرواية الأولى يدل على أنّ هذا الأمر له من الأهمية بحيث أن تاركه يستحقّ الضرب بالسياط، واضح أنّ الأمر المستحب لا يستحقّ تاركه كل هذا العقاب الشديد، وكذلك صيغة الأمر «تفقّهوا» الدالة على الوجوب في الرواية الثانية التي تدلّ على وجوب التفقّه في الدين.

وأما المقدمة الثانية فإنّ متعلق الوجوب هو التفقّه في الدين، واستعمال لفظ «التفقّه» في الآيات والروايات ليس بالمعنى المتعارف الآن في عصورنا، إذ استُحدث الآن وصار يستعمل لتعلم خصوص مسائل علم الفقه وهو الجانب العملي للدين، وقد يستعمل فيهما بالمعنى اللغوي وهو مطلق التعلم، كقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(١٧)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١٨)، وقد عرّف الراغب في مفرداته الفقه بأنه: التوصل إلى علمٍ غائبٍ شاهد^(١٩). وإطلاق «دين الله» يبيّن أن وجوب التفقّه ليس مختصاً بجانب دون آخر من جوانب الدين، بل يشمل كلّ جوانبه.

الخلاصة

- أ- أعتقد أنَّ المجلس الإسلامي العلمائي قد وَفَقَ في اختياره لهذا الشعار، ووضعه من أولويات أجندته، وتوعية الأجيال بأهميته، وتهيئة السبل لهم لسلوكه.
- ب- صار واضحًا ما مِرْجُوبٌ "قراءة الإسلام" على كلِّ مسلم.
- ج- "قراءة الإسلام" لا تقتصر على بُعد دون آخر فيه، بل تشمل جميع جوانبه وأبعاده.
- د- أنَّ أمان الدنيا، وأمان القبر، وأمان الآخرة يحتاج إلى معرفة بالدين أصلًاً وفروعًاً والعمل وفق تلك المعرفة، والقراءة أبرز طريق للمعرفة.

المواهش:

- (١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب: ص ٦٦٨.
- (٢) المنجد في اللغة العربية المعاصرة: ص ١١٣٥.
- (٣) الإسراء: ١٤.
- (٤) الميزان: ج ٩ ص ٤٤.
- (٥) ميزان الحكمة: ج ٤ ص ١٧٨٢.
- (٦) آل عمران: ١٨.
- (٧) ن. م.
- (٨) الحجرات: ١٤.
- (٩) البقرة: ١٣١.

.٣) المائدة: (١٠)

.٢٥) ومضات من وحي عاشوراء للشهيد السيد أحمد الغريفي: ص

.٣٦) الإسراء (١٢)

.٦) التحرير: (١٣)

.٦٢) ج ٥ ص (١٤)

.أعلاه صحيح: (١٥) والسند:

.٣٨ ح ٣١ ص ١ ج (١٦) أصول الكافي

.٧٨) النساء: (١٧)

.٧) المنافقون: (١٨)

.٦٤٢) مفردات الراغب: ص

الإسلام المحمدي

السيد حسن السيد أحمد الغريفي

الإسلام دين الفطرة

لقد خلق الله تعالى الإنسان وركب فيه مادة وروحا، ولكل منهما خصائصه، وجاء التكريم الإلهي للإنسان من جهة (نفحة الروح) التي أودع الله تعالى فيها ميثاق الفطرة والعقل، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَّا سُنْتُ بِرِّبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

لقد أودع الله في أصل خلقة الإنسان فطرة الإيمان بالله وقيم الخير، وقد رضي الإنسان بلسان حاله وتكونيه واستعداده بهذه الربوبية، إلا أن تراكم الذنوب والسيئات حجب هذه الفطرة النقية وكدرّ من صفاتها، قال تعالى: ﴿فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٢) وقد جعل الله تعالى بإزاء الفطرة المودعة في الإنسان (الدين القويم) وهو الخريطة الواضحة التي من خلاها يسلك الإنسان طريق كماله وسعادته، بحيث لو استقام الإنسان على الدين حقق انسجاماً مع فطرته وبذلك حقق سعادته، وبانحرافه عن الدين ينعكس ذلك على فطرته وفي ذلك شقاوه، لذا جعل الله تعالى قيومة الدين على حياة الإنسان من أجل تقويم سلوك الإنسان على النهج الذي رسمه الله لعباده وهو النهج الذي يتطابق مع فطرة الإنسان.

"إن سر توفيق الدين" في تنمية موهب الله تعالى عند الإنسان، وتوظيفها التوظيف الصحيح، هو التطابق بين الدين والفطرة وهو أمر طبيعي، فإن دين الدين هو خالق الفطرة، وهو أعلم بما يصلح الإنسان ويفسده. إن المهندس الذي يضع تصميم جهاز دقيق ومعقد، وينتج هذا الجهاز، ويوضعه تحت تصرف الناس يضع إلى جانب هذا التصميم عادة تعليمات دقيقة لاستخدام هذا الجهاز، وصيانته وهو أمر طبيعي، وعلى نفس الملاك، فإن الله تعالى الذي خلق الإنسان وركبه مما شاء، هو وحده الذي يضع للإنسان المنهج الذي يسير عليه ويرسمه له. فإذا التزم الإنسان بما رسم الله تعالى من نظام التشريع، قت له أسباب النمو والكمال الذي أراده الله له^(٣).

رسالة الإسلام

الإسلام رسالة إلهية تقلل إرادة الله سبحانه ووحيه المنزل على رسليه وأوليائه.. رسالة من الخالق المدبر إلى الإنسان العبد المملوك.. كي يتحقق بها كمال وجوده وخلقته، ومنهجاً يستوعب حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً في دينه ودنياه وآخرته.. ودعوة عقلٍ وعلمٍ وأدبٍ.. وأخلاقاً تشع حبّةً ورحمةً. هو دين التوحيد الذي يخلّص الإنسان من عبودية وأي طاعة وتسلیم لغير الله، والتسلیم الكامل لحكمه وأمره.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤)، وإنما يُعرف بهذا الإنسان المخلوق الضعيف أن يدعى لحياته منهجاً وتشريعاً، وهو يعلم في قراره نفسه أنه لا يدرك أبعد وجوده وخلقته، لو لا رسالات السماء التي فتح الله بها أفق الإنسان -بواسطة أنبيائه ورسله- لما أدرك حقيقة خلقته والمصير الذي يؤول إليه ونشأة هذه الحياة والسبيل إلى سعادته الأبدية فيها.. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥).

ما هو الطريق لفهم الإسلام؟

من أجل فهم حقيقة الإسلام والتخليق بآدابه وتعاليمه وأحكامه، لا بد من الارتباط بعدهن الإسلام ومعينه الصافي (كتاب الله والسنة الشريفة والعترة الطاهرة) فهم معدن العلم ومهبط الوحي، وقد كانت وصاياتهم تتحث على البحث وطلب العلم وتحقيق (المعرفة) الصحيحة، عبر إعمال العقل والتفكير في الموجودات وفي أنفسنا، والآيات التي توصل الإنسان إلى حقيقة الوجود، وعبر الرجوع إلى مصادر الإسلام وأهل العلم في ذلك. قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفِ بِرِبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٦).

عن رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم.. به يطاع رب ويعبد، وبه توصل الأرحام، ويُعرف الحال من الحرام، العلم إمام العمل والعمل تابعه، يلهم به السعادة، ويحرمه الأشقياء»^(٧)، وعنه أيضاً ﷺ: «أفضلكم إياناً أفضلكم معرفة»^(٨)، ولا يكفي هذا المستوى من المعرفة والإيمان العقلي.. بل يجب أن تصل المعرفة بالنفس إلى مرحلة الإذعان والتصديق بهذه الحقيقة والتسليم العملي بلوازم (الإيمان) القلبي باتباع الرسول ﷺ وأهل بيته في تعاليهم وإرشادتهم، وقد ورد ذمٌ كثيرٌ لمن اقتصر إيانه على اللسان، قال تعالى: ﴿قَالَ الْأَغْرَابُ أَمَّا قُلَّ لَمْ تُؤْمِنُوا وَكَمْ قُولُوا أَسْلَمُوا وَكَمَا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٩). وعن الإمام علي عليه السلام: «أصل الإيمان حُسن التَّسْلِيمِ لأَمْرِ اللَّهِ»^(١٠).

بعد الطاعة والتسليم تتولد في داخل الإنسان قوة معنوية تحصن عن السيئات وتشعره بحقيقة ذاته وعلاقته بخالقه ومدبر أمره وذلك لما التزم بتعاليم الإسلام وأحكامه وآدابه وهي (التقوى). يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن تقوى الله حمت أولياء

الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته»^(١١).

من خلال التقوى تتفتح بصيرة الإنسان المؤمن على عظمة الخالق وحضوره وتشمله ألطاف الله وعنايته ليدخل في وسام (ولاية الله)، ويكون من أوليائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَفَقُونَ﴾^(١٢).

ولكي تكون مسيرة الإنسان المؤمن في حياته على خط الإسلام ومنهجه يحتاج دائماً أن يرفع لواء (الحق) والعدل في حياته ويعلم بأن مسيرة الحق تحتاج إلى (الصبر) والمجاهدة والتضحيات الكبيرة في سبيل الله، ليكون بحق مصداقاً لهذه الآية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١٣).

نبي الإسلام

نعمـة الله الكـبرى على عبـادـه هي بـعـثـة رسول الله ﷺ وـنـعـمة ولاـيـة أـهـل بيـتـه لما يـتـلـونـه من تـجـسيـدـ حـيـ للرسـالـة الإـلهـيـة، فـهـم الأـسـوـة العـلـمـيـة في إـدـراكـ المـعـانـي العـظـيمـة لهذا الدين وـتـعـالـيمـه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١٤).

وـأـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ الـبـطـشـ هـمـ الـمـنـبـعـ الـأـصـيـلـ الـذـيـ تـجـلـىـ بـعـدـ الـفـتـنـةـ الـكـبـرـيـ الـتـيـ حـلـتـ عـلـىـ الـبـشـرـيـةـ بـعـدـ رـحـيـلـهـ عـلـيـهـ الـبـطـشـ، وـحـنـيـماـ أـبـدـ أـهـلـ بـيـتـهـ عـلـيـهـ الـبـطـشـ عـنـ مـسـارـهـمـ الـطـبـيـعـيـ بالـنـسـبـةـ لـلـرـسـالـةـ وـالـأـمـةـ، وـأـلـبـسـ إـلـاسـلـامـ لـبـاسـ الـجـاهـلـيـةـ دـخـلـتـ الـأـمـةـ فـتـنـ ظـلـمـاءـ لـمـ يـنـجـ مـنـهـ إـلـاـ قـلـلـةـ مـنـ أـصـحـابـ عـلـيـهـ الـبـطـشـ فـهـوـ الـامـتدـادـ الـأـصـيـلـ لـرـسـالـةـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ الـبـطـشـ.

مسـيـرـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ الـبـطـشـ طـيـلـةـ حـيـاتـهـمـ كـانـتـ مـنـ أـجـلـ بـيـانـ إـلـاسـلـامـ الـذـيـ جـاءـ بـهـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ الـبـطـشـ بـالـأـسـالـيـبـ وـالـطـرـقـ الـمـتـنـوـعـةـ وـثـورـةـ إـلـمـامـ الـحـسـينـ عـلـيـهـ الـبـطـشـ فـيـ عـمـقـهـ إـحـيـاءـ

الإسلام الحمدي بعد أن كاد أن يندثر.

الإمام الخميني .. وفهم الإسلام الأصيل

أدرك الإمام الخميني قيئث في مسيرته المباركة نحو تحكيم الإسلام في مناحي الحياة، أن هناك فهماً مغلوطاً للدين في ظل انحسار واقع المسلمين السياسي والعالمي، وبسبب التركة الثقيلة للاستكبار وهيمنته عبر أدواته الثقافية والسياسية والإعلامية، والتي تغذى واقع المسلمين بخططها ومشاريعها، جعل فهم الإسلام في ظل هذا الواقع -بحسب فهم الإمام قيئث- يتأرجح بين فكرٍ متحجر لا يرى دوراً للإسلام إلا في مساحاتٍ ضيقة ومحدودة وبين فكر التقاطي يأخذ فتاته من هناك، في ظل هذا الواقع طرح عنوان (الإسلام الحمدي الأصيل)، وهذا العنوان لم يكن شعاراً خطابياً بل كان مقصوداً، وله دلالات كبيرة في واقعنا المعاصر وتطبيقاته العملية في الواقع.

الفهم الشمولي للإسلام

"وما لا شك فيه أن الإسلام العظيم هو دين التوحيد، ومحطم الشرك والكفر وعبادة الأوثان وعبادة الذات، دين الفطرة والتحرر من أغلال الطبيعة ووساووس شياطين الجن والإنس ما ظهر منها وما بطن، دين سياسة المدن والهادي إلى الجادة المستقيمة اللاشرقية واللامغربية، دينٌ عبادته مقرونةٌ بالسياسة، وسياسته عبادة"^(١٥). واجه الإمام قيئث الذهنية السائدة التي تفصل الدين عن السياسة، سواءً من خلال تبريرات شرعية أو من خلال اللهم وراء الأيديولوجيات الفارغة.

قيادة علماء الدين

من الأمور التي دفع بها الإمام تبئث هو دور علماء الدين السياسي والقيادي في ظل الواقع الذي يشهد حضور الإسلام في ساحة الحياة الاجتماعية: "يبين الدين الإسلامي للإنسان -أنه في نفس الوقت الذي يدعوه فيه إلى عبادة الله ويبين له كيفية هذه العبادة- طريقة العيش، وكيف ينبغي أن ينظم علاقاته مع سائر الناس، بل وحتى كيفية العلاقة بين المجتمع وسائر المجتمعات. فلا توجد أية حركة أو عمل فردي أو جماعي إلا وللإسلام فيه حكم؛ لذا فمن الطبيعي أن تعنى القيادة الدينية -قيادة علماء الدين- في جميع شؤون المجتمع؛ لأنَّ الإسلام مسؤول عن هداية المجتمع في جميع الحالات والأبعاد" ^(١).

"لو أمكنكم درك مفهوم الدين في ثقافتنا الإسلامية، لتأكد لكم بوضوح عدم وجود أي تناقض بين القيادة الدينية والسياسية، بل كما أن الكفاح السياسي هو جزء من الوظائف والواجبات الدينية، فإنَّ قيادة الكفاح السياسي، وتوجيهه هو جزء من وظائف ومسؤوليات القائد الديني" ^(١٧).

تربيـة النـفـس

طالما يؤكد الإمام تبئث على الهوية الإيجانية و التربية النفس والالتزام بالتكليف الشرعي، كجزء مهم فهم الإسلام الأصيل:

"إن الإنسان بفطرته طالب لكل كمال -بصورته المطلقة- وأنتم تعرفون جيداً أن الإنسان ينزع إلى أن يكون القوة المطلقة فلا يتعلق بأية قوة ناقصة محدودة؟ ولو أنه امتلك العالم وقيل له إن هناك عالما آخر، مال فطرياً إلى إخضاع ذلك العالم أيضاً لسلطته، ومهما بلغ الإنسان من العلم وقيل له: إن هناك علوماً أخرى، مال -مدفوعاً

بفطرته - إلى تعلمها؛ إذن فلابد أن تكون هناك قوة مطلقة وعلم مطلق ليتعلق الإنسان بها؛ وهذا هو "الله" تبارك وتعالى؛ الذي تتوجه إليه جميعا حتى لو كنا أنفسنا نجهل ذلك.

الإنسان يريد الوصول إلى "الحق المطلق" ويفنى فيه. إن هذا الشوق إلى الحياة الحالدة المتواصل في فطرة كل إنسان هو -في الأساس- دليل وجود عالم الخلود المنزه عن الموت^(١٨).

"بني: استفاد من شبابك، وعد بذكره ومحبته جَهَنَّمَ وَعَلَّ إلى العيش وتقضية العمر بالفطرة، فذكر المحبوب لا يتنافى مع الفعالية السياسية والاجتماعية، أو السعي إلى خدمة شريعته وعباده جَهَنَّمَ وَعَلَّ، بل إنه سيعينك -وأنت تسلك الطريق إليه-، ولكن لتعلم بأن خداع النفس الأمارة بالسوء وشيطان النفس والمحيط كثيرة، فما أكثر ما يبتعد الإنسان عن الله باسم الله واسم الخدمة لخلق الله، ويلاقى نحو نفسه وآمالها! لذا كانت مراقبة النفس ومحاسبتها في تشخيص طريق الأنانية عن طريق الله من جملة منازل السالكين، وفَقْدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِبَلوغِ ذَلِكَ"^(١٩).

استنهاض الشعوب

من الأمور التي يصر عليها الإمام قتـٰئـٰ هو رعاية المستضعفين والمحرومين واستنهاضهم:

"من الأمور التي يلزم التذكير بها لقيام المسلمين والمستضعفين في العالم ضد الطامعين الدوليين والمستكبرين المسعورين، أن القوى الظالمة تنفذ أهدافها المشؤومة بشكل عام عن طريق التخويف والتهديد، أو بواسطة أبواقفهم الإعلامية، أو بواسطة عملائهم المحليين الخونة، بينما لو وقفت الشعوب بوعي ووحدة أمامهم لما استطاعوا

أن ينفذوها، والشاهد على ذلك كثيرة..”^(٢٠).

الوحدة الإسلامية

كان الإمام قتيل دائمًا يؤكد على الوحدة الإسلامية وأنها السبيل لنصرة المسلمين وعزتهم والطريق للدولة الإسلامية العالمية:

”رمز الانتصار هو وحدة الكلمة والانسجام، وقد بين الله تعالى ذلك في جملة واحدة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، والاعتصام بحبل الله تبيان للتنسيق بين جميع المسلمين من أجل الإسلام وفي اتجاه الإسلام ولصالح المسلمين، والابتعاد عن التفرقة والانفصال والفتؤية التي هي أساس كل مصيبة وتخلف”^(٢١).

الإمام الخميني تأثر من خلال هذه الأسس حرك واقع المسلمين نحو الإسلام الأصيل الذي يحقق سعادتهم وعزتهم، لذا واقعنا المعاصر مدين لهذه المدرسة التي لا بد من قراءتها لنقترب من فهم الإسلام الذي جاء به نبينا محمد وأهل بيته الأطهار(صلوات الله عليهم).

المواهش:

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) سورة الروم آية ٣٠.

(٣) في رحاب القرآن، الفطرة، الشيخ الآصفي ج ٥ ص ٢٢٥.

(٤) سورة آل عمران آية ١٩.

(٥) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٦) سورة فصلت آية ٥٣

- (٧) ميزان الحكمة ج ٣ ، ري شهري، العلم ص ٢٠٦٥.
- (٨) ميزان الحكمة ج ١ ، ري شهري، الإييان ص ١٩١.
- (٩) سورة الحجرات آية ١٤
- (١٠) ميزان الحكمة ج ٤ ، ري شهري، الولاية ص ٩٧٠٠.
- (١١) ميزان الحكمة ج ٤ ، ري شهري، الولاية ص ٣٦٩٩.
- (١٢) سورة الأنفال آية ٣٤.
- (١٣) سورة سورة الحجرات آية ١٥.
- (١٤) سورة الأحزاب آية ٢١
- (١٥) ن.م.
- (١٦) ن.م.
- (١٧) ن.م.
- (١٨) ن.م.
- (١٩) ن.م.
- (٢٠) ن.م.
- (٢١) ن.م.

الحداثة الدينية... نظرة من الداخل

غازي عبد الحسن إبراهيم

مقدمة

كَهْ اقتحمتْ موجةً من الأفكار المستوردة الساحة الثقافية الإسلامية، تحت ذريعة التجديد والتنوير والتطوير، وهي أفكار ولدت من رحم الثقافة الغربية، ورُضعت من مناهجها وألياتها، وترعرعت في أحضان حضارتها المزيفة، التي هي في أغلب مفرداتها ولizada نظريات بشرية هدفها إشباع غرائز المواطن الغربي، وهي ليست مبنية على أساسٍ سماويةٍ وعقائديةٍ ربانية. وقد جرفت تلك السيولُ من الأفكار منازل بعض العقول وهدمت متبنياتها ومبانيها، فأحالتها إلى كومة من الركام الفكري، بحيث أصبح إثنها أكبر من نفعها، حيث إن العلم الذي لا يستتبع الإيمان هو الحجاب الأكبر، وأن العلم الذي يجعل من بستان العقل والقلب والروح كالصحراء القاحلة هو في واقعه أشدّ خطورة من الجهل.

وفي هذه الكلمات المتواضعة سوف أتناول بعض تلك الأفكار والأطروحتات بالنقد -والذي أرجو له أن يكون علمياً و موضوعياً- وسوف أبدأ بعون الله تعالى بالمنظومة الفكرية للحداثة من حيث المفهوم والآليات والأهداف والرجالات.

الحداثة.. نظرة تاريخية

الحداثة مذهب فكري غربي، يضرب بجذوره إلى ما يسمى بعصر التنوير الأوروبي، والذي بدأ يتبلور جلياً في القرن التاسع عشر الميلادي، وهي -أي

الحداثة - إفراز نتج عن حالة التصادم وعدم الوئام بين الاكتشافات العلمية من جهة وبين مقررات الكنيسة من جهة أخرى، كما حصل بالنسبة لغاليليو الذي كتب كتابا في عقائد بطليموس، وبعدها دعاه البابا إلى روما وأبلغه أنَّ اعتقاده بدوران الأرض حول الشمس شرك، وأجبره بأن يجشو على ركتبيه وأن يطلب المغفرة، وقيل أنَّ غاليليو نفذ ما طلب منه البابا، ولكنه كتب بإصبعه على الأرض بعد خروجه: "رغم كل هذا، الأرض تدور حول الشمس".

وبعد توالي هذه الأحداث وتكررها، ظهر صراع بين تيارين، التيار الديني، المتمثل في سطوة الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة، والتيار العلمي الحداثي، وعلى أثر هذا الصراع بُرِز الدين والعلم على أنهما خصمان لدودان، ونقضان لا يجتمعان.

ومن نافذة قوانين نيوتن الميكانيكية، نظر الحداثيون إلى أن الطبيعة هي لغز مقفل لا يفك إلا من خلال فهم القوانين الطبيعية، وبعد أن تعرفوا على بعض الظواهر الطبيعية من خلال تلك القوانين التي كان ينسبها المُتدينون إلى القدرة الإلهية، انكسر الحسُّ الديني عند الحداثيين في تلك الفترة، حتى أن بعض علماء الطبيعة -من النصارى- قد بدأت قناعتهم تتغير وتوول إلى عدم الحاجة إلى رب، أو أنَّ رب قد أوكل أمره إلى تلك القوانين، وهذه هي بداية مرحلة التحول والعدول عن الإله في العصور الوسطى الأوروبية إلى الحداثة الملحدة التي تنكر وجود الإله من خلال نظرة بعض روادها، فنشأت الحداثة في جوٌّ من العزلة عن الدين والتنكر له.

الحداثة.. نظرة معاصرة

الحداثة من حيث اللفظ ضاربة الجذور، ومتصلة في التراث اللغوي، فالحديث هو نقىض القديم^(١) أما من حيث المضمون، فهى من المفاهيم التي كثُر الجدل فيها، فبعضُ يراها كفتاة متبرجة سافرة أخفت قبح وجهها خلف مساحيق الزينة والتجميل، فجاءت إلى عاشق الثقافة والمعرفة، كعشّوقة جميلة، وغلقت أبواب المعرفة الأصيلة الناصعة ونواذها، وقالت له هيـت لكـ، فقال لها معاذ اللهـ، وبعـضُ يراها كبصيـص نور تأـلـقـ في سماء مـظلمـةـ لمـ تـرـ الشـمـسـ المـشـرـقـةـ فـيـهاـ ولاـ القـمـرـ المـنـيرـ رـدـحـاـ منـ الزـمـنـ، فـهـيـ ماـ بـيـنـ خـسـوفـ وـكـسـوفـ، لـاـ فـرـقـ بـيـنـ لـيـلـهـاـ وـنـهـارـهـاـ. وـبـيـنـ هـاتـيـنـ الرـؤـيـتـيـنـ تـتـأـرـجـحـ بـقـيـةـ الرـؤـىـ.

فالحداثة في منظور الكثير من الحداثيين الماديين تعني سيادة العقل، وسيادة العقل من أهم الأسس لفلسفة التنوير، فعليه تكون العلمانية من أبرز ثمار الحداثة، وهي أيضاً تعني التعارض مع كل ما هو تقليدي وموروث، وهي تعنى التغيير المستمر الذي يؤدي إلى أزمات داخل المجتمعات، وبالتالي تجد نفسها مضطـرـةـ إـلـىـ مـرـاجـعـةـ الـقـدـيمـ عـلـىـ أـسـاسـ الـعـقـلـانـيـةـ، وـالـعـقـلـانـيـةـ هـيـ الـتـيـ تـؤـدـيـ إـلـىـ الـحدـاثـةـ وـلـيـسـ العـكـسـ، وـهـذـاـ مـاـ حـدـثـ تـارـيـخـيـاـ فـيـ أـورـوبـاـ، فـالـرـؤـيـةـ الـحـدـاثـيـةـ تـعـقـدـ بـأـنـ الـحـقـائـقـ تـسـتـمـدـ قـيـمـتهاـ مـنـ كـوـنـهـاـ نـتـاجـاـ لـلـعـقـلـ الـبـشـريـ الـمـتـغـيرـ، فـتـأـقـيـ حـيـنـئـ حـرـيـةـ الـاـخـتـيـارـ لـلـقـيـمـ وـالـأـسـالـيـبـ، وـأـنـ الـلـغـةـ هـيـ قـوـةـ ضـخـمـةـ مـنـ قـوـىـ الـفـكـرـ الـمـتـخـلـفـ الـتـرـاكـميـ، فـلـذـاـ يـجـبـ أـنـ تـسـتـبـدـلـ بـلـغـةـ حـدـاثـيـةـ، وـالـلـغـةـ الـحـدـاثـيـةـ تـقـتـلـ الـلـغـةـ الـنـقـيـضـ لـتـلـكـ الـلـغـةـ الـمـوـرـوـثـةـ^(٢).

رموز الحداثة

للحداثة رموز ورجالات، وأبرز رموز الحداثة من الغربيين شارل بودلير، وهو أديب فرنسي، وأيضاً الأديب الفرنسي غوستاف فلوبيير، ومالارامييه، وهو شاعر فرنسي، ويعُدُّ من رموز المذهب الرمزي، والأديب الروسي المعروف مايكوفوسكي، الذي نادى بنبذ الماضي برمحته والاندفاع نحو المستقبل. ومن أبرز رموزها في البلاد العربية علي أحمد سعيد، وهو نصراوي سوري، ويُعدُّ المروج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية^(٣)، والمغربي محمد عابد الجابري، والجزائري الأصل الذي يعيش في فرنسا محمد أركون، والأخير يمثل الشخصية الأكثر بروزاً في مذهب الحداثة عند أغلب رواد الحداثة من المثقفين العرب.

من هو أركون؟

ولد محمد أركون عام ١٩٢٨ في الجزائر من أصل بربري، وهو مفكر علماني يقيم في باريس، أتم دراسته الجامعية في جامعة السوربون في باريس، وفي عام ١٩٦٨ عُيِّن كأستاذ لتاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في السوربون. ويطلق أركون على هذا الحقل المعرفي الذي يعمل فيه اسم الإسلاميات التطبيقية، ومراده من هذه التسمية هو دراسة الإسلام في مراحله التاريخية المختلفة من خلال تطبيق المنهج الغربي في العلوم الإنسانية الحديثة ومصطلحاته، وإسقاطهما -أي المنهج والمصطلحات- على الإسلام، أي أنه يستهدف نقد العقل الإسلامي وتفكيره على وفق المنهجية المعرفية الغربية.

وينظر البعض لأركون وأطروحاته على أنها أفكار حديثة يراد منها صياغة

إسلام جديد بمنهجيات ومصطلحات غربية، فأطلق ذلك البعض عليه مصطلح المشروع الأرکوني، بينما ينظر البعض الآخر لهذا المشروع على أنه تهديد لمبادئ الإسلام ورؤيته الكونية - وهو الحق - حيث إن هذا المشروع، ليس فقط لا يلتقي مع تعاليم الإسلام، بل يتباين ويتعارض مع العديد من الثوابت الإسلامية.

ومن أهم الأفكار التي ينادي بها أركون هي العلمانية، وهو يزعم بأنها موجودة في النصوص القرآنية وفي تجربة المدينة المنورة، وأيضاً هو ينادي بالمنهج التفكيري للنص الديني - أي تفريغه من المحتوى المقدس - والدعوة إلى قراءته بطريقة المعرفة الحديثة، والابتعاد عن التقديس اللاهوتي له، وهو ينفي وجود الإسلام الصحيح، ويقول بأن المذاهب المختلفة هي بعيدة عن الدين لأنها عبارة عن إفرازات نتجت عن إيديولوجية مغايرة للدين. وبإمكان الباحث أن يرجع إلى بعض كتبه حتى يلمس تلك الأفكار ومثيلاتها عن كثب^(٤).

وينظر أركون إلى النص القرآني على أنه نصٌّ تشكّل تاريخياً ضمن شروط معينة كغيره من النصوص التي يحفل بها الموروث الفكري للحضارة الإسلامية، وهو ما يعني نزع القدسية عنه باعتباره النص الإلهي الذي يتلخص في مخصوصية، وذلك بإخضاعه للنقد التفكيري والقراءة الحفرية عن طريق توظيف كل المناهج الممكنة من أجل فرض قراءة تاريخية^(٥)، ويقول في موضع آخر: ((ويكفي أن أقول بأن المقدس الذي نعيش عليه أو معه اليوم لا علاقة له بال المقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الإسلام، ولا حتى بال المقدس الذي كان سائداً أيام النبي))^(٦)، ويقول أيضاً في كتابه "تاريخية الفكر الإسلامي": ((ينبغي أولاً إعادة كتابة قصة تشكّل هذا النص (أي القرآن) بشكل جديد كلياً، أي نقد القصة الرسمية للتشكيل

ومن الملاحظ أن المحدثين -ومن ضمنهم بعض المثقفين العرب- ينتقدون الثقافة الإسلامية بغير لغتها ومنهجيتها وأصطلاحاتها، وهم بعيدون عن فقه اللغة وعلم البيان الذي يحدد مدلولات الألفاظ، وأيضا علم أصول الفقه، وهم يجهلون نتاج علماء الإسلام فيأغلب المواضيع التي يخوضون فيها، بقدر علمهم ومعرفتهم بنتائج علماء الغرب، ويجعلون من المحدثة الغربية المرجع والأم من حيث المنهج والمصطلحات في نقدهم للمعارف الإسلامية، وأيضا نراهم -وعلى رأسهم أركون- يصورون علماء الإسلام والراجع العظام على أنهם لا يفهمون من الدين شيئا، ويركزون على إسقاط مكانتهم وموقعهم العلمي والمعنوي، حتى تتبلور مقوله (إسلام بلا علماء)، والتي هي مساواقة لمقوله (مستشفى بلا أطباء)، فها هو أركون يطرح نقده الحاد والصارم للفكر الديني والتراث الإسلامي بالطريقة السجالية المعهودة في الغرب^(٨)، فهو يريد أن يستنسخ ما حصل في أوروبا، لتبرير عقدة اللاهوية واللإيمان التي يعيشها هو وأضرابه، فلهذا نراهم يرسخون حالة التصادم بين الدين والعلم، وأن التيار الديني هو العائق الأكبر في طريق الاكتشافات العلمية والمعارفية، كما حصل في أوروبا، ولم يلتقطوا -بقصد أو دون قصد- أن المسيحية

المحرفة والمشوهة التابعة لمصالح أرباب الكنيسة هي ليست كالإسلام الأصيل الذي يؤخذ من مداركه المقررة من قبل علماء مختصين وأمناء، والإنجيل المحرف ليس كالقرآن الكريم، والمحوزة ليست كالكنيسة التي فرضت الإرهاب الفكري، ونائب الإمام (الفقيه) ليس كالبابا في العصور المظلمة، فليس هناك حالة تصادم بين الدين والعلم، كما حصل في أوروبا، بل هناك حالة من الوئام والتناغم بينهما.

العلمانية الملحدة

والعلمانية التي يطرحها أركون هي في حقيقتها مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها، كل ذلك بعزل عن أوامر الدين ونواهيه، وقد بدأت في أوروبا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م، وقد عمّت أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي -أي أنَّ مهد ونشأ العلمانية هو أوروبا- وأصل العلمانية الكلمة إنجليزية هي ((secularism)) وتعني اللادينية واللامسيانية واللامقدّس والدنيوية، بمعنى أن الأخلاق والقيم والسياسة والمجتمع والقانون وغيرها، يجب أن لا تكون مبنية على أسس وثوابت دينية، ونجد أن دائرة المعارف البريطانية حينما تتحدث عن العلمانية تقول: ((هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها. ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر. ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفت الـ((Secularism)) تعرّض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية، وبإمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه

الحياة القريبة. وظل الاتجاه إلىـ(Secularism)) يتظاهر باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية)).^(٩).

وحاول البعض التدليس والتلاعيب في مفهوم العلمانية ومدلولها، بحيث نسج لها هالة علمية، لكي تحظى بقبولية أكثر في الأوساط والمجتمعات، وقال بأن المراد من العلمانية هو الحرص على العلم التجاري والاهتمام به، ولكن حينما نرجع إلى البيئة التي نشأت وترعرعت فيها هذه الكلمة يتبين لنا عدم صحة هذا الزعم، إذن العلمانية ترمي إلى عزل الدين عن الدولة والحكم، وعزله أيضاً عن الناس، وجعله حبيساً في ضمير الفرد، بحيث لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، كطقوس روتينية فارغة من المحتوى، أي أن العلمانية تترك للناس حرية التدين بالمعنى الفردي الإلحادي، ولا تريد لهذا الدين أن يتبلور ويترجم في الأمور الحياتية.

ويُعرف البعضُ العلمانيةَ بأنها نزعة استقلالية بشرية بنيت على الانسلاخ عن سيطرة المفاهيم الدينية المتسلطة على الإنسان، هذا الانسلاخ الذي جاء كردة فعل للفكر الكنسي الذي اضطهد العلماء وأهل العلم والرأي المخالف، وربما يكون للعلمانية في المجتمع الأوروبي ما يبررها، وذلك نظراً لطبيعة الديانة النصرانية ومبادئها الأساسية التي تقوم على الفصل بين الدين والدنيا (دع ما الله الله، وما لقيصر لقيصر)، إضافة للصراع الذي نشأ بين الكنيسة من جهة والاكتشافات العلمية وأصحابها من جهة أخرى.

وأول من طرح هذا المصطلح في الساحة الثقافية العربية هو إلياس بقطور، وهو نصراوي من لبنان. ومن أشهر دعاة العلمانية في العالم العربي والإسلامي: طه حسين وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد ومصطفى كمال أتاتورك وغيرهم.

والعلمني قد يؤمن بوجود إله، لكنه يعتقد بعدم وجود علاقة بين الدين وبين حياة الإنسان، ويعتبر القيم الروحية والأخلاقية التي تنادي بها الأديان، هي قيم سلبية نسبية يجب أن تتتطور أو تلغى، ويطالب العلماني بعدم تدخل الدين في الأمور السياسية، وأنه يجب تطبيق الشرائع والأنظمة الوضعية، كالقانون الفرنسي في الحكم، وأن الدين للعبادة الفردية فقط، ولا يتصل في شؤون الحياة وتنظيمها، ويطلب أيضاً بأن يكون العقل البشري صاحب القرار وليس الدين، ويعتبر بعض العلمانيين أن مجرد ذكر اسم الله تعالى في البحث العلمي يعتبر إفساداً للروح العلمية، ومبرراً لاسقاط النتائج العلمية، واعتبارها ليست ذات قيمة علمية.

هي إذن دعوة لإقامة الحياة على ضوء العلم الوضعي والعقل، ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، أما نظرة الإسلام للعلمانية على وفق المفهوم المتقدم فواضحة، لأنها هي الرفض وعدم القبول.

المنهج التفكيكي

أما المنهج التفكيكي ((deconstruction)) الذي انتهجه أركون، فهو يُعرف في العربية بالتفكيك أو التقويض أو التدمير، وهو مصطلح فرنسي الأصل، والتقويض أو التهديد، هو ما يسعى إليه هذا المنهج في قراءة النص -حسب تعريف واحدة من ممارسيه المعروفيين- وهي الناقدة الأميركية باربرا جونسن، فهي تنفي أولاً أن يكون معنى العبارة هو التخريب النصي المتعتمد أو التدمير -ربما لما في ذلك من دلالة عدوانية- ولكنها تعود لنقبل دلالة التدمير على أساس أن ثمة ما يمكن أن تدمره هذه القراءة، وهو ليس النص، وإنما دعوى أن نطا دلاليها واحداً يهيمن هيمنة لا ليس فيها على حساب نط آخر، أي أن المراد من التفكيك بحسب وجهة نظرها

هو تفكيك النص من أجل إعادة البناء، أو تفكيكه بغرض تقويض الميتافيزيقية والكشف عن تناقضاته -كما يعبر بعض رواد الحداثة-.

ومن هنا تأتي أهمية الوقوف على ثقافة المصطلح، حيث إن مدلول المصطلح عندهم، ربما يختلف عن مدلوله عندنا، وأيضا لا بد من الوقوف على مسألة الثابت والمتغير، فليس ككل نص يخضع لممارسة منهج التفكيك.

إن الحداثة وغيرها من المنظومات الفكرية الغربية التي انبثقت في القرون الوسطى، إنما كانت وليدة الصراع الذي نشأ بين التيار الديني الكنسي، والتيار العلمي، فتبليورت على إثر ذلك فكرة أن الدين لا يلتقي مع العلم، بعبارة أخرى، إن قرارات الكنيسة التعسفية وإرهابها الفكري هما السبب في تقهقر الاكتشافات العلمية، وبالفعل فقد مارست الكنيسة الإرهاب والسجن وحتى الإعدام، كما حصل للعلم سرفيتوس في عام ١٥٣٣م، وجورданلو برونو في عام ١٦٠٠م، مما رسم في النفوس أن الدين -الذي قتله الكنيسة آنذاك- لا يلتقي مع العلم والاكتشافات العلمية.

هذا بالنسبة للديانة المسيحية المحرفة وأرباب الكنائس. ولكن -بقتضى الإنصاف والموضوعية- لا يمكننا تعليم هذه الحالة وإسقاطها على الدين الإسلامي وعلمائه، فالإسلام حثَّ على تحصيل العلم إلى حد بعيد، ولم تقع معارضته بين الدين والعلم الحقيقي في الدين الإسلامي، كما حصل ذلك بين الكنيسة والعلماء الكونيين في القرون الوسطى، والتي أدَّت إلى الشنق والنفي والسجن، فالإسلام لا يتعارض مع العلم الصحيح القائم على الأسس العلمية السليمة، وهو في الوقت ذاته يندد بالتلخُّصات والظنون الباطلة التي تسمى عند روادها بالعلم^(١٠).

هناك بعضٌ آخر ينظر للحداثة على أنها حركة فكرية، صبيانية المضمون، وعبيدية في شكلها الفني، وتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمر للماضي والقديم، وهي إفراز طبيعي لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبي، ولظهور الشك والقلق في حياة الناس، مما جعل للمخدرات والجنس دورهما الكبير. وبعضٌ يرى بأنها لذة التجديد الدائم، انطلاقاً من حالة التمرد على الماضي والقديم، على ضوء المنهج الغربي والأدوات الغربية.

ومن جميل ما يذكر في هذا المقام نظرة ساحة الشيخ محمد مهدي الأصفي في كتابه القيم [الجسور الثلاثة] في إشارة للبيت والمدرسة والمسجد، كقنوات من خلالها نصل إلى القيم السماوية والربانية. يُعرّف الكاتبُ الوراثةَ الحضارية على أنها (انتقالَ القيم والأفكار والرؤى والأعراف والأخلاق من جيل إلى جيل)، ومن الواضح أنَّ هذه الوراثة قوانين وأسس تسير عليها، منها مثل الوراثة في الإنسان والحيوان والنبات، بعدها يتعرض إلى ثنائية الحداثة والقديم، أو الاتصال والانفصال، ويقول: (لقد حاول الاستكبار وعملاً به، في العالم الإسلامي، من الحكم والمفكريين، أن يصوروا هذا الصراع على أنه صراع بين القدم والحداثة. لكن الحقيقة شيء آخر، فلم يكن الصراع على القديم والجديد، وإنما كان الصراع على الانقطاع والاتصال، لقد كان الاستكبار العالمي يعمل لقطع هذه الأمة عن ماضيها وجذورها التاريخية، ولننسف الجسور التي تربط حاضر الأمة بحاضرها، وكان المخلصون الوعاعون، من أبناء الأمة، يدركون عمق هذه المؤامرة ويخرسون على أن يبقى حاضرنا مرتبطاً بحاضرنا وتراثنا وجذورنا في التاريخ، وكان هذا الصراع قائماً في كل مكان، في المدرسة، وفي الجامعة، وفي الشارع، وفي الفن، وفي الأدب، وفي المصطلحات، وفي الأعراف، وفي

اللغة، وفي الخط، وفي الشعر، وفي المعاشرة، وفي الأسرة، وفي طريقة التفكير، وفي لغة التخاطب، وفي أشياء كثيرة أخرى في حياتنا^(١١)، ويُعبر الكاتبُ عن هذه الرغبة لنصف تلك الجسور الموصلة لتلك القيم والمبادئ، تحت ذريعة أسماء وسميات براقة بأنها نوع من التخرّب الحضاري.

ولا يخفى ما للمصطلح من أهمية كبرى في إيصال المضامين الفكرية والثقافية المختلفة، فالمصطلح هو اللفظ الذي يضعه أهل عرف أو اختصاص معين ليدل على معنى معين يتบรร إلى الذهن عند إطلاق ذلك اللفظ، وهو في حقيقته يمثل الوعاء الذي يحيي بين طياته المضمون العقائدي والحضاري، والمحتوى الفكري والثقافي، والبعد التاريخي المرتبط بالمنشأ والمهدى.

ربما يقول البعضُ لأول وهلة (لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات)، ولكن قد يقال، بأن هذه المقوله ليست صحيحة على إطلاقها وعمومها، حيث إننا لا نستطيع أن نفصل المصطلح عن محتواه العقائدي والفكري والتاريخي وربما السياسي في كل الأحوال، نعم، ربما تكون تلك المقوله صحيحة في الموارد التي تكون فيها الألفاظ المتعددة ذات مضمون ومحظى واحد، وهو ما يعبر عنه بالترادف، والذي هو عبارة عن اشتراك الألفاظ المتعددة في معنى واحد، من قبيل أسد، سبع، ليث، غضنفر، وغيرها من الألفاظ، وهذه الألفاظ ومثيلاتها لا تصح المشاحات والمنازعة فيها، أما الألفاظ والمصطلحات التي ترتبط بخلفيات فكرية معينة وأبعاد تاريخية لها منشؤها وببيتها وأهدافها، فيتحقق لنا أن نتأمل فيها ونقف عندها، فمن الممكن أن يأخذ المصطلح الواحد في حضارة واحدة أكثر من مدلول، وذلك بحسب اللحظات المختلفة التي يلحظ المصطلح من خلالها، مثلاً، مصطلح [السنة] في النطاق الإسلامي،

عند اللغوي لها معنى، وعند عالم الحديث لها معنى آخر، وعند عالم الفرق والمذاهب لها معنى آخر أيضاً، وهكذا الحال في مصطلحات أخرى.

إذا كان هذا هو شأن المصطلح الواحد في حضارة واحدة، فكيف يكون الأمر مع تعدد المضارط والخلفيات الثقافية والفكرية، وربما تباينها. على سبيل المثال، الدين في تعريف الحضارة الغربية هو رايد من رواد الثقافة البشرية العامة التي تعتمد على الغيب في تأكيد وظيفته القيمية بين الناس، وهو ملحق بالأساطير والخرافات، وفي أحسن الأحوال بالعادات والتقاليد، فهو لذلك قليل التأثير في حياة العنصر الغربي، بل أجنبى ومعزول عنها، أما في المنظور الإسلامي، فالدين هو الإطار المعرفي الحاكم للوجود الإنساني على الأرض بجميع خصائصه ومكوناته، ولجميع فعالياته ونشاطاته، فهو المصدر والأساس لتلك الفعاليات، على مستوى الأفراد والجماعات.

الحداثة الدينية والاجتهداد

هناك الكثير من المصطلحات التي تتباين في محتواها مع بعضها البعض، وفي واقعنا الشعافي المعاش أيضاً تطرق أسماعنا بين الفينة والأخرى مصطلحاتٌ تتباين في محتواها ومضمونها مع الأطر الدينية، إلا أنها تزيت بالزليّي الدين، فأصبحت -أو يراد لها أن تصبح- البديل المستنسخ عن بعض المصطلحات الدينية التي تمتلك الصفاء والنقاء والوضوح، ومن بين تلك المصطلحات، ألا وهو مصطلح ((الحداثة الدينية)), الذي يراد له -عند البعض- أن يكون بديلاً عن مصطلح الاجتهداد في عرف الفقهاء، والذي هو عبارة عن استنباط الحكم الشرعي من مداركه المقررة بشروط معينة.

الحداثة الدينية - بحسب كلمات بعض روادها - هي عبارة عن عملية إعادة صياغة الرؤية الموروثة لتنتج رؤية حداثية، وهي فتح إمكانات الشيء على كل الوجوه، وجعل الأمر جديداً المرة تلو المرة، وتأتي حتمية الحداثة الدينية في منظورهم، وذلك للحد من عملقة الدين والقيم. وقد ظلت الحداثة الدينية في الكثير من الأحيان تستجدي وتتوسل بالخلفيات الأصلية للحداثة الغربية، بحيث وقعت أسيرة التبعية الغربية في كل مكوناته لتلك المنظومة، وحينئذ أصبحت الحداثة الدينية في الإطار الثقافي حداثة مشوهة، تتربّك من نصفين غير متجانسين، النصف الأول هو مقولات الحداثة الغربية بكل تجلّياتها، والنصف الآخر هو المقولات التجديدية - غير المنضبطة - التي تطرح في الساحة الثقافية الإسلامية المعاصرة على ضوء ما يسمى بعلم الكلام الجديد.

فالحداثة الدينية على ضوء هذه الرؤية، هي حداثة تلفيقية لا تمتلك الرؤية النظرية العلمية الواضحة والمنسجمة على مستوى المنهج والأدوات، ويعاني روادها من أزمة الانبهار بالنتائج الغربي، وإن كان في دائرة اللاشعور، وبالنسبة لمقومات الحداثة الدينية فهي رفض الأطر الإيديولوجية، والتفكيك الدائم، وهوَس التجديد، ورفض اليقينيات وال المسلمات والثوابت، أو محاولة القفز عليها بكلمات ضبابية عائمة، كل ذلك من شأنه أن يؤدي إلى حالة التناقض في النتائج، حيث أنَّ الكثير من تلك المقومات يصطدم مع الكثير من الثوابت الفكرية في المنظور الإسلامي.

إن (أسلامة) بعض المصطلحات - إن صح التعبير - وصبغها بصبغة إسلامية، ليس كفيلاً بأن ينزع الخلفيات الفكرية المسبقة عن ذات المصطلح ومكوناته، مثلاً، البعض ينادي بالديمقراطية الإسلامية، ويحاول إيجاد حالة من التنااغم والوئام بين

الديمقراطية والإسلام على مستوى المضمون والمحتوى، على الرغم من التباين بين الأطروحتين من حيث المضمون الفكري والامتداد التاريخي، نعم هناك من يتولى بتلك الأسماء والسميات كوسيلة لا ترتبط بالمضمون، بل باعتبارها أساليب ممكناً وأقل سوءاً.

ورواد النمط الأول -جلهم إن لم نقل كلهم- ليسوا من أهل التخصص في الشؤون الإسلامية، فلذا كثيراً ما نرى حالة التخبط في نتاجاتهم الفكرية ذات الطابع الإسلامي العميق، رجأا لأنَّ أغلبَ أصحابها يعيشون الخلل في فهم وتفسير مقوله "باب الاجتهاد مفتوح"، حيث أنهم يرون أن هذا الباب مفتوح على مصراعيه، لكل من هبَّ ودبَّ، بمعنى أن وظيفة كل إنسان أن يكون مجتهداً في الدين، من دون ضوابط أو شروط، فإن أخطأ فله أجر واحد، وإن أصاب فله أجران، وقد غفلوا عن حقيقة الاجتهاد في تلك المقوله، حيث إن الاجتهاد ينقسم إلى قسمين:

الأول: الاجتهاد العام، وهو منهج عام لـإعمال النظر وتفعيل القوة العاقلة، وقد عرَّف اللهُ العقلَ بهذا.

الثاني: الاجتهاد الخاص، وهو الذي يصدق على شريحة من المجتهدين (الفقهاء) المتخصصين في الشأن الفقهي وأصوله، والشريعة بشكل عام، لتنظيم سلوكيات الإنسان الدينية والعبادية.

وعلى هذا الأساس نرى الشارع حريصاً كلَّ الحرص على هذا الجانب، بحيث لا يرضى بالخوض في أمور الدين من دون معرفة، ولا يرضى بالتساهل في ذلك، عملاً بأن الطبيب والمهندس والأستاذ وحتى طالب العلم - وغيرهم، من لم يصل إلى مرتبة الفقاہة، يعتبرون من العوام بالمعنى الاصطلاحی الفقهي، كما أن الفقيه بالمعنى

الاصطلاحي أيضاً يعتبر من العوام في غير تخصصه، وهذا التقسيم لا يندرج في شخصية الدكتور أو المهندس أو الأستاذ أو غيرهم من مختلف التخصصات، فهم محترمون في تخصصاتهم، أما إذا تجاوز هؤلاء المحترمون في تخصصهم محيط دائرة تخصصاتهم، فحينها يستحقون المذمة واللامة من قبل العقلاء، فكما أن الطبيب والجراح المتخصص لا يقبل من الفقيه والمجتهد (بالمعنى الخاص) وغير المتخصص في ذلك الفن، أن يزاحمه في غرفة العمليات، أيضاً من المدبر لذلك المتخصص في الجراحة أن لا يزاحم الفقيه في تخصصه، واحترام تخصص الآخرين مبدأ يقره العقلاء.

ومصطلح ((الحداثة الدينية)) الذي ينادي به أربابه ورواده، هو على مستوى المحتوى والمضمون والآليات يتباين مع المحتوى الإسلامي - إن كان ذلك المصطلح يمثل حالة الامتداد الفكري والثقافي والتاريخي للحداثة الغربية -. أما إذا كان المقصود من مصطلح الحداثة الدينية هو المعنى اللغوي، أي التجديد - على فرض تجريد هذا المصطلح من خلفياته الثقافية الغربية - فإما أن يكون هذا التجديد وبذل الجهد على ضوء منهج وآليات أقرّها أهل الاختصاص [أي الفقهاء]، فيكون هذا المصطلح بمعنى (الاجتهاد الخاص)، فحينها نقول [لا مشاحة في الألفاظ والمصطلحات]، وإما إن يكون هذا التجديد وبذل الجهد على ضوء منهج وآليات ورجالات يرفضها أهل الاختصاص [أي الفقهاء]، فهو -أي التجديد- إما أن يرجع إلى المضمون والمحتوى والآليات الغربية - وقد تقدم الحديث عنه- وإما أن يكون على ضوء منهج تلفيقي أو اختراعي أو ابتداعي، ولكنه في النتيجة يلتقي مع المنهج الغربي من حيث الابتعاد عن المنهج الصحيح والأدوات الصحيحة، فيؤول حكمه كسابقه.

ختاماً: يحق لنا أن نتساءل: لماذا الإصرار على مصطلح (الحداثة الدينية)؟ وما

هو مبرراته؟

مع الالتفات إلى أن ذلك المصطلح يسبح في بحر متلاطم لا شطآن فيه، حيث أن المصطلح في بعض الأحيان يقوم بعملية تبييع المحتوى الحقيقى للفكرة وصرفها عن مدلولها.

والحمد لله رب العالمين.

المواضيع:

- (١) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٢) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٣) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٤) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٥) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٦) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٧) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٨) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (٩) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (١٠) الكافي: ج ١ ص ٣٥.
- (١١) الكافي: ج ١ ص ٣٥.

حكم زيارة الركعة سهواً

علي فاضل الصددي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآلله الطاهرين..

من مسائل كتاب الخلل في الصلاة مسألة زيارة ركعة سهواً، وهذه مسألة جديرة بأن يعاد بحثها والنظر فيها ويعاد؛ نظراً لخصوصية مادتها وعدم المفروغية من نتيجة واحدة لها.

فأقول: وقع الخلاف بين علمائنا الأعلام (أيديهم الله) في إطلاق بطلان الصلاة لزيادة ركعة سهواً -بعد الاتفاق على بطلانها لزيادتها عمداً، والاتفاق الذي حکاه جماعة منهم الفاضلان والشهيد وصاحب الذخيرة^(١) على بطلانها إذا لم يجلس على رأس الرابعة بقدر التشهد - فالمشهور بطلان الصلاة بزيادتها مطلقاً جلس المصلي عقيب الرابعة أو لم يجلس. وذهب جماعة منهم الشيخ في التهذيب والحق في المعتبر والعلامة في جملة من كتبه^(٢) والشهيد الأول في الألفية وثاني الشهيددين في جملة من كتبه^(٣) إلى صحة الصلاة فيما إذا جلس بقدر التشهد، وهو المحکي عن الإسکافي من قدماء علمائنا^(٤)، بل نسبة في المسالك إلى اختيار المتأخرین^(٥)، كما ذهب ثلة من علمائنا منهم الشيخ في الاستبصار إلى صحة الصلاة فيما إذا جلس متشهداً عقيب الركعة الرابعة، ومال إليه ابن إدريس في السرائر^(٦) بعد أن نسب مختاره إلى الشيخ في الاستبصار^(٧).

هذا وظاهر صاحب الوسائل اختيار صحة الصلاة حتى في صورة الشك في

الجلوس عقيب الرابعة بقدر التشهد، فضلاً عما لو تشهَّد أو جلس بقداره، حيث عنوان الباب ١٩ من أبواب الخلل بـ "باب بطلان الفريضة بزيادة ركعة ولو سهواً إلا أن يجلس عقيب الرابعة بقدر التشهد أو يشك جلس أم لا".

وعلى أيٍّ تقديرٍ وفرض فيقع الكلام أولاً فيما تقتضيه القاعدة المستفادة من حديث "لا تعاد"، ثانياً بلاحظة نصوص المسألة. فمقتضى القاعدة -على ما في بعض الكلمات^(٨)- صحة الصلاة من غير فرق بين صورة الجلوس عقيب الرابعة بقدار التشهد وصورة عدم الجلوس، فضلاً عن صورة التشهد الملازم عادةً للجلوس بقداره، بل حتى لو نسي سجدة الأخيرة أيضاً، ففي جميع هذه الصور لو زاد ركعةً قبل الإتيان بالسجدة وبالتشهد والسلام فالصلاحة محكومة بالصحة؛ وذلك لأنَّ مقتضى حديث "لا تعاد" الحاكم على الأدلة الأولية نفي جزئية كل من السجدة والتشهد والسلام في ظرف النسيان، فزيادة الركعة سهواً قبل الإتيان بشيءٍ منها زيادةً واقعة خارج الصلاة لا في أثنائها كي تستوجب البطلان؛ لأنَّ وقوعها في الأثناء موقوف على جزئية هذه الأمور في ظرف النسيان، والمحدث نافٍ للجزئية آنئذ؛ لعدم قصورٍ في شموله لها بعد أن لم تكن من الأركان.

وقد يقال: -كما في كلمات الحقّ العراقي تثْبِت- بأن عدم جزئية هذه الواجبات بـ "لا تعاد" متاخر رتبةً عن زيادة الركوع؛ إذ لو لم يزد الركوع لكان بإمكانه التدارك، فلا تجري "لا تعاد" فجريانها فرع الزيادة، ففي مرتبة الزيادة كانت الواجبات جزءاً من الصلاة، فوُقعت الزيادة الراكِنَيَّة في أثناء الصلاة، فهي مبطلة^(٩).

ولكن يتوجَّه عليه بأنه لا دليل على اعتبار الرتب العقلية في موضوعات الأحكام الشرعية، كي يترتب اللازم المذكور، فمقتضى إطلاق "لا تعاد" سقوط

جزئية كلٌ من السجدة والتشهُّد والتسليم عند وقوع المنافي، فلا يرد المخذل، إذن فموضع "لا تعاد" هو كلٌ جزء أو شرط لزم من بقاء جزئيته أو شرطيته فساد الصلاة فإن جزئيته أو شرطيته منفيَّة بـ"لا تعاد".

والمتحصل أن حديث "لا تعاد" يصحح الصلاة من جهة نقصان الأجزاء المنسيَّة، فلو كُنَّا والحديث لكانَت النتيجة صحة الصلاة حتى لو قلنا بشمول عقد الاستثناء من الحديث لزيادة الخمسة الممكِن زيادتها مثل الركوع والسجود^(١٠).

وأما بلاحظة نصوص المسألة فمقتضى إطلاق جملة منها هو البطلان كموثقة أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «من زاد في صلاته فعليه الإعادة»^(١١)، ومقتضاه بطلان الأجزاء السابقة على المنسيَّة بزيادة الركعة التي هي القدر المتيقن من الزيادة الموجبة للبطلان والإعادة، هذا بقطع النظر عن حديث "لا تعاد" وإنما فمقتضاه صحة الصلاة -كما تقدَّم-؛ إذ هو يرفع موضوع الموثقة، وهو الزيادة في الصلاة. هذا ونسبة الحديث إلى الموثقة وسائر الأدلة الأولى نسبة الحاكم إلى المحكوم.

ومن نصوص المسألة صحيحة زراراً عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «إذا استيقن أنه زاد في صلاته المكتوبة (ركعة) لم يعتدَ بها، واستقبل صلاته استقبالاً إذا كان قد استيقن يقيناً»^(١٢)، وورد هذه الصريحة خصوص السهو بقرينة التعبير بالاستيقان.

هذا وقد رواها الشيخ الكليني مرَّةً مشتملة على كلمة (ركعة) في باب السهو في الركوع، وأخرى بدونها في باب من سها في الأربع والخمس ولم يدر زاد أو نقص أو استيقن أنه زاد^(١٣)، ولما كان من بعيد جداً أن تكونا روایتين مستقلتين مع اتحادهما سندًا ومتناً، بل المطمأن به قوياً أنها رواية واحدة مرددة بين المشتملة عليها وغير المشتملة، فلم يعلم ما هو الصادر عن المقصوم عَلَيْهِ الْكَلَمُ.

ولكن ذلك لا يمنع كما قيل من الاستدلال بالصحيحه حتى على التقدير الثاني؛ لأنَّ القدر المتيقن معه زيادة الركعة وإن لم تذكر فيها.

ولا يضير بالاستدلال احتمال إرادة الركوع من مفردة الركعة كما فهمه الشيخ الكليني حيث أورد الرواية مشتملةً على زيادة كلمة (ركعة) في "باب السهو في الركوع"؛ وذلك لأنَّ الرواية إنْ كانت مشتملةً على الزيادة فمقتضى إطلاقها شمولها محل الكلام، حتى لو أُريد من الركعة الركوع، وإن لم تشتمل عليها فالقدر المتيقن زيادة الركعة -كما مرَّ-، ثمَّ إنَّ احتمالَ إرادة زيادة ركوع في ركعة واحدة دون ما إذا زاد ركوعاً على ركعات الصلاة منفيٌ بالإطلاق.

ومنها صحيحنا متصور بن حازم وعبد بن زرارة الواردتان في من زاد سجدة في صلاتهما المشتملتان على أنه "لا يعيد صلاة (صلاته) من سجدة، ويعيدها من ركعة^(١٤)، إلا أنَّ احتمال إرادة الركوع منهما لا الركعة الاصطلاحية واردة، ويشهد لذلك مقابلتها بالسجدة، وقد فهم صاحب الوسائل ذلك منهما حيث أدرج هاتين الصحيحتين في "باب بطلان الصلاة بزيادة الركوع"، مع استعمالها فيه في بعض الروايات كرواية محمد بن مسلم الآتية، ولكن يمكن التمسُّك بإطلاقه محل الكلام.

وأمَّا ما رواه زيد الشحام قال: «سألته عن الرجل صلى العصر ست ركعات أو خمس؟ قال: إنَّ استيقن أنه صلى خمساً أو ستَّا فليُعد...»^(١٥)، فهو وإن كان واضح الدلالة على بطلان الصلاة مطلقاً مع زيادة الركعة، إلا أنه ضعيف سندٌ؛ لاشتماله على أبي جيلة، وهو المفضل بن صالح، فإنه وإن كان من مشايخ ابن أبي عمر وصفوان بن يحيى وال Bizantiي الذين لا يرون إلا عن ثقة، فيكون بمقتضى هذه الكلية ثقةً على الأظهر، إلا أنَّ هذا التوثيق العام معارض بتضعيف خاصٍ به نقله في حُقُّه

النجاشي في ترجمته لجابر بن يزيد حيث قال: "روى عنه (يعني جابر) جماعةٌ غمزَ فيهم وضعفوا، منهم عمرو بن شمر والمفضل بن صالح إلى آخر ما ذكره"، فهذا التعبير وإن لم نفهم منه التسالم على ضعف الرجل، خلافاً للسيد الخوئي قيّث^(١)، بل ولا تضييف النجاشي إيه، إلا أنه لا يمكن العمل بإطلاق الكلية المتقدمة؛ لأنعية هذا النقل من إحراز الإطلاق.

ومتحصل -أنه رغم المناقشة في بعض الروايات سندًا- قامية بعضٍ آخر سندًا وكذا دلالةً على بطلان الصلاة من مطلق الزيادة، وقدرها المتيقن زيادة الركعة كالصحاح الثلاث المتقدمة.

إلا أن في مقابلها روايات أخرى تفيد التفصيل بين ما إذا جلس في الرابعة أو جلس فيها بقدر التشهد على اختلافها وبين ما إذا لم يجلس فيها مطلقاً أو بذلك المقدار فتحكم بالصحة في الفرض الأول دون الثاني، بل تكتفي بعضها بالشك في الجلوس في الرابعة في الحكم بالصحة.

فمن الروايات المفصلة صحيحة زرار عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قائل: «سألته عن رجل صلى خمساً؟ فقال: إن كان قد جلس في الرابعة قدر التشهد فقد ثبت صلاته»^(١٧)، وهي واضحة في كفاية الجلوس بقدر التشهد وإن لم يتشهد، فلا حاجة لتمحُّل إرادة الإتيان بالتشهد منها.

ومثلها صحيحة جميل بن دراج^(١٨).

ومنها رواية محمد بن مسلم قال: «سألت أبا جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عن رجل استيقن بعدما صَلَّى الظهر أنه صلى خمساً؟ قال: وكيف استيقن؟ قلت: علم، قال: إن كان علم أنه

جلس في الرابعة فصلاة الظهر تامة، فليقم فليضف إلى الركعة الخامسة ركعة وسجدتين فتكونان ركعتين نافلةً ولا شيء عليه»^(١٩)، وهي أما دلالةً فيحتمل فيها التفصيل بين نفس الجلوس عقيب الرابعة فتصح الصلاة وبين عدمه كذلك فلا تصح، فتعود مضموناً كصحيحة زرارة المتقدمة^(٢٠)، ويحتمل أن يراد من الجلوس فيها التشهد وأنه كنى به عنه، ويشهد لهذا الاستعمال بعض الروايات مثل صحبيحة سليمان بن خالد قال: «سألت أبي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ عن رجل نسي أن يجلس في الركعتين الأولتين؟ فقال: إن ذكر قبل أن يركع فليجلس»^(٢١)، ومع هذا الاحتمال تعود الرواية مجملة؛ إذ لا قرينة على إرادة الثاني، وإن كان المتيقن منها الصحّة في فرض التشهد، ثم إن الرواية ضعيفة السنّد بمحمد بن عبد الله بن هلال؛ فإنه مجهول، وإن كان من رجال كامل الزيارات؛ لعدم ثبوت كبرى وثاقة رجال أسانيد الكامل.

ومنها صحيحة محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: «سألته عن رجل صلى الظهر خمساً؟ قال: إن كان لا يدرى جلس في الرابعة أم لم يجلس فليجعل أربع ركعات منها الظهر ويجلس ويتشهد ثم يصلى وهو جالس ركعتين وأربع سجادات ويضيفها إلى الخامسة فتكون نافلة»^(٢٢).

وهي مستند صاحب الوسائل في إلحاقي الشك في الجلوس بالعلم به في الصحة.

إذا عرفت حال هذه الروايات فتعال نحاكم جملة روايات المسألة، إذ مقتضى إطلاق موثقة أبي بصير التامة دلالةً بطلان الصلاة بزيادة الركعة سهواً، وإن جلس عقيب الرابعة بقدر التشهد، بينما مقتضى روايات الطائفة الثانية الصحة فيما إذا جلس بقدر التشهد عقيب الرابعة، وإسناد الطائفيتين تام، والنسبة بينهما هي العموم المطلق.

فالمناسب الجمع بينهما بحمل المطلق على المقيد الذي نتيجته بطalan الصحة
بزيادة الركعة سهواً إلا إذا جلس عقيب الرابعة بمقدار التشهد.

ومنه تعلم الخدشة في وجه الجمع بينهما بحمل الطائفة الثانية على التقية
لموافقتها لمذهب الثوري وأبي حنيفة وأتباعه^(٢٣)؛ وذلك لأنّ الترجيح بالمرجح المجهت
فرع استقرار المعارضة، ومع وجود الجمع العرفي بحمل المطلق على المقيد لا تصل
النوبة إلى ملاحظة المرجحات. ومن الواضح أنّ مجرد الموافقة مع مذهب العامة لا
يستدعي الحمل على التقية إلا أن تستقر المعارضة.

نعم قد لا يصار إلى حمل المطلق على المقيد فيما لو كان الإطلاق معلوماً، كما
لو قام التسالم عليه، أو كان هو المشهور وكانت الرواية المقيدة رواية شاذة من حيث
الرواية، ولكن ما نحن فيه ليس كذلك؛ فإن الرواية المقيدة ليست شاذة، كيف وقد
أخرجها كلُّ من الصدوق والشيخ (رضوان الله عليهما).

وما عن أحد الأعظم من حمل أخبار الطائفة الثانية على التقية لا لموافقتها
لمذهب الثوري وأبي حنيفة أو العامة بل لكونها صادرة كذلك؛ إذ في نفس هذه
الأخبار ما يستشم منه رائحة التقية^(٢٤)، كما يومئ إلى ذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في خبر محمد
بن مسلم المتقدم «وكيف استيقن»، حيث إنّ فيه إشعاراً بالطفرة عن الجواب، وإلا
فالتيقنُ أمر غير خفي ليتحاج إلى التفتيش والسؤال^(٢٥)، وعليه فهي غير حجة ولو
مع قطع النظر عن المعارض.

فيرد عليه بأنّه على فرض صحة ما ذكر من أمر استشمام رائحة التقية فهو في
رواية واحدة وخارجها عن بحثنا؛ لضعفها سندًا كما مرّ، على أنّ استعلام الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ
بقوله «وكيف استيقن» كما يحتمل فيه ما ذكر، يحتمل فيه أن الداعي له محاولة

الإمام عَلَيْهِ السَّلَام جعله من موارد الصحة لا الفساد امتناناً عليه، أو أن السؤال عن نحو اليقين وإنّه تساهي أو بالدرجة المطلوبة، ويشهد لهذا الاحتمال صحّيحة زرارة المتقدمة، حيث كرر الإمام عَلَيْهِ السَّلَام كلمة «استيقن» مرتين وعقب الثانية بكلمة (يقيناً)، ومعه يكون أمر صدورها تقية محتملاً فلا يزيد على وجه الجمع بالجهة المتقدم بطلاه.

ثم إنّه قد أورد أحد الأعلام ثلاثة مبتدئات لصدور هذه الرواية على جهة التقية:

أولاً: تعرّض صحّيحة ابن مسلم المتقدمة للتفصيل بين صورة الشك في الجلوس عقب الرابعة فتصح الصلاة، وصورة العلم بعده كذلك فلا تصح، وهو مما لا تقتضيه التقية لعدم قائل من العامة به.

الثاني: تأدّي التقية بالحكم بالإعادة مطلقاً لإمكان تنزيله على صورة عدم القعود بقدر التشهد كما هو الغالب.

الثالث: إنّ التقية لا تقتضي أن يحكم الإمام عَلَيْهِ السَّلَام بالعدول بالخامسة إلى النافلة؛ إذ لم يعلم أنّ أبا حنيفة أفتى بذلك على وجه الوجوب بل ظاهره الاستحباب^(٢٦) وما عن جملة من الأكابر من أنّ الجمع الدلالي بين الطائفتين بحمل المطلق على المقيد فرع العمل بالمقيد وعدم الإعراض عنه، والحال أن روایات الطائفة الثانية رغم صحتها واعتبارها في نفسها وأخصّيتها من الطائفة الأولى المطلقة محل إعراض علمائنا أو المشهور لقلة الفتيا بها أو القدماء^(٢٧).

فيلاحظ على الدعويين الأولى والثالثة بأنّها ممنوعة، كيف وقد أفتى على وفق هذه الروايات الإسکافي من قدماء علمائنا والشيخ في التهذيب، بل صرّح الشيخ في المبسوط بوجود قائل بضمونها قائلًا "من زاد في الصلاة ركعة أعاد، وفي أصحابنا من

قال: إن كانت الصلاة رباعية وجلس في الرابعة مقدار التشهد فلا إعادة عليه والأول هو الصحيح؛ لأن هذا قول من يقول: إن الذكر في التشهد غير واجب^(٢٨)، ونحوه قال في الخلاف^(٢٩).

ويلاحظ على الدعاوى الثلاث أجمع أن الإعراض إنما يقبح في المعرض عنه فيما إذا كان راجعاً إلى أصل الصدور، أما إذا كان منشأه مثل توهّم صدوره تقية لمجرد موافقة مضمونه للعامة أو بعضهم فلا يقبح في مورد الإعراض، وما نحن فيه كذلك، قال الشيخ في الخلاف:

"وأيضاً فإن هذه الأخبار قد تضمنت الجلوس مقدار التشهد من غير ذكر التشهد، وعندنا أنه لا بد من التشهد، ولا يكفي الجلوس بقدرته، وإنما يعتبر ذلك أبو حنيفة، فلأجل ذلك تركناها"^(٣٠).

ويلاحظ على الدعاوى الثانية بالخصوص أن صغره وإن كانت مسلمة وأن إعراض المشهور عنها محققٌ وحاصل، إلا أن كبراه منوعة؛ لما أفاده الحقّق الحراساني قائلٌ من عدم اختصاص دليل اعتبار خبر الثقة بما إذا لم يكن ظن عدم صدوره كالحاصل من إعراض المشهور، وتبعه عليه السيد الخوئي قائلٌ^(٣١)، على أن الإعراض المزبور غير راجع لأصل الصدور كما تقدم.

إلى هنا يتضح أن الأنسب الجمع بين طائفتي الأخبار بارتکاب تقييد أولى الطائفتين بالثانية، ومحصلةه بطلان الصلاة بزيادة ركعة سهوًا إلا إذا تعقب الرابعة جلوس بقدر التشهد.

وما قيل: من أن الطائفة الثانية من الروايات مبتلة في موردها بمعارض وهي الروايات الدالة على أن من صلى تماماً نسياناً في موضع القصر فصلاته باطلة^(٣٢)، بدعوى أن مورد هذه الطائفة وإن كانت صلاة الظهر تماماً إلا أنه لا يحتمل

اختصاصها بالظهر كذلك، بل تعم القصر أيضاً إذا زاد ركعة أو ركعتين سهواً. وبعد استقرار المعارضة فعلاجها حمل الطائفة الثانية على التقية لموافقتها مذهب العامة كما تقدم، فيرجح معارضها الموافق لإطلاق الطائفة الأولى المتضمنة للبطلان^(٣٣).

ففيه أولاً: من أن التعدي عن موردها وهو الصلاة تماماً إلى مورد هذه الروايات وهو الصلاة قصراً، ومن زيادة ركعة إلى زيادة ركعتين بحاجة إلى قرينة، باعتبار أن الحكم على خلاف القاعدة المستفادة من الطائفة الأولى، ولا قرينة على التعدي لا في نفس هذه الطائفة من عموم أو تعليل ولا من الخارج، وأما دعوى القطع بعدم الفرق فلا تخلو من مجازفة على أساس عدم إمكان ادعاء ذلك إلا بإحراز ملوك الحكم وأنه مشترك بين الموردين، وبما أنه لا طريق إلى إحرازه فلا يمكن مثل هذا الإدعاء^(٣٤).

وثانياً: إن عمدة الروايات وهي صحيحة زراراة موردها الصلاة الرباعية لا خصوص الظاهر، فلا يتعدى منها إلى الثانية؛ فإن مورد روایات الصلاة قصراً غير مورد الصريحة.

وثالثاً: إن روایات الصلاة قصراً المدعى معارضتها للطائفة الثانية تلتقي مراراً مع روایات الطائفة الثانية وذلك فيما إذا تذكر بعد خروج وقت الصلاة فتصبح. فتعارض الطائفة الأولى، بل أنها قد تختلف الطائفتين الأولى والثانية، وذلك فيما إذا صلى تماماً في موضع القصر ولم يجلس على رأس الثانية ولم يتذكر إلا بعد مضي الوقت، فإن مقتضى روایات الصلاة قصراً صحّتها، بينما مقتضى كل من الطائفتين فسادها.

ورابعاً: إن بطلان الصلاة بزيادة ركعتين سهواً كما هو مفاد روایات قصر الصلاة ليس حكماً عقلياً فينسحب ويكتد إلى غير موضع قصر الصلاة، وعليه فاي مشاحة في اختصاص موضع القصر بالبطلان لدى زيادة ركعتين فلا يشمل ما إذا زاد على

الرابعية ركعة سهواً فتصح فيما إذا جلس بقدر التشهد عقيب الرابعة. كيف لا والعبديات محض اعتبارات لا يمكن ضبطها بخلاف مثل المعاملات المنضبطة نوعاً بعض النكات العقلائية^(٣٥).

وقد يرجع هذا إلى أول الإيرادات، -كما هو غير بعيد- فليكن معه موضحاً له.

وأما ما قيل كإيراد خامسٍ من أن نسبة الطائفة الثانية إلى روایات قصر الصلاة نسبة المقيد إلى المطلق، وأنها (يعني روایات القصر) تدل على بطلان الصلاة بزيادة ركعة أو ركعتين مطلقاً حتى في فرض جلوس المصلي بعد الرابعة في الصلاة تماماً وبعد الثانية في الصلاة قصراً، وأما روایات تلك الطائفة فهي تدل على الصحة في صورة خاصة وهي صورة جلوس المصلي بعد الرابعة أو الثانية، فاللازم أن يُقيّد بها إطلاق تلك الروایات^(٣٦).

ففيه أن النسبة بينهما هي نسبة العموم من وجه كما علم من الإيراد الثالث.
بعد كل هذا يظهر أن الجمع بين طائفتي الروایات بحمل المطلق على المقيد
المنتج لصحة الصلاة مع زيادة الركعة سهواً فيما إذا جلس عقيب الرابعة بقدر التشهد
هو الصحيح لخلوه من أي شائبة.

وما احتمل من أن المستفاد من الطائفة الثانية أنه مع الجلوس بقدر التشهد
يتتحقق الفصل بين الصلاة وبين الركعة الزائدة فلا تكون الركعة زيادة في الصلاة
لتتحقق الفصل وهو يوجب كون الزائد أمراً مستقلاً غير مرتبط بالصلاحة، ففيما لو
جلس في الأخيرة بذلك القدر لم يتتحقق زيادة ركعة أصلاً، فمورد الطائفة الأولى
زيادة الركعة مع عدم الجلوس بقدر التشهد عقيب الرابعة يقتضي الطائفة الثانية،
ومرجع هذا الاحتمال إلى التفصيل بين الصورتين من حيث صدق عنوان الزيادة،

بينما مرجع ما ذكرناه إلى التفصيل من حيث الحكم بين صورتي الزيادة؛ فال الأول تقييد و تحصيص والثاني تقييد و تحصيص^(٣٧)، فإنه وإن كان جميلاً في نفسه، إلا أنّ روايات الطائفة الثانية قاصرة عن إفادته، وأنّ إرادته بحاجة إلى بيان متגושّم، وهو مفقود، فال الصحيح الجمع بالتقيد. هذا و تظهر الثمرة بين هذا الاحتمال وبين المختار في زيادة الركعة سهواً في الصلاة غير الرباعية فعلى الاحتمال المذكور تصحّ، ولا تصحّ على ما اخترناه، إلا إذا ألغى العرف خصوصيّة الأربع.

بقيت نقطتان:

نقطة تتعلق بخصوص الطائفة الثانية - بعدما كان البحث السابق معقوداً للنظر في الطائفتين معاً، وهي أنّ بعض روايات الطائفة قد أخذت الجلوس قدر التشهد صراحةً في صحة الصلاة لدى زيادة ركعة سهواً ك صحيحتي زرارة وجميل، وبعضاً آخر قد أخذ مطلق الجلوس في صحتها كذلك كرواية محمد بن مسلم وكذا صحيحته، وهي إما ظاهرةً في التشهد فعبرت بالجلوس كنایةً عن التشهد، وإما ظاهرةً في نفس الجلوس، وإما مجملةً تحتمل المعنين، فعلى الأول يتقدم القبيل الأول؛ لصراحته في عدم اعتبار التشهد، وعلى الثاني يرتكب تقيد القبيل الثاني بالأول، وعلى الثالث فالقبيل الثاني لا اقتضاء فيه لشيء، والأول فيه اقتضاءً فيؤخذ ما فيه ذلك.

ونقطة تتعلق بمعالجة النسبة بين ما دلت عليه صحة ابن مسلم من كفاية الشك في الجلوس (كفايته) في صحة الصلاة عند زيادة ركعة فيها، وبين ما دلت عليه صحيحتا زرارة وجميل من اعتبار الجلوس بقدر التشهد، فالقبيان يصححان الصلاة على تقدير الجلوس بقدر التشهد كما هو واضح، كما أن كلاً منهما يبطل الصلاة على تقدير إحراز عدم الجلوس بفهميهما، ولكن مفهوم ما دلّ على الصحة في

فرض الجلوس يفيد ببناءً على حجية مفهوم الشرط - بطلان الصلاة حتى فيما إذا شك في الجلوس، فضلاً عما لو أحرز عدم الجلوس، بينما منطوق صحيحه ابن مسلم واضح في صحتها في فرض الشك، ولما كانت النسبة بين مفهوم القبيل الأول ومنطوق الثاني هي نسبة العام إلى الخاص، فلا محالة يحمل العام على الخاص، هذا ولكن لا عامل بصحة ابن مسلم في كفاية الشك في الجلوس لصحة الصلاة، فتسقط عن الحجية بإعراض الطائفة عنها حتى بناءً على كون موضوع حجية الخبر هو الوثاقة؛ فإن إعراضها مورث للاطمئنان بابتلائها بخللٍ صدوريٍّ، نعم قد يقال بعمل الصدوق قدش من القدماء بها؛ إذ قد رواها في الفقيه.

والمحصلة هي عدم صحة الصلاة المزيدة ركعة إلا إذا أحرز عدم الجلوس بعد الرابعة بقدر التشهد، دونما إذا شك في الجلوس وعدمه فتصح، فضلاً عما لو أحرز الجلوس كذلك.

والحمد لله أولاً وآخرأً ظاهراً وباطناً وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

المواهش:

(١) الكافي: ج ١ ص ٣٥ ..

(٢) التهذيب ٢: ١٩٤، المعتبر ٢: ٣٨٠، المختلف ٢: ٣٩٤، التحرير ١: ٤٩.

(٣) الألفية، الروض والمسالك والروضة (الزيادة الفقهية ٢: ٣٩٧، ٢٥٧).

(٤) المبسوط ١: ١٢١، الخلاف ١: ٤٥١ م ١٩٦، المختلف ٢: ٣٩٣، فتاوى ابن الجنيد لاشتهرادي:

.٦ م ٧٨

(٥) المسالك ١: ٢٨٦

(٦) السرائر ١: ٢٤٦

- (٧) وقد استظهر هذا من المعاصرين الشيخ الفياض في كتابه تعاليق مبسوطة على العروة الوثقى ٤: ٧٤، وهو مختار العالمة الدرازى في سداد العباد ١: ٢٨٠ والفرحة الإنسانية ٢: ٢٢٨ - ٢٢٩.
- (٨) السرائر ١: ٢٤٦.
- (٩) لاحظ روائع الأمالي: ٩
- (١٠) هذا ولكنَّ منصرفَ عقد الاستثناء في حديث "لا تعاد" نقضةُ المستثنىات، وأنَّ الصلاة مع نقصتها تعاد دون زيادتها، ومنشأ الانصراف عدم تصوُّر زيادة بعض الخمسة.
- (١١) الوسائل ٨: ٢٣١ ب ١٩ من أبواب الخلل خ ٢.
- (١٢) الوسائل ٦: ٣١٩ ب ١٤ من أبواب الركوع خ ١، الوسائل ٨: ٢٣١ ب ١٩ من أبواب الخلل خ ١.
- (١٣) الكافي ٣: ٣٤٨ خ ٢، ٣: ٣٥٤ خ ٢، مرآة العقول ١٥: ١٨٧، ٢٠٠.
- (١٤) الوسائل ٦: ٣١٩ ب ١٤ من أبواب الركوع خ ٣، ٢.
- (١٥) الوسائل ٨: ٢٣٢ ب ١٩ من أبواب الخلل خ ٣.
- (١٦) معجم رجال الحديث ١٩: ٣١٢.
- (١٧) الوسائل ٨: ٢٣٢ ب ١٩ من أبواب الخلل خ ٤.
- (١٨) الوسائل ٨: ٢٣٢ ب ١٩ من أبواب الخلل خ ٦.
- (١٩) الوسائل ٨: ٢٣٣ ب ١٩ من أبواب الخلل خ ٧.
- (٢٠) مع فارقِ سيأتي الحديث عنه لاحقاً.
- (٢١) الوسائل ٦: ٤٠٢ ب ٧ من أبواب التشهد خ ٣.
- (٢٢) الوسائل ٨: ٢٣٣ ب ١٩ من أبواب الخلل خ ٥.
- (٢٣) المغني لابن قدامة ٢: ٦٨٤.
- (٢٤) كتاب الصلاة تقرير بحث الميرزا النائيني بقلم الشيخ الكاظمي ٢: ٢١٠ - ٢١١.

- (٢٥) كتاب الصلاة تقرير بحث الميرزا النائيني بقلم الشيخ الـآملي ٣: ٢٤.
- (٢٦) كتاب خلل الصلاة وأحكامها : ٧٥-٧٦.
- (٢٧) كتاب الصلاة للميرزا النائيني، كتاب الخلل في الصلاة للإمام الخميني: ٢٢٨، كتاب خلل الصلاة وأحكامها للشيخ مرتضى الحائرى فتنى: ٧٤، مستمسك العروة الوثقى ٧: ٣٩٢، نهاية التقرير للسيد البروجردي بقلم الفاضل اللنكراني ٢: ٤٣٤.
- (٢٨) المبسوط ١: ١٢١.
- (٢٩) الخلاف ١: ٤٥٢، ٤٥١ م ١٩٦.
- (٣٠) ن. م.
- (٣١) مصباح الأصول ٢: ٢٤١.
- (٣٢) الوسائل ٨: ٥٠٥ ب ١٧ من أبواب صلاة المسافر خ ١٠٢.
- (٣٣) مستند العروة الوثقى = موسوعة الإمام الخوئي ١٨: ٤٣-٤٤.
- (٣٤) تعاليق مبسوطة ٤: ٧٣.
- (٣٥) وهذا بابٌ واسع، فيعلم بعد فتحه النظر في بعض الانتقالات والاستنتاجات في جملةٍ من الموارد وإليك مثالين:
فهيُّ عدم وجوب السورة في المكتوبة مما دلَّ على سقوطها عن المأمور إذا لم يهله الإمام،
والحال أنَّ السقوط قد يكون حكماً لخصوص المأمور.
فهيُّ عدم وجوب التشهد بما دلَّ على سقوطه عن المأمور إذا لم يهله الإمام كما هو مدلوٌّ
بعض الروايات، والحال أنَّ السقوط أيضاً قد يكون خاصاً بالمأمور.
- (٣٦) تعاليق مبسوطة ٤: ٧٣.
- (٣٧) نهاية التقرير ٢: ٤٣١-٤٣٢.

صاحب المذاق وصحة الحديث

سعيد جعفر حماد

صحة أحاديث الكتب المعترضة التي وصلت إلينا

من أهم المسائل التي دار الخلاف بين الأخبارية وبين الأصوليين فيها مسألة حجية كل الأحاديث، وقد سلك صاحب المذاق الطريقة الوسطى بين القولين بحسب تعبيره، فلا يعتبر كل الروايات من أيّ كتاب كان، ولا يخصص الاعتماد على الروايات الصحيحة بحسب اصطلاح علم الدراسة، بل يعتمد روایات الكتب التي يرى أن مصدرها الكتب المعتمدة لدى الطائفة التي إليها مرجعهم وعليها معوّلهم في زمن الأئمة عليهم السلام، فإن روايات تلك الكتب تكون معترضة نظير كتب المحدثين الثلاثة، فإنَّ رواياتهم كلها صحيحة بحسب اصطلاح القدماء؛ فالصحيح عندهم ما حفته قرائن توجب الاعتماد عليه، فإن هذه القرائن وإن لم تصل إلى غير أنها لَمْ كانت تورث الاطمئنان عند علماء الطائفة في ذاك الوقت مضافاً إلى بعض الوجوه التي ستأتي أوجب ذلك حصول الاطمئنان بصدرها.

ويرى أنَّ هذا القول هو قول العلامة المجلسي، قال قائل^(١): «وأما المتقدمين فالأخبار عندهم كلّها صحيحة إلا ما نبهوا على ضعفه، وال الصحيح عندهم عبارة عما اعتمد بما يوجب الاعتماد عليه من القرائن والأمارات التي ذكرها الشيخ في كتاب العدة^(٢).

وعلى هذا جملة من أصحابنا المحدثين^(٣)، طائفة من متاخرى متاخرى المجتهدين، كشيخنا المجلسي عليه السلام وجملة من تأخر عنه... (إلى أن قال): «والحق الحقيق بالاتّباع ما سلكه طائفة من متاخرى المتاخرين كشيخنا المجلسي طائب وطائفة

من أخذ عنه، فِإِنَّهُمْ سَلَكُوا مِنْ طُرُقَ الْخَلَافِ بَيْنَ ذِينَكُمْ الْفَرِيقَيْنِ طَرِيقًا وَسَطًّا بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ^(٤)، وَنَجَدًا أَوْضَحُ مِنْ ذِينَكُمُ النَّجْدَيْنِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ وَسَطْهَا»^(٥).

وفي مورد آخر يصرح بأن الذي يتبنّاه هو صحة الأحاديث التي وصلت إلينا نظير أحاديث الكتب الأربع، فهي منقحة بجهد بالغ بذلك علماؤنا المعاصرُون للائمة عليهما السلام والمتقدمون، قال:

«إِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي وَصَلَتْ بِأَيْدِينَا إِنَّا وَصَلَتْ لَنَا بَعْدَ أَنْ سَهَرَتِ الْعَيْوَنُ فِي تَصْحِيحِهَا وَذَابَتِ الْأَبْدَانُ فِي تَنْقِيَحِهَا، وَقَطَعُوا فِي تَحْصِيلِهَا مِنْ مَعَادِنِهَا الْبَلْدَانَ، وَهَجَرُوا فِي تَنْقِيَحِهَا الْأَوْلَادُ وَالنِّسَوَانُ، كَمَا لَا يَخْفِي عَلَى مَنْ تَتَّبِعُ السَّيَرَ وَالْأَخْبَارَ وَطَالَ الْكِتَبُ الْمَدُوْنَةُ فِي تِلْكَ الْأَثَارِ»^(٦).

وقد تعرض المحدث البحرياني عليه السلام في المقدمة الأولى والثانية من كتابه الحدائق إلى الوجوه التي ذكرها بعض المتأخرین في عدم صحة الأحاديث الواثقة إلينا في الكتب المعتبرة، ثم ذكر الجواب عنها بوجه يدل على صحة الأحاديث التي وصلت إلينا وقد استعرض أغلبها في المقدمة الأولى، ولكن لا على النحو الذي سيأتي بيانه، والغرض من هذا المقال بيان الوجوه التي ذكرها صاحب الحدائق في صحة الأحاديث على نسق وترتيب مختلف نسقها المطروح في مقدمتي الحدائق الأولى والثانية ومع غض النظر عن النقاشات التي جاءت عليها، وإن شاء الله أتعرض لتلك النقاشات في مقال آخر.

وجوه عدم صحة جميع الأحاديث

ويفهم منه أن عدم اعتقاد جمهور المتأخرین بصحة جميع الكتب الأربع ونظيرتها إنما هو لأجل وجود الأحاديث المنسوبة من بين أحاديثها، أو احتمال

ذلك، وأن منشأ هذا الاعتقاد هو أمور ثلاثة:

الأول: إنَّ من أنواع التعارض الواقعة في تلك الكتب تعارض في موارد لا يمكن فيها حمل بعض أطراف التعارض على التقية^(٧)؛ إذ أنَّ طرف التعارض لا يتوافقا مع العامة^(٨).

الثاني: وجود المنحرفين عن المذهب والمشهورين بالكذب من فطحي وواقفي وزيدي في بعض أسانيد تلك الكتب.

الثالث: ما ورد من الأحاديث مما يدلُّ على وجود الأحاديث المنسوبة والكذب على الأئمة علَيْهِمُ السَّلَام نظير ما ورد عنهم علَيْهِمُ السَّلَام من أنَّ لكلَّ رجلاً مَنَّا رجلٌ يكذب عليه^(٩).

وجوه صحة أحاديث الكتب المعتبرة

ومن الطبيعي أنه مع عدم احتمال وجود الأحاديث المنسوبة لا يبقى مجال للشك في صدور أحاديث الكتب الأربع ونظيراتها، ولذا سعى صاحب الحدائق لإثبات انتفاء ذلك الاحتمال وأنَّ الأمور الثلاثة المتقدمة لا يلزم منها وجود هذا الاحتمال، وسردَّ وجهاً على ما يراه، وي يكن أن نستعرضها على النحو التالي:

الوجه الأول: يكن طرحة على شكل برهان يشتمل على ثلات مقدمات:

المقدمة الأولى: حرص أصحاب الأئمة علَيْهِمُ السَّلَام على تدوين ما يسمعونه من الأئمة علَيْهِمُ السَّلَام حتى أَفْووا الأصول الأربع مائة، قال: «دأب قدماء أصحابنا المعاصرين لهم علَيْهِمُ السَّلَام إلى وقت الحمدلين الثلاثة في مدة تزيد على ثلاثة سنة ضبط الأحاديث وتدوينها في مجالس الأئمة، والمسارعة إلى إثبات ما يسمعونه خوفاً من تطرق السهو والنسيان، وعرض ذلك عليهم، وقد صنفووا تلك الأصول الأربع مائة المنقولة كلها من

أجوبتهم عليهما السلام»^(١٠).

المقدمة الثانية: إنَّ الثقات من أصحاب الأئمَّة عليهم السلام لا ينقلون بواسطة أو أكثر عن الأئمَّة إلَّا مع الوثوق بصدور تلك الروايات من الأئمَّة عليهم السلام، ولذا عرضت بعض كتب الرواية على بعض الأئمَّة عليهم السلام للتحقق منها، قال: «وأنهم ما كانوا يستحلون رواية ما لم يجزموا بصحته، وقد روي أنه عرض على الصادق عليه السلام كتاب عبيد الله بن علي الحلبي فاستحسنه وصححه، وعلى العسكري عليه السلام كتاب يونس بن عبد الرحمن وكتاب الفضل بن شاذان فأثنى عليهما»^(١١).

واستعرضَ رواية ترِيُّث يونس بن عبد الرحمن^(١٢) حيث أنه لما أخذ من روایات أصحاب أبي عبد الله عليه السلام عنه عرضها على الإمام الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة، وعقبها بقوله: «أقول: فانظر -أيدك الله تعالى- إلى ما دل عليه هذا الحديث من توقف يونس في الأحاديث والاحتياط فيه. وهذا شأن غيره أيضا... فهل يجوز في العقول السليمة والطبع المستقيمة أنَّ مثل هؤلاء الثقات العدول إذا سمعوا من أئمتهم مثل هذا الكلام أن يستحلوا بعد ذلك نقل ما لا يثقون بصحته ولا يعتمدون على حقيقته، بل من المقطوع والمعلوم عادة من أمثالهم أنَّهم لا يذكرون ولا يروون في مصنفاتهم إلَّا ما اتضح لهم فيه الحال وأنَّه في الصدق والاشتهر كالشمس في رابعة النهار كما سمعت من حال يونس»^(١٣).

وما يدل على اعتماد كتب الأصول ما ذكره الشيخ الطوسي في العدة من الإجماع، حتى أنَّ الأصحاب إذا سألوا مفتياً عن مستند فتواه فإذا أجابهم بأنَّ المستند من روایات كتب الأصول أو كتاب معروف سكتوا عنه فإذا كان من يروي الكتاب ثقة ولم يعارضوا عليه، قال: «والذي يدل على ذلك إجماع الفرقـة الحـقة، فإني وجـدتـها

مجمعة على العمل بهذه الأخبار التي رواها في تصانيفهم ودونوها في أصولهم، لا يتناکرون ذلك ولا يندافعونه حتى أن واحداً منهم إذا أفق بشيء لا يعرفونه سأله من أين قلت هذا؟ فإذا أحالهم على كتاب معروف، أو أصل مشهور، وكان راويه ثقة لا ينكر حديثه سكتوا وسلموا الأمر في ذلك وقبلوا قوله، وهذه عادتهم وسبجيتهم من عهد النبي عليه السلام ومن بعده من الأئمة عليهم السلام ومن زمل الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام الذي انتشر العلم عنه وكثرت الرواية من جهته، فلو لا أن العمل بهذه الأخبار كان جائزًا لما أجمعوا على ذلك ولأنكروه، لأن إجماعهم فيه معصوم لا يجوز عليه الغلط والسلو»^(١٤).

المقدمة الثالثة: إنَّ الكتب الأربعية ونظيراتها ما هي إلا تلخيص وتهذيب للأصول الأربعية والكتب المعتمدة من أصحاب الأئمة عليهم السلام، واستشهد على ذلك بكلام بعض الأعلام، قال: «ومن ذلك ما صرَّح به شيخنا الشهيد الثاني (أعلى الله تعالى رتبته) في شرح الدرایة، حيث قال: ((كان قد استقر أمر الإمامية على أربعمائة مصنف سموها أصولاً فكان عليها اعتمادهم، تداعت الحال إلى ذهاب معظم تلك الأصول، ولخصها جماعة في كتب خاصة تقريراً على المتناول. وأحسن ما جمع منها: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه))^(١٥).

فانظر إلى شهادته قيئش تكون أحاديث كتبنا هي أحاديث تلك الأصول بعينها، وحينئذ فالطاعن في هذه كالطاعن في تلك الأصول»^(١٦).

وبَيْنَ الوجه في كون الكتب الأربعية أحسن ما لخص للأصول الأربعية إنما هو من أجل اشتمال الكتب الأربعية على أبواب الفقه كاملة على الترتيب بخلاف غيرها من كتب الأخبار^(١٧).

واستشهد بكلام الشيخ البهائي في هذا المجال أيضاً قال: «وقد كان جَمَعَ قَدْمَاءُ مُحَدِّثِينَا مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كَلَامِ أَتَمْتَنَا عَلَيْهِ فِي أَرْبَعِمَائَةِ كِتَابٍ تُسَمَّى الأَصْوَلُ ثُمَّ تَصْدِي جَمَاعَةُ الْمُتَأْخِرِينَ (شَكْرُ اللَّهِ سَعِيهِمْ) لِجَمْعِ تَلْكَ الْكِتَابَ وَتَرْتِيبِهَا تَقْليلاً لِلانتِشَارِ وَتَسْهِيلًا عَلَى طَالِبِي تَلْكَ الْأَخْبَارِ، فَأَفْلَغُوا كِتَاباً مُضْبُطَةً مُهَذَّبَةً مُشَتمَلَةً عَلَى الْأَسَانِيدِ الْمُتَصَلَّةِ بِأَصْحَابِ الْعَصْمَةِ عَلَيْهِ كَالْكَافِي، وَمَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهُ، وَالْتَّهْذِيبُ، وَالْاسْتِبْصَارُ. وَمَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَالْخَصَالُ. وَالْأَمْالِيُّ، وَعَيْنُ الْأَخْبَارِ، وَغَيْرُهَا»^(١٨).

ونتيجة هذه المقدمات الثلاث أنَّ الأَحَادِيثَ فِي الْكِتَابِ الْأَرْبَعَةِ وَنَظِيرَاهَا صَحِيحَةٌ وَمُعْتَبَرَةٌ وَمُعْتَمَدةٌ.

الوجه الثاني: ويُكَنُّ أَيْضًا صِياغَتِهِ عَلَى شَكْلِ بَرْهَانٍ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَ

مقدماتٍ:

المقدمة الأولى: يُكَنُّ تَقْسِيمُهَا إِلَى عَالَمِ الْثَّبُوتِ بِعِنْدِ الدَّلِيلِ الْعُقْلِيِّ وَعَالَمِ الْإِثْبَاتِ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتِ.

أَمَّا عَالَمُ الْثَّبُوتِ: فَإِنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ إِرْشَادِ الْعُقْلِ أَنَّ مِنْ وَظِيفَةِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ الْبَيَانَ الطَّرِيقُ الْوَاضِعُ لِتَمْيِيزِ الْمَحْدِيثِ السَّلِيمِ مِنْ السَّقِيمِ، وَتَعْرِيفُ مَصْدِرِ السَّقِيمِ، إِذَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَاءَتْ هُدَايَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَأَحَادِيثُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ الْبَيَانُ فِي مَصْبَحِ إِيصالِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَرِيقِ السَّعَادَةِ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَهْدُونَ الْبَشَرَ، وَبِمَا أَنَّ الْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ الْبَيَانُ قدْ عَاصَرُوا مِنْ يَدِسُّ الْحَدِيثِ، بَلْ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَحَادِيثَهُمْ سَتَخْتَلِطُ بِالْمَدْسُوسِ فَلَئِلَا يَنْتَفِي غَرْضُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ الْبَيَانُ الْمُتَمَثِّلُ بِهُدَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ يَقْوِمُونَ عَلَيْهِمُ الْبَيَانُ بِالْإِرْشَادِ إِلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِعِ الَّذِي يَهْدِي تَمْيِيزَ الْأَحَادِيثِ الصَّادِرَةِ مِنْهُمْ عَنْ غَيْرِهَا، بَلْ وَيَتَعَرِّفُونَ عَلَى شِيَعَةِ جَهَةِ الْأَحَادِيثِ الْمَدْسُوسةِ حَتَّى يَحْتَرِزُوا عَنْهَا، فَهَذَا مَا تَقتَضِيهِ قَاعِدَةُ الْلَّطْفِ وَالْحِكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ.

وصاحب الحدائق لم يصرح بذلك ولكن يفهم هذا من كلامه حيث قال: «على أن مقتضى الحكمة الربانية وشفقة الأئمة (صلوات الله عليهم) على من في أصلاب الرجال من شيعتهم قناع من أن يتركوهم هملاً يشون على غير طريق واضح ولا منار لائح، فلا يميزون لهم الغثّ من السمين، ولا يهدوهم إلى جادة الحق المبين. ولا يوقفونهم على ما يقع في الشريعة من تغيير وتبدل. وما يحدثه الكفار المغترون من البدع والضلال والتضليل! كلام ثم كلام، بل أوضحوا الدين المبين غاية الإيضاح، وصفوه من شوب كل كدر، حتى أسرف كضوء الصباح.

ألا ترى إلى ما ورد من حث الشيعة على الكتابة لما يسمعونه منهم، وأمرهم بحفظ الكتب لمن يأتي بعدهم، كما ورد في جملة من الأخبار التي رواها ثقة الإسلام في جامعه الكافي^(١٩)، وغيره في غيره^(٢٠)، وإلى تحذيرهم الشيعة عن مداخلة كل من أظهر البدع، وأمرهم بجانبهم، وتعريفهم لهم بأعيانهم»^(٢١).

وقال أيضاً: «وهذا كان دأبهم عليهما في الهدایة لشيعتهم، يوقفونهم على جميع ما وقع وما عسى أن يقع في الشريعة من تغيير وتبدل؛ لأنهم عليهما حفاظ الشريعة وحملتها، وضباطها وحرسها»^(٢٢).

وأما عالم الإثبات: فقد بين الأئمة عليهما جهة ومصدر الأحاديث المنسوبة، وبينوا نوع مدلولات الروايات المنسوبة.

أما بيانهم عليهما لمصدر الروايات المنسوبة فهي نظير ما روي عن أبي عبد الله عليهما في تعريفه أبا الخطاب^(٢٣) والمぎرة بين سعيد^(٢٤)، كما أشار إليه صاحب الحدائق^(٢٥)، وأضاف أمثلة أخرى، قال:

«ومثل ما ورد من الأئمة المتأخرین عليهما في لعن جماعة من كانوا كذلك مثل

فارس بن حاتم القزويني^(٢٦)، والحسن بن محمد بن بابا^(٢٧)، ومحمد بن نصير النميري^(٢٨)، وأبي طاهر محمد بن علي بن بلال^(٢٩)، وأحمد بن هلال^(٣٠)، والحسين بن منصور الحلاج^(٣١)، وابن أبي العزاقر^(٣٢)، وأبي دلف^(٣٣)، وجمع كثير^(٣٤) ممن يتستر بالشيعة، ويُظهر من المقالات الشنية من الغلو، والإباحات، والقول بالحلول والاتحاد والتناسخ ونحو ذلك.

وقد خرجَتْ بلعنهم التوقيعاتُ عنهم عليهم السلام في جميع الأماكن، والأمر بالبراءة منهم، وقد ذكر الشيخ قتيل^(٣٥) في كتاب الغيبة^(٣٦) جمعاً من هؤلاء، وأورد الكشي أخباراً فيما أحدهم، وما خرج فيهم من التوقيعات^(٣٧)، لذلك من أحب الوقوف عليها فليرجع إلىه».

وأما جهة بيان الأئمة عليهم السلام لدلائل الروايات المنسوبة فسوف يأتي بيانه في وجه مستقل.

المقدمة الثانية: ومحصلها أن أصحاب الأئمة عليهم السلام التزموا باجتناب الكذابين، بل قاموا بتضييف جملة من الرواية، وتشددوا على من لا يعني في نقل ما ينقله من الروايات أو لا يعني عنمن ينقلها حتى ربما بالغوا وتجاوزوا الحد في ذلك، قال: «وقد شدد أصحاب الأئمة عليهم السلام الأمر في ذلك، حتى ربما تجاوزوا المقام، حتى أنهم كانوا يجانبون الرجل ب مجرد التهمة بذلك، كما وقع لأحمد بن محمد ابن عيسى مع أحمد بن محمد بن خالد البرقي من إخراجه من برقة قم لما طعن عليه القميون، ثم أعاده إليها لما ظهر له براءته، ومشى في جنازته حافياً إظهاراً لنزاهته مما رمي به».

وكما أخرج سهيل بن زياد الآدمي، وأظهر البراءة منه^(٣٩)، ومنع الناس من السماع عنه.

وكما استثنى محمد بن الحسن بن الوليد جملة من الرواة، منهم جماعة ممن رووا عنهم محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري^(٤٠) وغيرهم^(٤١).

وقد عدوا جماعة من الرواة في الضعفاء، ونسبوهم إلى الكذب والافتراء، ومنهم من خرجت التوجيهات فيه عنهم عليهم^{عليهم} ومنهم من اطعوا على حاله الموجب لضعفه، ومنهم محمد بن علي الصيرفي أبو سميحة^(٤٢)، ومحمد بن سنان^(٤٣)، ويونس بن طبيان^(٤٤)، ويزيد الصائغ^(٤٥) وغيرهم^(٤٦)، وذلك ظاهر لمن تصفح كتب الرجال واطلع على ما فيها من الأحوال^(٤٧).

المقدمة الثالثة: مع اشتهر الضعفاء عند العلماء المحدثين إلا أنهم قد يررون عنهم بعض روایاتهم في كتبهم المعتمدة لديهم، ولا وجه لذلك إلا لأجل احتفاف تلك الروايات بقرائن توجب صحتها والأخذ بها، قال: «ومن الظاهر بين الظهور أنه مع شهرة الأمر في هؤلاء المعدودين وأمثالهم، فإنه لا يعتمد أحد من اطلع على أحواهم على روایاتهم، ولا يدونونها في أصولهم إلا مع اقترانها بما يوجب صحتها ويعلن بشبوبتها، كما صرّح به شيخنا البهائي في كتاب مشرق الشمسين»^(٤٨).

فرواية المحدثين من علمائنا عن الضعفاء أحياناً لا يعني عدم تفاتهـم إلى ضعفهم، لما اتضح من تشدد أصحاب الأئمة عليهـم في الاحتراز عنـهم وفي مجانبـتهم، ولـما بيـنتهـ كتبـ الرجالـ منـ أحـواـهمـ، وإنـماـ كانـتـ روـايـتهـمـ عنـهمـ لـقـرـائـنـ أـوجـبـتـ الـوثـوقـ بـصـدـورـ تـلـكـ الرـوـايـاتـ، كـماـ أـشـارـ الشـيـخـ حـسـنـ صـاحـبـ الـمعـالـمـ تـنـشـإـ إـلـىـ ذـلـكـ عـنـدـمـاـ تـعـرـضـ إـلـىـ أـنـ اـصـطـلاحـ الصـحـيـحـ عـنـدـ الـمـتأـخـرـينـ لـيـسـ مـعـرـوفـاـ لـدـىـ الـمـتـقـدـمـينـ، قـالـ: «إـنـ الـقـدـمـاءـ لـاـ عـلـمـ لـهـمـ بـهـذـاـ اـصـطـلاحـ قـطـعاـ لـاستـغـنـائـهـمـ عـنـهـ فـيـ الـغالـبـ بـكـشـرـةـ الـقـرـائـنـ الدـالـةـ عـلـىـ صـدـقـ الـخـبرـ وـإـنـ اـشـتـملـ طـرـيقـهـ عـلـىـ ضـعـفـ»^(٤٩).

وقال الشيخ البهائي في هذا المجال: «وهذا الاصطلاح لم يكن معروفا بين قدمائنا قدس الله أرواحهم كما هو ظاهر لمن مارس كلامهم، بل كان المتعارف بينهم إطلاق الصحيح على كل حديث اعتمد بما يقتضي اعتمادهم عليه، أو اقترن بما يوجب الوثوق به والركون إليه»^(٥٠).

وقد عدد الشيخ البهائي من القرائن التي اعتمدتها القدماء في اعتبار الرواية ما يلي:

١) وجود الحديث في كثير من الأصول الأربعينية التي نقلوها عن مشايخهم بطرقهم المتصلة بأصحاب العصمة سلام الله عليهم وكانت متداولة لديهم في تلك الأعصار مشهورة فيما بينهم اشتهر الشمس في رابعة النهار.

٢) تكرره في أصل أو أصلين منها فصاعدا بطرق مختلفة وأسانيد عديدة معتبرة.

٣) وجوده في أصل معروف الانتساب إلى أحد الجماعة الذين أجمعوا على تصديقهم كزرارة و محمد بن مسلم والفضل بن يسار، أو على تصحيح ما يصح عنهم كصفوان بن يحيى ويونس بن عبد الرحمن وأحمد بن محمد بن أبي نصر، أو على العمل بروايتهم كعمار السباطي ونظرائه من عدهم شيخ الطائفة في كتاب العدة.

٤) اندراجه في أحد الكتب التي عرضت على أحد الأئمة عليهما السلام فأثنوا على مؤلفها.

٥) أخذه من أحد الكتب التي شاع بين سلفهم الوثوق بها، والاعتماد عليها، سواء كان مؤلفوها من الفرق الناجية الإمامية ككتاب الصلاة لحريز بن عبد الله السجستاني، وكتببني سعيد، وعلي بن مهزيار، أو من غير الإمامية ككتاب حفص

بن غيات القاضي، والحسين بن عبيد الله السعدي، وكتاب القبلة لعلي بن الحسن الطاطري^(٥١).

فإذا كان المحمدون الثلاثة وأمثالهم ملتفتين إلى إرشادات الأئمة عليهم السلام في تحذب الكاذبين ومحتملين لها، ومع علمهم بضعف كثير من الرواية، فلا تكون روایتهم عنهم إلا لقرائن أوجبت الاعتماد عليها، فحينئذ لا محض من الوثوق برواياتهم، ولذا قال الشيخ البهائي في توجيهه قبول علمائنا روایات بعض الواقفية بتوسيط بعض النقائ: «فإذا قبل علماؤنا وسيماً المتأخرن منهم روایة رواها رجل من ثقات أصحابنا عن أحد هؤلاء وعواًلاً عليها وقالوا بصحتها مع علمهم بحاله فقبوهم لها وقوفهم بصحتها لا بدّ من ابتنائه على وجه صحيح لا يتطرق به القدر إليهم ولا إلى ذلك الرجل الثقة الراوي عن هذا حاله كأن يكون سماعه منه قبل عدوله عن الحق وقوله بالوقف أو بعد توبيته ورجوعه إلى الحق أو أن النقل إنما وقع من أصله الذي ألفه وانتشر عنه قبل الوقف أو من كتابه الذي ألفه بعد الوقف ولكنه أخذ ذلك الكتاب عن شيخ أحبابنا الذين عليهم الاعتماد ككتب علي بن الحسن الطاطري فإنه وإن كان من أشدّ الواقفية عناداً للإمامية إلا أن الشيخ شهد له في الفهرست بأنه روى كتبه عن الرجال الموثوق بهم وبروايتهم إلى غير ذلك من المحامل الصحيحة»^(٥٢).

الوجه الثالث: إمكان معرفة الأحاديث المنسوبة عن طريق دلالتها ومفاد نصّها، إذ يُفهم من بعض الروایات إمكان معرفتها بعد عرضها على الكتاب والسنة فيتضح أنها تخالف الكتاب والسنة، قال: «وكانوا عليهم السلام يوقفون شيعتهم على أحوال أولئك الكاذبين، ويأمرونهم بمجانبتهم، وعرض ما يرد من جهتهم على الكتاب العزيز والسنة النبوية وترك ما خالفهما»^(٥٣).

واستشهد بروايتين يرى دلالتهما على ذلك، قال: فروى الثقة الجليل أبو عمرو

الكتبي في كتاب الرجال بإسناده عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن: أن بعض أصحابنا سأله وأنا حاضر فقال: يا أبا محمد ما أشدك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك على رد الحديث؟ فقال: حدثني هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنة الله دس في كتب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا عليه السلام)).

قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوازيين، فسمعت منهم، وأخذت كتبهم وعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فأنكر منها أحاديث كثيرة أن تكون من أحاديث أبي عبد الله، وقال: ((إنَّ أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام لعن الله أبا الخطاب وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإنَّا إنْ تحدَثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة، إِنَّا عن الله وعن رسوله نحدث، ولا نقول قال فلان وفلان، فيتناقض كلامنا، إنَّ كلام آخرنا مثل كلام أولنا، وكلام أولنا مصدق لكلام آخرنا، فإذا أتاكم من يحذفون بخلاف ذلك فردوه عليه وقولوا أنت أعلم وما جئت به، فإنَّ كلامنا حقيقة وعليه نورا، فما لا حقيقة له ولا عليه نور فذلك قول الشيطان))^(٥٤).

فرواية هشام بن الحكم عن الإمام الصادق عليه السلام يستفاد منها أن ما دسه المغيرة بن سعيد في كتب أبي جعفر عليه السلام يخالف القرآن والسنة، ورواية يونس بن عبد الرحمن عن الرضا عليه السلام يستفاد منها أن ما دسه أبو الخطاب وأصحابه إلى زمان

الإمام الرضا عليه السلام يخالف القرآن الكريم.

ومن جهة أخرى أفاد صاحب المدائق على ما استنجه من جملة من الأخبار أن دلالات الأحاديث المنسوبة لا تتجاوز بعض المعاني المرفوعة التي يمكن تقييدها من غيرها قال: «على أن المفهوم من جملة من تلك الأخبار أن تلك الأحاديث المكذوبة كلها كانت من أحاديث الكفر والزندة والإخبار بالغائب».

فمن ذلك ما رواه في الكتاب المتقدم^(٥٥) عن يونس عن هشام بن الحكم: أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها كتب الكفر والزندة ويسندها إلى أبي عليه السلام، ثم يدفعها إلى أصحابه ويأمرهم أن يبشوها في الشيعة. فكل ما كان في كتب أصحاب أبي عليه السلام من الغلو فذاك مما دسَّ المغيرة بن سعيد في كتبهم^(٥٦).

وبإسناده عن حماد عن حرزي قال - يعني أبا عبد الله عليه السلام - : إن أهل الكوفة لم يزل فيهم كذاب، أما المغيرة بن سعيد فإنه يكذب على أبي - يعني أبا جعفر عليه السلام - قال: حدثه أن نساء آل محمد عليهما السلام إذا حضن قضين الصلاة. وكذب والله ما كان من ذلك شيء ولا حدثه، وأما أبو الخطاب فكذب على وقال: إني أمرته هو وأصحابه أن لا يصلِّي المغرب حيث يروا الكواكب»^(٥٧).

الوجه الرابع: تصريح جماعة من علماء علمنا بصحة الأحاديث التي وصلت إلينا، وعلى الرغم من أنَّ مبنى بعضهم في الحديث الصحيح هو الجري على اصطلاح المؤخرین، وذكرَ عدداً منهم:

الأول: الشيخ الكليني ذكر في ديبياجة كتاب الكافي سؤالاً من طلب منه تأليف

الكتاب وجوابه عليه، قال: «وقلت: إنك تحب أن يكون عندك كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل، وبها يؤدي فرض الله عزوجل وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله وسلامه...» وقد يسر الله -وله الحمد- تأليف ما سألت، وأرجو أن يكون بحث توخيت..الخ»^(٥٨).

الثاني: الشيخ الصدوق قدس قال في مقدمة كتاب من لا يحضره الفقيه واصفاً كتابه: «ولم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما رواه، بل قصدت إلى إيراد ما أفتني به وأحكم بصحته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بياني وبين ربي -تقديس ذكره وتعالى قدرته - وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة، عليها المعول وإليها المرجع»^(٥٩).

الثالث: الشريف المرتضى قدس صرخ بأن أكثر روايتنا يعلم بتصورها وذلك عندما دفع إشكال العمل بروايات أصحابنا مع أنها ليست متواترة مع كون مبناه العمل بالتواتر فحسب، فأنكر أنها غير متواترة، قال: «قلنا: أول ما نقوله في هذا الباب أنه ليس كل ما رواه أصحابنا من الأخبار وأودعوه في كتبهم وإن كان مستندًا إلى رواة معدودين من الأحاديث، معدودا في الحكم من أخبار الأحاديث، بل أكثر هذه الأخبار متواتر موجب للعلم»^(٦٠).

الرابع: الشيخ الطوسي، قال في ضمن مقدمته في كتابه الاستبصار واصفاً كتابه التهذيب: «أما بعد فإني رأيت جماعةً من أصحابنا لما نظروا في كتابنا الكبير الموسوم بتهذيب الأحكام ورأوا ما جمعنا فيه من الأخبار المتعلقة بالحلال والحرام، ووجدوها

مشتملة على أكثر ما يتعلق بالفقه من أبواب الأحكام، وأنه لم يشذ عنه في جميع أبوابه وكتبه مما ورد في أحاديث أصحابنا وكتبهم وأصولهم ومصنفاتهم إلا نادر قليل وشاذ يسير، وأنه يصلح أن يكون كتاباً مذخوراً يلجم المبتدئ في تفقهه، والمتنهي في تذكره، والمتوسط في تبحره فإنَّ كلاً منهم ينال مطلبه ويبلغ بغيته»^(٦١). ثم وصف كتابه الاستبصار بناءً على ما طُلب منه في جعله مستقلًا لبيان الوجه في تعارض الأحاديث: «وأنْ ابتدئ كل باب بإيراد ما اعتمدته من الفتوى والأحاديث فيه ثم أعقب بما يخالفها من الأخبار وأبين وجه الجمع بينها على وجه لا يسقط شيئاً منها ما أمكن ذلك فيه، وأجري في ذلك على عادتي في كتابي الكبير المذكور»^(٦٢). فالآحاديث التي يبدأ بها مما يعتمدتها ويصححها، ثم بين بعض القرائن التي توجب الأخذ بالحديث.

الخامس: الشهيد الأول وإن كان على طريقة المؤخرین في تصحيح الأحادیث إلا أنه أشار عندما تعرض لذكر الوجوه التي توجب التمسك بمذهب أهل البيت عليهما السلام في كتابه الذکری في الوجه التاسع إلى صحة الأحادیث التي في كتابنا حيث قال: «وبالجملة اشتهر النقل والنقلة عنهم عليهما السلام يزيد أضعافاً كثيرة عن النقلة عن كل واحد من رؤساء العامة، فالإنصاف يقتضي الجزم بنسبة ما نقل عنهم عليهما السلام... ومن رام إنكار ذلك فكم من رام إنكار المتواتر من سنة النبي عليهما السلام، أو معجزاته وسيرته وسيرة من بعده.

ومن رام معرفة رجالهم والوقوف على مصنفاتهم، فليطالع: كتاب الحافظ ابن عقدة، وفهرست النجاشي وابن الغضائري والشيخ أبي جعفر الطوسي، وكتاب الرجال لأبي عمرو الكشي، وكتب الصدوق أبي جعفر بن بابويه القمي، وكتاب الكافي لأبي جعفر الكليني فإنه وحده يزيد على ما في الصحاح الستة للعامة متونا

وأسانيد، وكتاب مدينة العلم ومن لا يحضره الفقيه قريب من ذلك، وكتابا التهذيب والاستبصار نحو ذلك، وغيرها مما يطول تعداده، بالأسانيد الصحيحة المتصلة المنتقدة والحسان والقوية^(٦٣)، فلإنكار بعد ذلك مكابرة محضره، وتعصب صرف.

لا يقال: فمن أين وقع الاختلاف العظيم بين فقهاء الإمامية إذا كان نقلهم عن العصومين وفتواهم عن المطهرين؟

لأننا نقول: محل الخلاف: إما من المسائل المنصوصة، أو مما فرعه العلماء. والسبب في الثاني اختلاف الأنظار ومبادئها، كما هو بين سائر علماء الأمة. وأما الأول، فسببه اختلاف الروايات ظاهرا، وقلما يوجد فيها التناقض بجميع شروطه، وقد كانت الأئمة في زمن تقية واستثار من مخالفיהם، فكثيراً ما يجيبون السائل على وفق معتقده، أو معتقد بعض الحاضرين، أو بعض من عساه يصل إليه من المناوئين، أو يكون عاماً مقصوراً على سببه، أو قضية في واقعة مختصة بها، أو اشتباهاً على بعض النقلة عنهم، أو عن الوسائل بيننا وبينهم^(٦٤).

قال صاحب الحدائق بعد نقله هذه العبارة: «ولعمري إنه كلام نفيس يستحق أن يكتب بالنور على وجنات الحور، ويجب أن يسطر ولو بالخناجر على الحناجر. فانظر إلى تصريحه بل جزمه بصحة تلك الروايات التي تضمنتها هذه الكتب التي بأيدينا، وتخالصه من الاختلاف الواقع بين الأخبار بوجوه تنفي احتمال تطرق دخول الأحاديث الكاذبة في أخبارنا»^(٦٥).

السادس والسابع: الشهيد الثاني والشيخ البهائي فليتَمَا استشهد بعباراتهما المتقدمتين في كون الكتب الأربع تلخيص للأصول الأربع مائة وعَقَّب على عبارة الشهيد الثاني بقوله: «انظر إلى شهادته قدْش تكون أحاديث كتبنا هي أحاديث تلك

الأصول بعينها، وحينئذ فالطاعن في هذه كالطاعن في تلك الأصول مع أنه اعترف بأنه قد استقر أمر الإمامية ومذهبهم عليها»^(٦٦).

وبهذه الوجوه يثبت صاحب المدائق صحة الأحاديث التي وصلت إلينا، وأنها خالية من الأحاديث المنسوبة، وصحة الضعاف منها لأجل احتفافها بقرائن تدل على صحتها، وأما ما تعارض من الأحاديث فيما ليس له موافق من العامة فأفاد بأنه من الممكن أن تكون الرواية تقية لحفظ الشيعة بجعل الخلاف بينهم، استدل على ذلك بعدة روايات^(٦٧)، وقد ناقشه بعضهم في دلالتها على مراده وللبحث في ذلك مقام آخر إذا شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

المواهش:

- (١) العدة في أصول الفقه، ج ١، ص ١٤٣ - ١٥٥.
- (٢) الوفي، ج ١، ص ٢٢ - ٢٤.
- (٣) ملاذ الأخيار، ج ١، ص ٢٥، ٢٧.
- (٤) قول الأخبارية وقول الأصوليين في اعتبار الروايات.
- (٥) المدائق الناضرة، ج ١، ص ١٤ - ١٥، الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.
- (٦) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٥، المدائق الناضرة، ج ١، المقدمة الأولى، ص ٨ - ٩.
- (٧) هذا بعد التجاوز عن مردح العرض على الكتاب.
- (٨) ويرى صاحب المدائق بأن هذا المنشأ هو الأصل والمنشأ الآخران يدعمانه.
- (٩) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٤.
- (١٠) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٥، المدائق الناضرة، ج ١، ص ٩.
- (١١) الفهرست، ص ١٧٤، رقم ٤٦٦، خلاصة الأقوال، ص ٢٠٣، رقم ٦٤٤، اختيار معرفة الرجال،

- ص ٤٨٤ - ٤٨٥، رقم ٩١٥، وص ٥٣٧ - ٥٣٨، رقم ١٠٢٣، الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٥، الحدائق، ج ١، ص ٩.
- (١٢) اختصار معرفة الرجال، ص ٢٤٥ - ٢٢٤، رقم ٤٠١.
- (١٣) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٧ - ٣١٥، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٩ - ١١.
- (١٤) عدة الأصول، للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٣٣٧.
- (١٥) الرعاية في علم الدراسة، ص ٧٢ - ٧٣.
- (١٦) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣٢٨ - ٣٢٩؛ الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١٨، وأضاف في الدرر على العباره: ((مع أنه اعترف بأنه قد استقر أمر الإمامية ومذهبهم عليه)).
- (١٧) نفس المصدر.
- (١٨) الوجيزة (ضمن رسائل الشيخ بهاء الدين): ٦ - ٧، نهاية الدراسة في شرح الوجيزة، ص ١٢٤، الحدائق الناضرة ج ١، ص ٢٠، الدرر النجفية، ص ٣٣٠ - ٣٣١.
- (١٩) الكافي، ج ١، ص ٥٢ - ٥٣، ح ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٥، باب رواية الكتب الحديث.
- (٢٠) عوالى الآلي، ج ١، ص ٦٨، ح ١١٩، منية المريد، ص ٣٤٠ - ٣٤١، بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٣.
- (٢١) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٨، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١١.
- (٢٢) الدرر النجفية، ج ٢، ص ١٧، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١٠.
- (٢٣) اختصار معرفة الرجال، ص ٤٠١ - ٢٢٤، رقم ٤٠١.
- (٢٤) اختصار معرفة الرجال، ص ٤٠١ - ٢٢٤، رقم ٤٠٢.
- (٢٥) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٨، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١١.
- (٢٦) الغيبة للطوسي، ص ٣٥٢، رقم: ٣١٢.
- (٢٧) اختصار معرفة الرجال، ص ٥٢٠، رقم: ٩٩٩.
- (٢٨) خلاصة الأقوال، ٤٠١، رقم: ١٦١٤.
- (٢٩) الغيبة للطوسي، ص ٣٥٣.
- (٣٠) الغيبة للطوسي، ص ٣٥٣، رقم: ٣١٣.

- (٣١) الغيبة للطوسي، ٤٠٢، رقم: ٣٧٧، ونسب اللعن فيه للأصحاب.
- (٣٢) رجال النجاشي، ٣٧٨، رقم: ١٠٢٩.
- (٣٣) الغيبة للطوسي، ص ٤١٢، رقم: ٣٨٥، ونسب اللعن فيه للأصحاب.
- (٣٤) الغيبة للطوسي، ص ٦٣ - ٧٠، رقم: ٦٥ - ٧٥، ونص ٣٥٣ - ٣٥١، رقم: ٣١١ - ٣١٣.
- (٣٥) الغيبة للطوسي، ص ٦٣ - ٧٠، رقم: ٦٥ - ٧٥، ونص ٣٥٣ - ٣٥١، رقم: ٣١١ - ٣١٣.
- (٣٦) اختيار معرفة الرجال، ص ٥٢٠، رقم: ٩٩٩، وقد ذكر الحسن بن محمد المعروف بابن بابا محمد ابن نصر النميري، وفارس بن حاتم القرمي.
- (٣٧) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٨ - ٣١٩، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١٢.
- (٣٨) خلاصة الأقوال، ص ٦٣، رقم: ٧٢.
- (٣٩) خلاصة الأقوال، ص ٣٥٦، رقم: ١٤١١.
- (٤٠) نقد الرجال، ج ٣، ص ١٢٨، رقم: ٤٤٥٩.
- (٤١) الفهرست، ص ٢٢٣، رقم: ٦٢٦.
- (٤٢) الفهرست، ص ٢٢٣، رقم: ٦٢٤.
- (٤٣) الفهرست، ص ٢١٩، رقم: ٦١٩.
- (٤٤) خلاصة الأقوال، ص ٤١٩، رقم: ١٧٠١.
- (٤٥) رجال النجاشي، ص ٤٤٨، رقم: ١٣١٠.
- (٤٦) اختيار معرفة الرجال، ص ٥٤٦، رقم: ١٠٣٣.
- (٤٧) الدرر النجفية ج ٢، ص ٣١٩ - ٣٢٠، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١٢ - ١٣.
- (٤٨) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣٢٠، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١٤، وما رده ما ذكره الشيخ البهائي من طريقة المتقدمين في تصحيح الحديث بالقرائن.
- (٤٩) منتقى الجمان، ج ١، ص ١٤.
- (٥٠) مشرق الشمسين، ص ٢٦٩.
- (٥١) مشرق الشمسين، ص ٢٦٩.
- (٥٢) مشرق الشمسين، ص ٢٧٤، وانظر الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣٣١ - ٣٣٢، الحدائق الناضرة.

ج، ص ٢٠-٢١.

(٥٣) الدرر النجفية، ج ١، ص ٣١٥، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٩.

(٥٤) اختيار معرفة الرجال، ص ٢٤٥-٢٢٤، رقم ٤٠١، وانظر كلام المحدث البحرياني، في الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣١٥-٣١٦، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٩-١٠.

(٥٥) يعني ما رواه الكشي في كتابه معرفة الرجال.

(٥٦) اختيار معرفة الرجال، ص ٢٢٥، رقم: ٤٠٢.

(٥٧) في المصدر: كوكب كذا يقال له الفنداني، والله إن ذلك لكوكب ما أعرفه. اختيار معرفة الرجال، ص ٢٢٨، حديث رقم: ٤٠٧.

(٥٨) الكافي، ج ١، ص ٩.

(٥٩) من لا يحضره القبيه، ج ١، ص ٢-٣، وانظر الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣٣١، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٢٠.

(٦٠) رسائل المرتضى، ج ١، ص ٢٦، وعنه في معالم الأصول، ص ٢٧٤، وانظر الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣٣١، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٢٠.

(٦١) الاستبصار، ج ١، ص ٢،

(٦٢) الاستبصار، ج ١، ص ٣.

(٦٣) وفي المصدر إضافة جملة (والجرح والتعديل والثناء الجميل) لكن صاحب الحدائق لم ينقلها. انظر ذكرى الشيعة، ج ١، ص ٥٩.

(٦٤) ذكرى الشيعة، ج ١، ص ٥٨-٦٠.

(٦٥) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣٢٦-٣٢٨، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ١٧-١٨.

(٦٦) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٦٧) انظر المقدمة الأولى من مقدمات الحدائق الناضرة، والدرر النجفية ج ٢، ص ٣١١-٣١٥.

مناقشة كتاب

(آل البيت وحقوقهم الشرعية)

الحلقة الثالثة

(أهل البيت بين عقيدة السنة وعقيدة الشيعة)

حسن عبد الله القصّاب

كـ بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ، وـأـفـضـلـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ عـلـىـ أـشـرـفـ الـأـنـبـيـاءـ
وـالـمـرـسـلـينـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ الطـيـبـينـ الطـاهـرـينـ، الـمـعـصـومـينـ الـمـيـامـينـ، سـيـماـ بـقـيـةـ اللـهـ فـيـ
الـأـرـضـينـ، سـيـدـنـاـ وـمـوـلـانـاـ وـلـيـ اللـهـ الـأـعـظـمـ الـحـجـةـ بـنـ الـحـسـنـ (أـرـواـحـنـاـ لـتـرـابـ مـقـدـمـهـ
الـفـداءـ).

لا زال البحث قائماً فيما يتعلّق بمناقشة الكتاب الصادر من القاضي بمحكمه
القطيف الكبّرى، وهذه الحلقة الثالثة من هذه المناقشة. وقد ناقشنا في الحلقتين
السابقتين في الحلقة الأولى حول مفهوم أهل البيت عليهم السلام، والحلقة الثانية في ذكر
فضائل أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذه الحلقة قد عُقدت في
بيان بعض عقيدة أهل السنة وعقيدة الشيعة الإمامية فيما يتعلّق بأهل البيت عليهم السلام،
وقد اقتصرت على ما جاء في الكتب، دون سائر المعتقدات المذكورة في المطولات،
فإلى تتمّة البحث...

الشيعة والسنة

قال القاضي في ص ٢١: «يتهم الشيعة أهل السنة بأنهم يبغضون أهل البيت؛ لذا يسمونهم بالنواصب أو الخوارج، ولكنَّ الحق أنَّ مذهب أهل السنة مذهب مستقل، ومذهب النواصب والخوارج مذهب آخر. فأهل السنة وَسَطُّ في حب آل البيت بين المذاهب...».

لا شكَّ بأنَّ سماحة القاضي قد استعمل أسلوب المغالطة في كلامه، وقبل أن نبيِّن موطن المغالطة، نتوجَّه إليه لسؤاله عن هذه التهمة التي اتهمها الشيعة، من أي مصدر أو كتاب شيعي يعتبر اقتبسَت هذه التهمة، وهي أنَّ الشيعة يقولون بأنَ كلَ السنة هم نواصب أو خوارج؟! يا ليته يدلُّنا على مصدرٍ استند إليه في هذه الدعوى، فيبقى الأمر محلَ تأمل، حيثُ أَنَّه ليس من الصحيح أن تلقى التهم والدعوى المجردة عن الدليل ونجيب عليها ونبرئ أنفسنا منها.

الأمر الآخر: لقد ذكر الفقهاء الأعلام (رحم الله الماضين وسدَّد الباقيَن) في بحث النجاسات تعريفَ كُلٍّ من الناصبي والمخارجي، مما يدلُّ على أنَّ الفقهاء ملتفتين إلى التفريق بينهما، حيثُ جاء في كلمات الأعلام في تعريف الناصب هو: من ينصب العداء لأهل البيت عليهما السلام أو المعلن العداوة والبغضاء لأهل البيت عليهما السلام، وهو أمر مسلمٌ بين فقهاء الشيعة الإمامية.

فهذه هي القاعدة الكلية، فكل من ينصب العداء والبغضاء لأهل البيت فهو ناصبي، وأما تطبيق هذه القاعدة الكلية فهو يقع بيد المكلَّف، فإذا وجد شخصاً يبغض أهل البيت فهو ناصبي، وليس من وظيفة الفقيه تحديد الموضوع المخارجي.

وأما تعريف الخارجي فهو: من خرج على إمام زمانه، والمصدق المعروف والمشهور هم الذين حاربهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام في معركة النهر وان، وأماماً أمثلهم في هذا الزمن فهم الإباضية، وبهذا القيد: إذا كانوا يعتقدون أو يكفرون على ابن أبي طالب فهم خوارج لا مطلقاً، فمن أين أتى بالقول: أن الشيعة يتهمون أهل السنة بالنصر أو الخروج؟! ويتابع قوله: «... فأهل السنة وَسَطٌ بين حب آل البيت بين المذاهب: فالشيعة يغالون في حب آل البيت، ومنهم من يطوف على قبورهم، ويدعوهم بكشف الضر وجلب النفع، ومنهم من يزعم أنهم يعلمون الغيب... إلخ».

وقفة مع الكاتب لكشف المغالطة

لا بد من التفريق في المقام بين فرق الشيعة، فليست الشيعة على مذهب واحد، وليس من الصحيح أن تنسب عقائد بعض الفرق لفرق الأخرى.

فمثلاً: من فرق الشيعة الإمامية الاشني عشرية، ومن الشيعة الزيدية والإسماعيلية، وهناك فرقة أخرى وهي فرقة المغالين، فالأولى هي التي لها السيطرة الأكبر في هذا الزمن، والزيدية والإسماعيلية نسبة وجودها قليلة بالنسبة إلى الإمامية. فـأيُّ منهم تناقض؟! فمثلاً: الشيعة الذين يغالون في حب آل البيت ويزعمون بأنهم يعلمون الغيب بالاستقلال عن الله هؤلاء من المغالين، أو يرون بأن الأئمة آلهة، سواء مع الله أو من دون الله، لا شأن لنا بهم. بل على العكس حكمَ أهل البيت عليهما السلام بکفرهم.

وإن كان مقصودكم الشيعة الإمامية، وأنَّ الأمور التي يعتقدون بها هي عقائد فيها غلو، لا بد من تحرير موضع النزاع في معنى الغلو، وتطبيق مصاديقه. فقد يكون

بنظرك غلو، ولكنه في الواقع ليس غلواً، ومن هنا لا بد من توضيح معنى الغلو أولاً،
ومن ثم أقوال أهل البيت عليهما السلام في الغلو، وثالثاً أقوال الفقهاء في المغالين.

الأمر الأول: معنى الغلو:

الغلو في اللغة: أصلها (غلا) وهي الزيادة وتجاوز الحد، فتقول: غلا في الدين
والامر، يغلو غلوّاً: جاوز حدّه^(١). فالغلو بالمعنى اللغوي هو مجاوزة الحد لكل شيء.

وأما بالمعنى الاصطلاحي هو مجاوزة الحد المعقول والمفروض، في العقائد الدينية
والواجبات الشرعية^(٢).

وقال الشهيرستاني في الملل والنحل في المغالين: «هم الذين غالوا في حق النبي عليهما السلام وأخرجوهم من حدود الخليقة...»، وعرفه ابن تيمية قائلاً: «الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الإله...»، وجاء في دائرة المعارف: «أن الغلة هم: الذين غالوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الإنسانية ووصفوهم بأوصاف إلهية»^(٣). ويفهم من كلامه بأن مسألة الغلو لم تقتصر على الشيعة فحسب، بل كل من غالى في حق أئمته.

والغالي: من يقول في أهل البيت عليهما السلام ما لا يقولون في أنفسهم كما يدعون فيهم النبوة والألوهية^(٤).

الأمر الثاني: الغلو في القرآن الكريم:

لا يخفى بأن القرآن الكريم قد ذكر مفردة الغلو في أكثر من مورد، والرجوع إلى القرآن خير مصدر لتعريف هذه المفردة.

١- قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلُمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

الحق^(٥).

وفي هذه الآية نهيٌ من الله تعالى عن الغلو في الدين، وهي إشارة لما نسبه أهل الكتاب في حق عيسى بن مريم من أنه ابن الله تارة وأنه الله تارة أخرى، وكذلك عقيدة التشليث عند النصارى.

والقرآن الكريم يرد عليهم هذه العقيدة الفاسدة ويقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ ...﴾، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوَحِّ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ...﴾.

فهذه جملة من الآيات التي ترد على من يُغالى في دين الله، وينسب إلى غير الله صفات الإلهية.

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلُوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوْا أَهْوَاءِ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوْا مِنْ قَبْلٍ وَأَضَلُّوْا كَثِيرًا وَضَلُّوْا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٦).

٣- قال تعالى: ﴿إِذَا خَدُوْا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٧).

وهو منح العلماء موقع التشريع على وفق أهوائهم وطاعتهم على ذلك، والغلو هنا: هو أن موقع التشريع مختص بالله تعالى، وأما وظيفة العلماء فهي أن يبينون حكم الله، والاعتقاد بأن للعلماء ما لله من حق التشريع فهو غلو.

ولهذه الآية شاهد من مواقف النبي الأكرم ﷺ: حيث أخرج الطبراني في

المعجم الكبير أَنَّ عدي بن حاتم الطائي قال: أتىتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عَنْقِي صَلِيبٌ مِّنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيَ اطْرُحْ هَذَا الْوَثْنَ مِنْ عَنْقِكَ، فَطَرَحْتَهُ فَانْتَهَيْتَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اَتَّخَذُوا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حَتَّىٰ فَرَغَ مِنْهَا فَقَلَّتْ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: أَلَيْسَ يَحْرُمُونَ مَا أَحْلَ اللَّهُ فَتَحَرَّمُونَهُ، وَيَحْلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحْلِّونَهُ؟ قَلَّتْ: بَلِيٌّ. قَالَ: فَتَلْكَ عِبَادَتَهُمْ.

الأمر الثالث: أقوال النبي وأهل بيته في الغلو:

لقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته عدة أقوال تنهى عن الغلو فيهم واتخاذهم آلهة وأرباباً من دون الله:

١- قيل بأن أبا رافع القرطي والسيد النجراوي قالا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربّا؟ قال النبي ﷺ: معاذ الله أن نعبد غير الله، وأن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك يعني، ولا بذلك أمرني، صنفان من أمتي لا نصيب لهما من الإسلام: الغلاة والقدرية.

٢- قال رسول الله ﷺ مخاطباً الإمام علي بن أبي طالب: «إِنْ أَمْتَيْ سَتْفَرِقُ فِيهَا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرَقَةُ شَيْعَتِكَ وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَفِرَقَةُ عَدُوكَ وَهُمُ الشَّاكُونُ، وَفِرَقَةُ تَغْلُو فِيهَا وَهُمُ الْمُجَاهِدُونَ».

٣- قال رسول الله ﷺ: «يَا عَلِيٌّ مَثُلُكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمُثُلَّ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ أَحَبَّهُ قَوْمٌ فَأَفْرَطُوا فِيهِ، وَأَبْغَضَهُ قَوْمٌ فَأَفْرَطُوا فِيهِ».

٤- جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سأله أبو هاشم الجعفري عن الغلاة والمفوضة قال: «الغلاة كُفَّارٌ، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم

أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زواجهم أو تزوج إليهم (منهم) أو آمنهم أو إتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشرط كلمة خرج من ولاية الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وولاية رسول الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت»^(٨).

فإن الإمام الرضا عليه أجرى عليهم حكم الكفار والمرتكبين في حرمة المجالسة والمواكلة والمناقحة، حتى لو تلفظوا بالشهادتين. وهذا هو النهج القرآني في التعامل مع المرتكبين في قوله: «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسُونَ». وكذلك عن النبي الأكرم عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «من أقام مع المرتكبين فقد برئت منه الذمة»^(٩).

٥- جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه حينما سأله المأمون قائلاً: يا أبا الحسن بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد، فقال الرضا عليه: «حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه علي ابن أبي طالب عليه قال: «قال رسول الله عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذنينبياً، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالثُّبُوتَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُوْنُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَسْخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيْمَرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال علي عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: يهلك في اثنان ولا ذنب لي، حبس مفترط وببعض مفترط وأنا أبرء إلى الله تبارك وتعالى من يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا...»^(١٠).

٦- وعن الإمام الرضا عليه أنه قال: «من قال بالتناسخ فهو كافر ثم قال عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: لعن الله الغلاة ألا كانوا يهوداً، ألا كانوا مجوساً، ألا كانوا نصارى، ألا كانوا قدرية، ألا

كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية، ثم قال عَلَيْهِ الْكَفَّالَةُ: لا تُقَاعِدُوهُمْ، ولا تُصَادِقُوهُمْ، وابرُؤُوا
 منهم برع الله منهم».

هذه جملة من روایات أئمۃ أهل البيت ع عَلَيْهِ الْكَفَّالَةُ حول الغلو والغلاة، وتبيّن شدّة
 نهیهم عن مجالستهم ومقاربتهم، بل طلبوا من شیعیتهم أن يتبرؤوا منهم، ومن أراد
 المزيد في ما ورد عن أهل البيت ع عَلَيْهِ الْكَفَّالَةُ عن الغلو والمغالين فعليه أن يراجع المصادر
 الحدیثیة للشیعیة الإمامیة.

الأمر الرابع: كلمات فقهاء الشیعیة الإمامیة في الغلو:

وأماماً الآن فمع بعض كلمات فقهاء الشیعیة الإمامیة حول الغلو الغلاة، فمن يتتبع
 كلمات الفقهاء الإمامیة في بحث النجاسات فإنهم يذکرون من جملة النجاسات
 الكافر، وضابطه كل من خرج عن الإسلام، أو من انتحله وجحد ما يعلم من الدين
 ضرورة، وهناك عدة ضوابط لمعرفة الكافر تذكر في محلها، والشاهد في أنهم يعدون
 المغالي من ضمن أفراد الكافر، ويحكمون بنجاسته ما لم يرجع عن قوله وغلوه:

١- الحق الحلي قدّس: «العاشر: الكافر، وضابطه كل من خرج عن الإسلام أو
 من انتحله وجحد ما يعلم من الدين ضرورة، كالخوارج والغلاة...»^(١).

٢- الإمام الخميني قدّس: «وأماماً الغلاة، فإن قالوا بإلهية أحد الأئمة مع نفي إله آخر
 أو إثباته أو قالوا بنبوته، فلا إشكال في كفرهم. وأما مع الاعتقاد باللهية تعالى
 ووحدانيته ونبيه النبي عَلَيْهِ الْكَفَّالَةُ فلا يوجب شيء من عقائدهم الفاسدة كفرهم
 ونجاستهم...»^(٢).

٣- السيد أبو القاسم الخوئي ع عَلَيْهِ الْكَفَّالَةُ: «الغلاة على طوائف: فمنهم من يعتقد

الربوبية لأمير المؤمنين أو أحد الأئمة الطاهرين عليهم السلام فيعتقد بأنه الرب الجليل وأنه الإله المحسّم الذي نزل إلى الأرض، وهذه النسبة لو صحت وثبتت اعتقادهم بذلك فلا إشكال في نجاستهم وكفرهم، لأنّه إنكار لألوهيته سبحانه، لبداية أنه لا فرق في إنكارها بين دعوى ثبوتها لزید أو للأصنام وبين دعوى ثبوتها لأمير المؤمنين لاشتراهما في إنكار ألوهيته تعالى وهو من أحد الأسباب الموجبة للكفر...»^(١٣).

هذه بعض أقوال الفقهاء الماضين والمعاصرين في حكم الغلاة والقول بنجاستهم لإنكارهم الربوبية.

الخلاصة

إنما يصدق الغلو على من يقول في النبي والأئمة عليهم السلام بألوهيتهم أو بكونهم شركاء لله سبحانه في العبودية أو كونهم يرزقون ويخلقون من دون الله، أو أن الله تعالى حلّ فيهم أو اتحد بهم، أو أنهم يعلمون الغيب من غير وحي أو إهام، أو الاعتقاد بكونهم من القدم مع نفي الحدوث عنهم، أو القول في الأئمة عليهم السلام أنّهم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأن معرفتهم تغنى عن جميع الطاعات والعبادات ولا تكليف مع تلك المعرفة أو القول بأن الله فوّض إليهم أمر العباد بالتفويض المطلق وغير ذلك من العقائد التي تنقص من عظمة الخالق وقدرته و شأنه وإنزال المخلوق بمنزلته.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ثم القول بكل واحد من هذه خروج عن الدين وصاحبها كافر بإجماع الطائفة المحققة الإثنى عشرية كما أن الأدلة العقلية هي الأخرى تکفر أهل تلك المقالات والنحل.

وقد تبيّنت أقوال الأئمة عليهم السلام وأقوال الفقهاء الإمامية تبعًا لأنّتمهم. فمن هنا لا يمكن نسبة تهمة الغلو لأحد حتى يكون هذا الأمر المنسوب إليهم فعلاً غلوًا، وأما

التمسّك بالتعريف اللغوي للغلو وتطبيقه على أمّة محمد فهذا الفعل والأسلوب غير صحيح، ويفتقد جانب الورع والتقوى، في نسب الكفر والتكفير لآخرين.

أما ما تعرّض له ساحة القاضي بشأن بعض الأعمال التي يقوم بها الشيعة الإمامية بحضور الأماكن المقدّسة والمرارق المعظمة، فلا بد من توضيح عدة مفاهيم حتى يتضح للقارئ العزيز هل يصح الإتيان بهذه الأعمال عند المرارق الشريفة أو لا يجوز؟ وهل هو نوع من أنواع الغلو أو لا؟ وهل هي بدعة أم لا؟ ومن الإجمال إلى التفصيل...

ما يتعلّق بالأماكن المقدّسة وزياراتها

كان المسلمون منذ الصدر الأول للإسلام حتّى القرن السابع الهجري، لا يرون أي إشكالٍ في مسألة الزيارة للأماكن المقدّسة وذلك للتبرك والدعاء، حتّى جاء ابن تيمية وأفتى بحرمة شدّ الرحال لزيارة قبر النبي الأكرم عليهما السلام، ونهى عن التوسل به والاستغاثة.

وقد تصدّى جملة من علماء أهل السنة لهذه البدعة في الدين، ودارت بينهم المناوشات بشأن ما أتى به ونشره بين المسلمين، واتهامه جميع المسلمين بتهمة الشرك وكفرهم عن بكرة أبيهم.

ومن شاء أن يناقش في هذا الأمر فعليه أن يبطل كلام من جاء بهذه البدعة أوّلاً (أعني بذلك ابن تيمية)، لأن بعض المؤخرین عنه إنما مشوا على ما بناه واختاره من رأي.

ذكر بعض العلماء الذين أنكروا على ابن تيمية:

لقد ذكرتْ كتبُ التراجم للعلماء والفقهاء من أهل السنة بعض الذين عايشوا ابن تيمية أو لحقوه مِنْ أنكر عليه ما اعتقد، سواء فيما يخص بحث الصفات الإلهية، أو المسائل الفقهية التي خالف فيها المذاهب الأربع، أو مسألة شد الرحال لزيارة قبر النبي الأكرم عليه السلام، فكان كلما أفتى بشيءٍ يخالف مذهب أهل السنة الأشعرية يشورون عليه ويكثرون الكتب لردّ ما ذكره من اعتقادٍ وآراء شاذة.

ولأجل أن يقف القارئ على آراء معاصريه في حقه ومقارب زمانه، نقتطف من غضون التاريخ جملًاً تكشف عن إطباقي العلماء على الرد عليه ونقد آرائه:

(١) الشيخ شهاب الدين ابن جهبل الكلبي الحلبي، المتوفي ٧٣٣ هـ:

قال السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: «درس وأفتى وشغل بالعلم مدة بالقدس ودمشق، مات سنة ٧٣٣ هـ، ووقفت له على تصنيف صنفه في نفي الجهة ردًا على ابن تيمية».

(٢) قاضي القضاة كمال الدين الزملکانی (٦٦٧ - ٧٣٣ هـ):

عرفه السبكي في الطبقات بقوله: «الإمام العلامة المناظر، ولد في شوال سنة ٦٦٧ هـ ودرس بالشامية البرانية - إلى أن قال -: ثم ولي قضاء حلب، وصنف الرد على ابن تيمية في مسألتي الطلاق والزيارة».

(٣) الشيخ الإمام صدر الدين المرحل (المتوفي حوالي ٧٥٠ هـ):

عرفه السبكي بقوله: «كان إماماً كبيراً، بارعاً في المذهب والأصولين، يُضرب مثل باسمه، فارساً في البحث، نظاراً مفرط الذكاء، عجيب الحافظة - إلى أن قال -:

وله مع ابن تيمية، المناظرات الحسنة، وبها حصل عليه التعصّب من أتباع ابن تيمية، قيل فيه ما هو بعيدٌ عنه، وكثير القائل فارتاد العاقل...».

٤) الحافظ علي عبد الكافي السبكي (المتوفي ٧٥٦هـ):

ترجم له ولده في الطبقات، وهو أحد من ردّ على ابن تيمية، وألف فيه كتاباً أسماه (شفاء السقام في زيارة خير الأنام)، وربما سُميَّ (شنّ الغارة على من أنكر السفر للزيارة)^(١٤).

خلاصة الأمر: أن المعتقد السائد منذ زمن النبي الأكرم ﷺ وجيل الصحابة والتابعين وما بعد التابعين إلى القرن السابع الهجري^(١٥) هو: أن زيارة قبر النبي وقبور الأولياء والمؤمنين كان متعارفاً ومندوباً في نفسه، إلى أن جاء المبتدع ابن تيمية وصدر فتاوى مخالفة لأمة النبي محمد ﷺ قاطبة، وأخذ يكفر كل شخصٍ يعارضه في عقيدته الفاسدة. إذن الأصل في زيارة النبي والتسلُّم به والتبرُّك بآثاره وكل هذه الأمور هو الجواز والإباحة، بل قد يكون من السنن والمستحبات التي حثَّ عليها الشارع المقدّس. فمن أين أفتى ابن تيمية فتواه الشاذة؟!

كلام ابن تيمية في الزيارة:

قال ابن تيمية: ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» ثم قال (أي ابن تيمية): ولو نذر السفر إلى قبر الخليل عليه السلام أو قبر النبي لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر باتفاق الأئمة الأربع، فإن السفر إلى هذه الموضع منهى عنه لنهي النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...»، فإذا كانت المساجد التي هي من بيوت الله

التي أمر فيها بالصلوات الخمس، قد نهي عن السفر إليها، إذا كان مثل هذا يُنهى عن السفر إليها، فما ظنك بغيرها؟

فقد رَحَّص بعض المتأخرین في السفر إلى المشاهد ولم ينقلوا ذلك عن أحدٍ من الأئمة، ولا احتاجوا بحجج شرعية –إلى أن قال–: وكل حديث يروى في زيارة قبر النبي فإنه ضعيف، بل موضوع، ولم يرو أهل الصحاح والسنن والمسانيد، كمسند أحمد وغيره من ذلك شيئاً، ولكن الذي في السنن ما رواه أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من رجل يسلم على إلا رد الله عليه روحه حتى أرد عليه السلام»، فهو يرد السلام على من سلم عليه عند قبره ويبلغ إليه سلام من سلم عليه من بعيد، كما في النسائي عنه أنه قال: «إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغون لأمّي السلام»، وفي السنن عنه أنه قال: «أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة على»^(١).

الرد: هناك أمران:

الأول: النهي عن شد الرحال إلى زيارة الأنبياء والصالحين.

الثاني: وصف الروايات الموجودة التي تحدثُ على الزيارة بالضعف بل الوضع.
ما يتعلّق بالأمر الأول:

إن النهي عن شد الرحال إلى غير هذه المساجد لا يعني تحريمه، بل يعني نفي الفضيلة فيه (أي في شد الرحال)، وذلك لأن المساجد سوى الثلاثة هي متساوية في الفضيلة والثواب فلا ملزم لتحمل العبء بشد الرحال إليها، فالمساجد الجامعة متساوية في الفضيلة في عامة البلاد، فلا وجه لشد الرحال والسفر إلى مسجد لإقامة

الصلاه فيه، ولكنّه إذا شدَ الرحال إلٰيها بقصد الصلاه فيه والعبادة لربّه، لا يُعد عمله حراماً، وهو أيضاً ليس ببدعة، بل غاية الأمر لا يترتب عليه ثواب خاص.

وبذلك يتبيّن بطلان ما ذكره ابن تيميه من الاستدلال بالأولويه بأنه إذا حرم شد الرحال إلى غير هذه الثلاثة مع أنها بيوت الله التي أمر فيها بالصلوات الخمس يكون شد الرحال والسفر إلى زيارة القبور حراماً بطريق أولى، فالأولويه ممنوعة في المقام، فتأمّل^(١٧).

في ذكر الروايات الواردة التي تحتُ على الزيارة:

وهي تقسّم إلى قسمين:

القسم الأول: في زيارة القبور.

لقد حثَ النبي الأكرم ﷺ على زيارة القبور في نصوصٍ عديدة، نذكر جملة منها:

١. عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «زوروا القبور، فإنّها تذكّركم الآخرة»^(١٨).

٢. وفي حديثٍ آخر عنه ﷺ: «زوروا القبور، فإنّ لكم فيها عبرة»^(١٩).

٣. روى ابن ماجة في سننه عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنّها تُزهد في الدنيا وتُذكّر في الآخرة»^(٢٠).

٤. وروى مسلم في صحيحه: «زار النبي قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله... وقال: استأذنتُ ربّي أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروها القبور، فإنّها تذكّركم الموت»^(٢١).

٥. وقالت عائشة: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلهِ وَسَلَامٍ رَّحْصٌ فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ»^(٢٢).

٦. وقالت أيضًا: إن النبي قال: «أمرني ربّي أن آتي البقيع فأستغفر لهم. قلت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين وال المسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإن شاء الله بكم لاحقون»^(٢٣).

وهناك عدّة روایات وردت في صحيح مسلم^(٢٤) تبيّن ما يقوله الزائر عند القبور.

هذه جملة من الروایات الواردة في زيارة القبور، وهي وردت في أهم مصادر الحديث عند أهل السنة، ولا يمكن لأي أحد أن يطعن في صحتها أو إنكارها أو القول بأنها موضوعة!!

ما هي فائدة زيارة القبور؟

أشار النبي الأكرم ﷺ في هذه الروایات المتعددة إلى الفائدة من زيارة القبور، حيث أنها تذكر الإنسان بالآخرة والموت، ونحن نعلم بأن الموعظة والعبرة تكون باللغة إذا ارتبطت بهadam الذات (الموت)، وهي تؤثر فيه كثيراً. فقد كان يهدف النبي الأكرم ﷺ من السماح لزيارة القبور هي اتخاذ الموعظة والعبرة من هذه الزيارة.

والأمر الآخر أيضًا هي الدعاء للميت، فقد قال النبي الأكرم ﷺ: «أمرني ربّي أن آتي البقيع فأستغفر لهم...» وهو يُشعر بأنّ الميت يستفيد من الدعاء له والاستغفار أيضاً، هذا خلافاً لما يزعمه البعض في دعواهم، بأن الميت لا يستفيد من هذه الزيارة.

القسم الثاني: في زيارة قبر النبي الأكرم ﷺ:

أما ما جاء من النصوص^(٢٥) في فضل زيارة قبر النبي الأكرم عليهما السلام فهي كثيرة، نقتطف منها^(٢٦):

١. عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».
٢. عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «من جاءني زائراً لا ت عمله (لا تحمله) إلا زياري، كان حقاً علىي أن أكون له شفيعاً يوم القيمة».
٣. عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي».
٤. عن عبدالله بن عمر مرفوعاً: «من حجَّ البيتَ ولم يزرنِي فقد جفاني».
٥. عن عمر مرفوعاً: «من زار قبري -أو من زارني- كنت له شفيعاً...».
٦. قال رسول الله عليهما السلام: «من زارني بعد وفاتي وسلم عليّ ردت عليه السلام عشرًا، وزاره الملائكة كلُّهم يسلّمون عليه، ومن سلم عليّ في بيته ردَّ الله تعالى على روحِي حتَّى أسلِم عليه».

هذه بعض الروايات الواردة في الحديث على زيارة قبر النبي الأكرم عليهما السلام، وقد رواها جملة من المحفوظ من علماء أهل السنة، وأما يذكره ابن تيمية في كون هذه الروايات ضعيفة فهو مردود، بل فيها الكثير من الروايات الصحيحة وفق مباني أهل السنة، وكذلك يبطل قوله في أنها موضوعة.

الخلاصة:

أولاً: أن الاعتماد على هذه الروايات في التحرير ليس في محله، وهو يفتقد الصناعة الاستدللية للفقه أساساً.

ثانياً: إن هذه الروايات الثلاث وما تضمنتها هي من روايات أبي هريرة،

والاستدلال بمتفرداته أمر مشكل.

ثالثاً: لقد ورد في الصحيح^(٢٧) أن النبي كان يأتي مسجد قبا راكباً ومامشياً يصلّي فيه، فلو كان شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة محرّمة أو منهيّ عنها، لما فعله النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأخيراً: هذا كله يتعارض مع ما ورد في زيارة القبور عموماً وزيارة قبر النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصاً.

فإذا ثبت بأن الزيارة للقبور أمر وارد في السنة النبوية، فيجوز زيارتها والوقوف عندها.

شبهة علم الغيب للأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

لقد حاول أعداء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن يُشنّعوا على أتباعهم وشيعتهم بأنهم يقولون بأن أئمتهم يعلمون الغيب، وهذا يلزم الشرك الصريح، باعتبار أن عالم الغيب هو الله تَعَالَى، وإشكال غير الله معه يُعدُّ انحرافاً صريحاً.

ولكن في مقام الإجابة عن هذه الشبهة يلزم من توضيح بعض الآيات الواردة في القرآن الكريم، وتناول جملة من الآيات التي ذكرت علم الغيب فنجد لها على قسمين:

القسم الأول: اختصاص علم الغيب بالله تَعَالَى.

لقد جاءت بعض الآيات القرآنية تُشير إلى أن علم الغيب مختص بالله تَعَالَى، وهو وحده عالم به مطلع عليه.

القسم الثاني: تعلیم الغیب من عالم الغیب.

وما جاء في اختصاص علم الغیب به بِهِ تَعَانَدُونَ:

١- قوله تعالى: ﴿وَعِنْهُ مَقَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾^(٢٨).

٢- قوله عز من قائل على لسان رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْثُرُتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ﴾^(٢٩).

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣٠).

ففي آيتين من هذه الآيات إشارة واضحة باختصاص الغیب به بِهِ تَعَانَدُونَ، والآية الثانية تنفي كون النبي ﷺ يعلم الغیب، ولكن هذا النفي بمعنى كون النبي الأكرم ﷺ لا يعلم الغیب بالاستقلال وفي عرض الله بِهِ تَعَانَدُونَ. فبمعنى الاستقلالية مرفوض. حيث أنه من مختصات الله بِهِ تَعَانَدُونَ.

وأما ما جاء في تعلم الغیب من عالم الغیب فهي:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَكَنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ﴾، ما هو سبب الاجتباء والاصطفاء؟ إنما السبب متعلق للإطلاع على الغیب بعد إذن الله بِهِ تَعَانَدُونَ.

٢- قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَادًا﴾^(٣١).

٣- وكان النبي الله عيسى عليه السلام أَنْقَلَ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ يعلم الغیب كما قال تعالى: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَخِّرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴿٣٢﴾.

٤- وكان الخضر عليه السلام يعلم الغيب، كما قال تعالى: ﴿فَانظَرْنَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَ اغْلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا... وَأَمَّا الْغَلامُ فَكَانَ أَبُواهُ مُؤْمِنٌ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقُهُمَا طُعْيَانًا وَكُفُرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبَدِّلَهُمَا...﴾^(٣٣).

وقد جاء في (خطبة ١٢٨ من نهج البلاغة) أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما أخبر عن التتار بقوله: «كأني أراهم قوماً كأنّ وجههم الجنّ المطرقة يلبسون السرّاق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق... قام إليه بعض أصحابه، وقال: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك، وقال للرجل وكان كلبياً: يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم...».

الخلاصة

لا بد من التفريق بين هذين الأمرين:

الأول: اختصاص علم الغيب أصلة وبالذات بالله تعالى، فهو العالم بالعلم المطلق، سواء علم الغيب وعلم الشهادة، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.

الثاني: إمكان أن يطلع الله تعالى بعض علم الغيب إلى من اصطفاه واجتباه، وبواسطة الله تعالى وليس من نفسه وذاته يعلم الغيب.

وبعد هذا التوضيح والبيان، لا يبقى أي إشكال على مذهب أهل البيت عليهما السلام من هذه الدعوى الفارغة المخالية من الموضوعية والإنصاف، وللمليئة بالتشويه والتضليل، فهل يبقى مجال لنفي هذه الطائفة الكبيرة بهذه الافتراضات العظيمة؟! الحمد لله على نعمة العقل والتعقل، والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) لسان العرب: غلا.
- (٢) مجمع البحرين: ج ٢ مادة غلا.
- (٣) دائرة المعارف: مادة غلا.
- (٤) مجمع البحرين مادة غلا.
- (٥) سورة النساء ١٧١.
- (٦) سورة المائدة ٧٧.
- (٧) سورة التوبة ٣١.
- (٨) عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٢١٩.
- (٩) كنز العمال: حديث ١١٠٢٨.
- (١٠) عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٢١٧.
- (١١) شرائع الإسلام ج ١ ص .
- (١٢) كتاب الطهارة ج ٣ ص ٤٦٠ تقريرات آية الله الشيخ الفاضل النكراني (عليه الرحمة).
- (١٣) التنقح في شرح العروة الوثقى ج ٣ ص ٦٧.
- (١٤) ذكر الحق الشيخ السبحاني عدة مَنْ تكلّموا في ابن تيمية، وذلك في المجلد الخامس من كتابه الملل والتحلّل، نقلًا عن كتب تراجم علماء أهل السنة.
- (١٥) وقد عقد العلامة السبكي الشافعى في شفاء السقام في زيارة قبر خير الأنام فصلاً في كون الزيارة لقبر النبي الأكرم عليهما السلام هي قربة لله تعالى، واستدل عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس .. إلى أن يقول:

الرابع: الإجماع لإبطاق السلف والخلف، فإن الناس لم يزالوا في كل عام، إذا قضوا الحج يتوجهون إلى زيارته عليهما السلام، ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج، وهكذا شاهدناه وشاهدوه من قبلنا، وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة كما ذكرناه في الباب الثالث، وذلك أمر لا يُرتاب فيه.. ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجموعون على خطأ فهو المخطئ.

- (١٦) المصدر: مجموعة الرسائل الكبرى: ٢/٦٥-٥٧ الرسالة الثالثة في زيارة بيت المقدس.

- (١٧) هذا الاستدلال ذكره الحق السبحاني في الملل والنحل ج ٢٢٨/٤.
- (١٨) سنن ابن ماجة: ١١٣/١.
- (١٩) كنز العمال: ٦٤٧/١٥ ح ٤٢٥٥٨.
- (٢٠) سنن ابن ماجة: ٥٠١/١، وروى مضمونه مسلم في صحيحه: ٨٢/٦. صحيح الترمذى: ٢٧٤/٣، ومسند أحمد بن حنبل: ١٤٥/١.
- (٢١) سنن ابن ماجة: ٥٠١/١، وروى مضمونه مسلم في صحيحه: ٨٢/٦. صحيح الترمذى: ٢٧٤/٣، ومسند أحمد بن حنبل: ١٤٥/١.
- (٢٢) سنن ابن ماجة: ٥٠١/١، وروى مضمونه مسلم في صحيحه: ٨٢/٦. صحيح الترمذى: ٢٧٤/٣، ومسند أحمد بن حنبل: ١٤٥/١.
- (٢٣) صحيح مسلم: ٦٤/٣، سنن النسائي: ٧٦/٣.
- (٢٤) صحيح مسلم: ج ٣، باب ما يقال عند القبور، وباب ما يقال عند دخول القبر.
- (٢٥) لقد ذكر الحق السبحاني بعض الأدلة القرآنية على زيارة النبي الأكرم ﷺ في كتابه الملل والنحل ج ٤ ص ٢٧٤.
- ٌ(٢٦) عقد العالمة الأميني في موسوعته المباركة (الغدير) فصلاً في ذكر الروايات الواردة في الحث على زيارة النبي الأكرم ﷺ ج ٥، ص ١٤٢.
- وقد اقتطفت من الكتاب ما ذكره اختصاراً، ولم أذكر جميع الروايات والمصادر. فمن شاء فليرجع إلى موسوعة الغدير.
- (٢٧) صحيح مسلم: ج ١٢٧/٤، صحيح البخاري: ج ٢/ص ١٧٦.
- سنن النسائي: ج ٢/ص ١٢٧
- (٢٨) سورة الأنعام: ٥٩.
- (٢٩) سورة الأعراف: ١٨٨.
- (٣٠) النمل: ٦٥.
- (٣١) سورة الجن: ٢٦-٢٧
- (٣٢) سورة آل عمران: ٤٩.
- (٣٣) سورة الكهف: ٨٠.

دروس في الأخلاق السياسية

(الحلقة الثالثة)

عادل علي الشعلة

لما زال الكلام حول الطريق الثاني من طرق خلق اليقظة السياسية وهو المداومة على ذكر الله، ومن الأمثلة الناصعة في بيان التجارب الذكرية المؤدية لمواضف سياسية راسخة ما ذكره (أبو الفرج الأصفهاني) في مقاتل الطالبيين حول حياة علي بن الحسن بن الحسن أحد أحفاد الإمام الحسن عليهما السلام الذي يُسمى بعلي الخير، وعلى العابد، فقد اعتقله أبو جعفر ضمن مجموعة من بني الحسن، ويروي أبو الفرج رواية في شأن هذه المجموعة رواها عبد الله بن الحسن أحد أفراد هذه المجموعة، عن فاطمة الصغرى عن أبيها عن جدتها فاطمة عليها السلام، قالت: «يُدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات لم يسبقهم الأولون ولا يُدركهم الآخرون»، قال عبد الله: فقلت: نحن ثانية. قال: هكذا سمعت. قال: فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى وأصابوبي وبي رمق وسقوني ماء، وأخرجوني فعشت.

والشاهد الذي أودّ ذكره في التجربة الذكرية أوضاع هؤلاء الثمانية وهم يعيشون في قعر السجون، فقد حبسهم أبو جعفر في محبس ستين ليلة، لا يعرفون الليل من النهار، ولا يعرفون وقت الصلاة إلا بتسبيح علي بن الحسن، قال الحسين بن نصر -في بيان حال السجناء الثمانية-: «ضجر عبد الله ضجرة، فقال: يا علي ألا ترى ما نحن فيه من البلاء؟! ألا تطلب إلى ربك أن يُخرجنا من هذا الضيق والبلاء؟ فسكت عنه طويلاً ثم قال: يا عم إن لنا في الجنة درجة لم نكن لنبلغها إلا

بهذه البلية أو بما هو أعظم منها، وإن لأبي جعفر في النار موضعًا لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها، فإن تشاً تصبر، فما أوشك فيما أصبتنا أن نموت فنستريح من هذا الغمّ كأن لم يكن منه شيء، وإن تشاً أن ندعو ربنا عَزَّوجَلَّ أن يُخرجك من هذا الغمّ ويقصر بأبي جعفر غايتها التي في النار فعلنا. قال: لا، بل أصبر. فما مكثوا إِلَّا ثلاثاً حتى قبضهم الله إِلَيْهِ».

فالإنسان حين يتعرض لألوان المحن والوحدة قد يُصاب باليأس والضيق ويشعر بالضعف والوهن والضنك، لكن ذكر الله والتطلع لما لديه، يصنع سمواً في المشاعر، واستقراراً في النفس، وراحة في البال .. يصنع صلابة في الموقف وثباتاً على الرؤى والأفكار النابعة من الدين.

فاليقطة هي التي تحدد الخيارات، فالسياسي إما أن يخضع لإغراءات المال حينما يقف مع السلطان ويكون أداة للظلم والجحود والقهر، أو يرفض كل ذلك ويقف مع المستضعفين والمظلومين، وتحديد أي الخيارين بحاجة ليقطة سياسية مُتحررة.

الطريق الثالث- الاعتبار بالعبر السياسية:

وما يمكن أن يُذكر لخلق اليقطة الاعتبار بال عبر السياسية، فقراءة حياة السياسيين بغرض الاعتبار السياسي يخلق اليقطة والالتفات، وهذا مما أوصى به أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولده الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «ونذّركه -أي قلبك- بما أصاب منْ كانَ قبلكَ من الأولين، وسر في ديارهم وآثارهم، فانتظر فيما فعلوا، وعمّا انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة، وحلّوا ديار العربة، وكأنك عن قليل صرتَ كأحدهم، فأصلاح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك»^(١).

قراءة حياة الفاسدين والصالحين من اشغلوا بالسياسة لها تأثيرها الكبير في استيعاب الحقائق، وعدم السقوط في المستنقعات السياسية التي وقعوا فيها، فهناك من أفسدتهم المصالح الدنيوية كعمر بن سعد، فخسر الدنيا والآخرة، وهناك من أصلحتهم الابتلاءات الدنيوية كالحرّ بن يزيد الرياحي الذي لم يحببه منصبه عن رؤية الحقيقة والوقوف معها وقدم دماءه فداء للحق..

وهناك الكثير من السياسيين الذي حكموا الكثير من بلدان العالم، فأين رحلوا؟! أين شداد بن عاد الذي بنى مدينة **لَمْ يُخْلِقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**^(٢)؟! أين هشام بن عبد الملك الذي كان يقول للسحابة: "أمطري حيث شئت فسيصل إليّ خراجك"؟! وغيرهم كثير من حكموا ظلماً وعتواً أو باعوا أنفسهم طمعاً أو خوفاً، فعليينا أن نستحرق هؤلاء وأمثالهم في داخل أنفسنا حتى لا نصير أمثالهم، وقد صدق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: (من لم يعتبر بغير الدنيا وصرفها لم تنفع فيه المواعظ)، فالعبر كثيرة لمن أراد أن يقرأ قراءة سياسية واعية، ومتى ما أخذت العبرة مأخذها من النفس، واشتعلت نيران المعرفة الوجданية فسوف يحصل للإنسان عزم وإرادة تدفعه للحركة التغييرية.

الطريق الرابع: معاشرة السياسيين المتدينين:

فمعاصرة رجال مُتفقين سوف يجعل الإنسان مُستفيداً من يقظتهم، وستنعكس على شؤونه وتصرفاته لحصول سخية بينه وبينهم بسبب معاشرته، وقال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: (قالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَىٰ: يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ تُجَالِسُ؟ قَالَ: مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهُ رَؤْيَتُهُ، وَيُزَيِّدُ فِي عَمَلِكُمْ مَنْظُقُهُ، وَيُرْغِبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ^(٣)).

ثانياً (من طرق اليقظة السياسية): طرق تحصيل "اليقظة الجذبية":

ذكرت فيما سبق أن هناك يقظتان: يقظة كسبية ويقظة تُقابلها وهي يقظة جذبية يتلطف بها الله على من يشاء من عباده، وقد تقدم الكلام حول اليقظة الكسبية، وأود هنا الحديث حول اليقظة الجذبية، والتي تعني بها جذبة من الله تعالى يَعْلَمُ بِهَا للقلوب المستعدة، واستقطابها نحوه، وبما أنَّ الجذبات الرحمانية كثيرة، بل في الجذبة الواحدة فيوضات ومراتب، فسوف أتناول أطراف الحديث حول مفردة واحدة من مفردات الجذب الرباني، وهي جذبة التوفيق، حتى أتمكن من بيان بعض أبعاد هذه الجذبة.

ومن البيانات الراقية هذه اليقظة الجذبية التوفيقية -إنْ صَحَّ التعبير- ما ذكره أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاء الصباح بقوله : «إِلهِي إِنْ لَمْ تُبْتَدِئْنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفِيقِ فَمِنْ السَّالِكُ بِي إِلَيْكَ فِي وَاضِحِ الْطَّرِيقِ». فهنا يعلمنا الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ هناك جذبة رحمانية ابتدائية باسم التوفيق، فعليينا أن نتوجه إليه ليتلطف بها علينا، وقد قال أيضاً: «الْتَّوْفِيقُ مِنْ جَذَبَاتِ الرَّبِّ»^(٤).

فال توفيق عنابة من الله ونعمته من نعمه، فمن رزقه الله توفيقه فسوف يتقدم في طريق الكمال، وإلاًّ فسوف يعيش التخلف، كما قال : «منْ لَمْ يَمْدُهُ التَّوْفِيقُ لَمْ يَنْبُ إلى الْحَقِّ»^(٥).

وكما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كيف يتمتع بالعبادة من لم يعنِه التوفيق؟!»^(٦)، فإذاً «منْ أَمَدَهُ التوفيق أَحْسَنَ الْعَمَل»^(٧)، كما قال . فلقيمة هذه الجذبة وعظمتها وأساسيتها في طريق الكمال والقرب من الله، أشير إلى بعض ما يرتبط بها، فأقول وبالله التوفيق:

المراد من التوفيق:

وما يمكن قوله في بيان المراد من الجذبة التوفيقية أنها:

أ— تدخلُ يدِ الغيب لتدليل كل العقبات التي تقف حائلاً بين الإنسان وبين ما يضره، فهناك عقبات قد تحول بين الإنسان وبين التوبة من ذنبه السياسية، أو تحول بينه وبين الجد من أجل الله، بحيث يكون عمله من أجل الجاه والواقع والمصالح السياسية الذاتية أو الحزبية، أو تحول بينه وبين جعل ما يتمتع به من قدرات فكرية وبيانية وجسدية في سبيل الله، فتجد نشاطه وعمله وقلمه في طاعة الشيطان لا في طاعة الرحمن، وهكذا فهناك عقبات تحول بينه وبين أن تكون أهدافه ومنطلقاته وممارساته لله تعالى، وتلك العقبات قد تكون أسرة أو أصدقاء أو انشغال أو همٌ أو غمٌ أو غفلة، فتتدخل يد الغيب لتفتح مسامع قلبه فيبصر واقعه الذي يحول بينه وبين ربه.

نعم هناك من يتركهم الباري في هذه المستنقعات، وهذا ما بينه لنا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاء أبي حمزة الشمالي مُبدياً قلقه من عدم تدخل العناية الإلهية، حينما يصف الحال بقوله: «اللهم إني كلما قلت قد تهيات وتعبات، وقمت للصلاه بين يديك وناجيتك، ألميتَ على نعاشا إذا أنا صليت، وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت! وما لي كلما قلت قد صلحت سريري، وقرب من مجالس التوابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالـت قدمـي، وحـالت بيـني وبين خـدمـتك! سـيدـي لـعـلك عنـ بـابـك طـردـتـني، وـعنـ خـدمـتكـ نـحيـتـني! أو لـعـلكـ رـأـيـتـنيـ مـسـتـخـفاـ بـحـقـكـ فـاقـصـيـتـنيـ! أو لـعـلكـ رـأـيـتـنيـ مـعـرـضاـ عـنـكـ فـقـلـيـتـنيـ! أو لـعـلكـ وـجـدـتـنيـ فيـ مـقـامـ الكـاذـبـينـ فـرـضـتـنيـ! أو لـعـلكـ رـأـيـتـنيـ غـيرـ شـاكـرـ لـعـمـائـكـ فـحـرـمـتـنيـ! أو لـعـلكـ فـقـدـتـنيـ مـنـ مـجـالـسـ الـعـلـمـاءـ فـخـذـلـتـنيـ!

أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيسبني! أو لعلك رأيتني ألف مجالس
البطالين فببني وبينهم خليتي! أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني! أو لعلك
بحرمي وجريري كافيتي! أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني!...).

فهنا نتعرف على العقبات الموجبة للخذلان كالاستخفاف بحق الله سبحانه،
والإعراض عنه، والتواجد في مقام الكاذبين، وعدم شكره على نعمائه، وعدم
تواجدنا في مجالس العلماء والتواجد مع الغافلين وألفة مجالس البطالين، فهذه بعض
العقبات، والله سبحانه قد يأخذ بيد بعض عباده من توسم فيهم الخير فينتشلهم من
هذه المستنقعات.

بـ- الجذبة التوفيقية وهي لطف يؤيد بها عبده فلا يكله لنفسه، بل يوجهه
للأسباب النافعة، ويهيئ له الأجواء النظيفة، ويقوده إلى الأفعال الموصلة للمطلوب
الخير. فإذا عمل وفق أوامر الله واجتنب عما نهاه سمي مُوفقاً، أما إذا لم يعمل بما
يرضي الله، ولم يجتنب معصيته سمي مخذولاً.

تـ- منحة إلهية هدايته أو عصمته عن السهو والنسيان والخطأ.

ثـ- الإلهام للخير، وجعل الإنسان رشيداً، ويدل على كون التوفيق إلهام ما
رواه خييم، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: قلت له: «يكون شيء لا يكون في الكتاب
والسنة؟ قال: لا. قال: قلت: فإن جاء شيء؟ قال: لا. حتى أعددت عليه مرارا فقال:
لا يجيء، ثم قال -باصبعه- بتفقيق وتسديد، ليس حيث تذهب، ليس حيث
تذهب». المراد من قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: (بتوفيق وتسديد) أي بإلهام من الله وإلقاء من روح
القدس، وليس حيث تذهب من الاجتهاد والقول بالرأي.

كيفية التوفيق:

وعلى ضوء هذه الرواية الشريفة أود تحليل عملية الإلهام، ليتبين معنى كونه توفيقاً. وما يمكن أن يُقال: أنَّ القلب في حقيقة الأمر متوسط بين عالَم روحاني وعالم جسماني، ويتأثر بما يرد عليه من طريق المواس الظاهر كالعين والأذن واللسان أو المواس الباطنة كالخيال والشهوة والغضب، والخواطر من أهم المؤثرات في قلب الإنسان، وهي تلك الأفكار والأذكار والإدراكات والعلوم التي تعرض القلب على سبيل التجدد، وتحريك إرادة الإنسان، إذ بعد أن يخطر المنوي في البال تحصل الرغبة، والرغبة تحرّك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرّك الأعضاء فيصدر الفعل خيراً كان أو شرّاً.

وهذه الخواطر على قسمين:

القسم الأول: خواطر تدعو إلى الشرور، وهي التي تعرض على القلب من طرق المواس الخامس، وهذه الخواطر الداعية إلى الشرور تُسمى وساوس. وسبب الوساوس يسمى شيطاناً، وهو موجود مسلط على المواس، ولهم سبيل إلى باطن العروق، ولكن لا سلطة له على العقل، ولا سبيل له إلى داخل القلب، فالشيطان عبارة عن موجود روحي ظلماني شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمنكر والتخييف بالفقر ونحوه عند الهم بالخير.

القسم الثاني: خواطر تدعو إلى الخيرات وهي التي تعرض على القلب من غير المواس الخامس، وذلك لأنَّ العقل لا يدعو إلى الشر البة، وهذه الخواطر الداعية إلى الخيرات تُسمى إلهامات. وسبب الإلهامات يسمى ملكاً، وُسُمي بذلك لأنَّ داعي الخير يأتي إلى القوة العاقلة من العالم الروحاني، والعالم الروحاني هو عالم الملائكة،

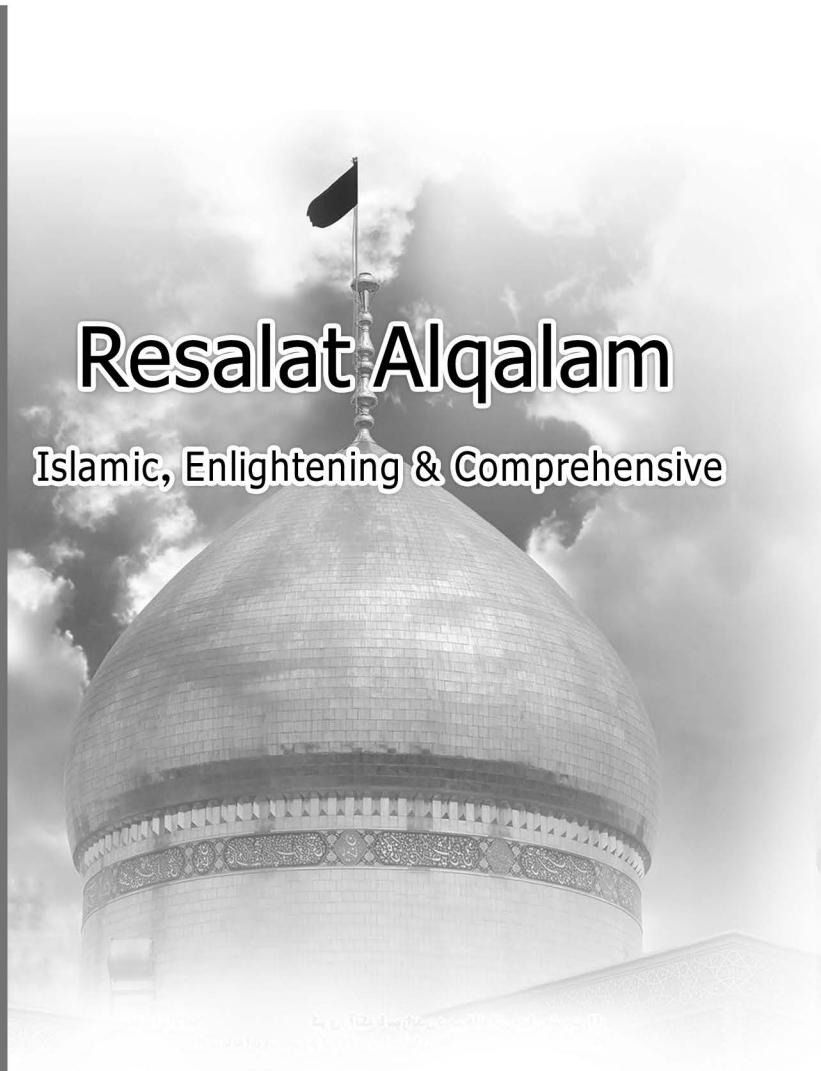
فالمملوك عبارة عن جوهر روحاني نوراني خلقه الله، شأنه إفادة الخير وإفاده العلم
وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد سخره الله لذلك.

المواهش:

- (١) نهج البلاغة، كتاب رقم .٣١
- (٢) الفجر .٨
- (٣) الكافي، ج ١، ص ٣٩، ح ٣؛ بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣٣١، ح ٧٢ .
- (٤) كتاب غرر الحكم، الباب الثالث، ارتباط الله مع الناس-الفصل الأول في التوفيق - الحديث .٣٩٨٩
- (٥) نفس المصدر، الحديث .٣٩٩٨
- (٦) نفس المصدر، الحديث .٤٠٠٥
- (٧) نفس المصدر، الفصل الرابع في العمل -حسن الفعل وآثاره- الحديث .٢٨٥٨



- General Supervisor & Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:
Abdulraoof Hassan Alrabia
- Publishing Committee:
Aziz Hassan Salman
Fadhel Abduljaleel Al Zaki
Ghazi Abdulhassan



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom